بسم الله الرحمن الرحيم

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن

مركز إحياء التراث التابع
لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العدد الثامن، السنة الرابعة
ذو الحجة ١٤٤١هـ/ آب ٢٠٢٠م

مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العتبة العباسيّة المقدّسة. المكتبة ودار المخطوطات. مركز إحياء التراث.
الخزانة : مجلّة علميّة نصف سنويّة تعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.ــ كربلاء، العراق : العتبة العباسيّة المقدّسة، المكتبة ودار المخطوطات، مركز إحياء التراث ، 1438 هـ . = 2017 -
مجلد : إيضاحيات ؛ 24 سم
نصف سنويّة.- العدد الثامن، السنة الرابعة (آب 2020)-
ردمد : 4586-2521
تتضمّن ملاحق.
تتضمّن إرجاعات ببليوجرافيّة.
النصّ باللغة العربيّة ومستخلصات باللغة العربيّة والإنجليزيّة.
1. المخطوطات العربيّة--دوريات. ألف. العنوان.
LCC: Z115.1 .A8364 2020 NO. 8
DDC : 011.31
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة

الترقيم الدولي
ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥ لسنة ٢٠١٧م
كربلاء المقدّسة – جمهورية العراق

يمكن الإتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:

٠٠٩٦٤ ٧٦٠٢٢٠٧٠١٣ / ٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣

الموقع الإلكتروني: Kh.hrc.iq

الإميل: Kh@hrc.iq

صندوق بريد: كربلاء المقدّسة (٢٣٣)

الباب الأول

دراسات تراثية

تصفّح التراث الشيعي القديم من خلال حواشي نسخة من كتاب (النهاية) للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)

A peruse on old Shi'a heritage from annotations in a copy of the book (Al-Nihayah) by Sheikh Al-Tusi (d.460 AH)

السيد محمد صادق رضوي

باحث تراثي

إيران

Sayed Muhammad Sadiq Razavi

Heritage researcher

Iran

الملخّص

يعدّ كتاب (النهاية) للشيخ الطوسيّ رحمه الله من أجلّ الكتب الفقهيّة المتداولة في المدارس العلميّة الشيعيّة، وقد أقبل الفقهاء عليه من بعد تأليفه؛ إقبالاً واسعاً؛ فكثرت شروحُه وحواشيه، وشاع تدريسُه، وتداولت نُسَخه، كما تشهد به كثرة مخطوطاته القديمة. ومن أقدم مخطوطاته نسخةٌ مهمّة في مكتبة المدرسة الهنديّة في كربلاء المقدّسة؛ تاريخها رجب سنة (٥٩١هـ)، واللافت للنظر أنّ حواشي هذه المخطوطة، تحتوي على نُكتٍ ومنقولات نادرة من الكتب الفقهيّة والروائيّة المفقودة من علماء الشيعة القدماء، إضافةً إلى ما يوجد في نهايتها من أحاديث بعضها متفرّقة؛ لم تنقل إلينا من أيّ مصدرٍ آخر.

فنعمد في هذا المقال إلى التعريف بالمخطوطة ونقل حواشيها المهمّة. وقد صنّفنا الحواشي فيها إلى ثلاثة أقسام:

١- الأحاديث التي لا توجد في مصدرٍ آخر، أو توجد مع بعض الاختلاف.

٢- الأقوال الفقهيّة لقدماء الأصحاب ممّن لا تتوفّر كتبهم حالياً.

٣- النُّكت والملاحظات الفقهيّة.

Abstract

The book (Al-Nihayah) by Sheikh Al-Tusi (may Allah have mercy on him) is considered one of the greatest juridical books circulating in Shiite seminaries. Upon its authorship it was vastly accepted by scholars, which clarifies the reason there are so many explanations and notes on it. Teaching and studying the book became widespread, and copies circulated, as testified by the abundance of old manuscripts copies of the book.

Among the oldest manuscripts is an important copy in the library of Al-Madrasa Al-Hindiya, as it dates back to the year 591 AH. What is striking about this copy is that the footnotes of this manuscript contain rare notes and quotations from the missing jurisprudential and novel books from old Shiite scholars, in addition the scattered hadiths available at the end of the copy, which have not been transmitted to us from any other source.

In this article, we introduce the manuscript and transmit its important annotations. We have classified the footnotes therein into three categories:

1- Hadiths that do not exist in another source, or exist with some difference.

2- The jurisprudential views and verdicts of great jurists whose books are not currently available.

3- Jurisprudential notes.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كتاب النهاية للشيخ الطوسيّ رحمه الله من أجلّ الكتب الفقهيّة عند الإماميّة وأعظمها قدراً. والأفضل أن نستمع لتوصيف هذا الكتاب إلى ما قاله عنه مؤلّفه، فقد وصف الشيخ الطوسيّ رحمه الله كتاب النهاية وأطرى عليه في مختلف كتبه؛ فقال في مشيخة الاستبصار: «وكتاب النهاية يشتمل على تجريد الفتاوي في جميع أبواب الفقه، وذكر جميع ما روي فيه على وجه يصغر حجمه وتكثر فائدته ويصلح للحفظ»[١].

وقال في مقدّمة الجمل والعقود: «فإنَّ الكتب المُصنَّفة في هذا المعنى مبسوطة، وخاصَّةً ما ذكرناه في كتاب النهاية فإنّه لا مستزاد على ما تضمّنه ولا مستدرك على ما اشتمل عليه، إلّا مسائل التفريع التي شرعنا في كتاب آخر فيها إذا سهّل الله تعالى إتمامه وانضاف إلى كتاب النهاية كان غاية فيما يُراد»[٢].

وذكر في مقدّمة المبسوط: «وكنت عملتُ على قديم الوقت كتاب النهاية، وذكرتُ جميع ما رواه أصحابنا في مصنّفاتهم وأصولها من المسائل وفرّقوه في كتبهم، ورتَّبتُه ترتيبَ الفقه وجمعتُ من النظائر، ورتَّبتُ فيه الكتب على ما رتّبت للعلّة التي بيّنتها هناك، ولم أتعرَّض للتفريع على المسائل ولا لتعقيد الأبواب وترتيب المسائل وتعليقها والجمع بين نظائرها، بل أوردتُ جميع ذلك أو أكثره بالألفاظ المنقولة حتّى لا يستوحشوا من ذلك»[٣].

فالمستفاد من مجموع كلماته أنّه ألّف كتاب النهاية مستفاداً من النصوص من غير

(١) الاستبصار: ٣٠٥/٤.

(٢) الجمل والقعود: ٣٣.

(٣) المبسوط: ١/ ٢.

تغيير ألفاظها ما أمكن؛ بل كثيراً ما يورد الروايات نفسها مرسلاً أو مسنداً. ولعلّه لهذا رجع عن بعض الفتاوي المذكورة في النهاية في كتبه الأُخَر مع تصريحه بالخلاف[١]. وهذا هوالذي أخذه الفقيه ابن إدريس على كتاب النهاية في مواضع عديدة من السرائر من تضمّنه روايات شاذّة، واعتذر عنه بأنّه إنّما أورده إيراداً لنقل الرواية فقط، لا معتقداً لصحّتها والفتيا بها[٢].

ولكنّ الشيخ أجلّ من أن يصنّف كتاباً لعمل المكلّفين، ثم يضمّنه ما لا يقول بصحّته ولا يراه حجّةً! ولو كان منه في مورد واحد لأمكن الإغماض عنه؛ ولكن ابن إدريس رحمه الله اعتذر بهذا الوجه أكثر من مائة مرّة في تضاعيف السرائر! فلأجل هذا وغيره صار غرضاً لأهداف المتأخّرين عنه، وعابوا عليه في ذلك[٣].

وممّا تُنبئ عن خطر هذا الكتاب ومؤلّفه الحكاية التي توجد في بعض المخطوطات القديمة من النهاية، ونقلها أيضاً الفاضل الأمير محمد صالح الخواتون آباديّ رحمه الله، والسيّد محمّد باقر الخوانساريّ رحمه الله، والمحدّث النوريّ رحمه الله[٤]؛ وملخّصها أنّ المشايخ الفقهاء: الحسين بن المظفّر الحمدانيّ القزوينيّ، وعبد الجبار بن عليّ المقري الرازيّ، والحسن بن الحسين بن بابويه المدعوّ بحسكا تنازعوا في كتاب النهاية وأوردوا عليه عدّة إيرادات؛ فاتفق أن زاروا مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، وعزموا أن يصوموا ثلاثة أيام، ويدعوا في المشهد الشريف حتّى يتّضح لهم ما اختلفوا فيه. فلمّا ناموا سنح أمير المؤمنين عليه السلام لجميعهم في النوم قائلًا: «لم يُصنّف مصنّف في فقه آل محمّد عليهم السلام كتابًا أولى بأن يعتمد عليه، ويتخذ قدوة، ويرجع إليه، أولى من كتاب النهاية الذي تنازعتم فيه، وإنّما كان ذلك لأنّ مصنّفه اعتمد في تصنيفه على خلوص النيّة لله، والتقرب والزلفى لديه، فلا ترتابوا في صحّة ما ضمّنه مصنّفه، واعملوا به، وأقيموا مسائله، فقد

(١) ينظر: الخلاف: ٤٣٤/٣ و٣٠٧/٤؛ المبسوط: ٤٢/١.

(٢) ينظر على سبيل المثال: السرائر: ٩٩/١، ١١٠، ٢٤٧، ٢٥٣.

(٣) ينظر: كشف الرموز: ٤٨٢/١، ٥٥٨/١؛ مختلف الشيعة: ٤٦١/٥، ٣١٠/٦.

(٤) ينظر: حدائق المقرّبين: ٢٢١ (نقلها بالفارسية)؛ روضات الجنّات: ٢٤٧/٦؛ خاتمة المستدرك: ١٧١/٣.

تعنّى في ترتيبه وتهذيبه، والتحرّي بالمسائل الصحيحة بجميع أطرافها».وفي نسخة من النهاية -سيأتي وصفها- زيادة: «فلهذا يُفتي فقهاء الشيعة بمسائل هذا الكتاب».

ومن البيّن أنّ هذه القضيّة لا تعني صحّة جميع ما احتوى عليه كتاب النهاية من الفروع حتّى يُغني عن جميع الكتب بعده وينسدّ باب الاجتهاد! بل المُتراءى منها أنّ الشيخ رحمه الله قد بذل جهدَه وأخلص نيّته في تأليف الكتاب، ويستحقّ أن يرجع إليه ككتاب فتوائيّ، وهو حجّة على المقلّدين بينهم وبين الله تعالى؛ فإذن لا يُصغى إلى بعض التشكيكات الواردة بشأن هذه القضيّة.

فلذا صار كتاب النهاية كالشرائع بين الفقهاء وأهل العلم بعد المحقّق، فكان بحثهم وتدريسهم وشروحهم غالباً فيه وعليه، وكانوا يُداولونه في الإجازات[1]؛ وممّا يشهد على ذلك كثرة مخطوطاته وانتشارها، وكذا ترجمته منذ زمن قديم للفارسية، وكثرة الشروح والحواشي عليه حتّى أنّ القطب الراونديّ كتب عليه ثلاثة شروح هي: المغني (في عشرة مجلدات)، وشرح مشكلات النهاية، وشرح ما يجوز وما لا يجوز من النهاية[2].وشرحه أيضاً ولد المصنّف أبو عليّ الطوسيّ، والشيخ نظام الدين الصهرشتيّ.. وغيرهم.

وممّا يؤسف له عدم وصول هذه الشروح إلينا سوى نكت النهاية للمحقّق الحلّيّ. ومع ذلك فإنّه توجد في بعض مخطوطات النهاية تعليقات وحواشٍ على النصّ تؤكد أهمّيّة الكتاب وتداول دراسته، والمهمّ أنّ كثيراً من هذه الحواشي توجد في نسخ مختلفة بنصٍّ واحد، ممّا يشير إلى استقاء تلك الحواشي من أصل واحد لعلّه أحد الشروح المفقودة على النهاية.وممّا يبرز أهميّة هذه الحواشي لقدمها وما تضمّنتها من الفوائد القيّمة التي لا توجد في أيّ مصدر آخر؛ فمن اللازم دراستها بمقارنة تطبيقية شاملة للنسخ المتضمّنة لتلك الحواشي، وهو بحث دقيق ووسيع لا بدّ من أن يفسح له مجاله الخاصّ، ولكن قدّمنا في هذا البحث لمحاً عن

(١) ينظر خاتمة المستدرك: ١٦٩/٣.

(٢) ينظر خاتمة المستدرك: ١٧٠/٣.

فوائد إحدى تلك النسخ وحواشيها، ونترك استيفاء البحث بأكمله في مجال آخر إن شاء الله تعالى، ولا ننسى جهود الدكتور محمّد تقي دانش پژوه رحمه الله حيث فتح هذا المجال بطبع كتاب النهاية وترجمة فارسية، ثمّ ضمّ إليها الحواشي العربية والفارسية التي وجدها في المخطوطات المتوافرة لديه في مجلّد مستقلّ، ولكن لمّا لم تكن بمتناوله مخطوطات مهمّة من كتاب النهاية، لم تصل إليه كثير من الحواشي القيّمة الموجودة فيها.

وقبل أن نخوض في مَهمّتنا، ينبغي أن نشير إشارة سريعة إلى مخطوطات النهاية القديمة خصوصاً ذوات الحواشي منها.

تعريف بالمخطوطات القديمة لكتاب النهاية

١. أقدم مخطوطة منها بحسب تتبعنا النسخة المحفوظة في المتحف الشخصيّ للدكتور محمد صادق المحفوظي بطهران، تاريخها سنة ٥٠١. ولنا كلام في صحّة هذا التاريخ.

٢. نسخة في المكتبة المرعشيّة بقمّ المقدّسة، تاريخها اليوم الرابع عشر من شوال سنة ٥٠٧، كاتبها: حمزة بن نصر الله بن أحمد الموصليّ، عليها إجازة كتبها الشيخ عبد الله بن عليّ الخواريّ الوراميني تتضمّن بلاغات، وفي نهاية الجزء الأوّل منها إنهاء كتبه الحسن بن سداد الحلّيّ في جمادى الأولى سنة ٧٢٧.

٣. نسخة في مكتبة الأوقاف العامّة ببغداد بالرقم (٢٤٢٣٠)، تاريخها سنة ٥١٦.

٤. نسخة في مكتبة العتبة الرضوية بالرقم (١٧٥٨١)، كتبها يحيى بن أحمد بن الحسين في شهر المحرّم من سنة ٥٣٨، قابلها و صحّحها محمد بن محمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلّيّ في سنة ٦٩٦، وعليها بلاغات متعدّدة.

٥. نسخة أُخرى فيها رقمها(٤٩٢٧٧)[1]، تاريخها الرابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٥٤، وهي مشحونة بالحواشي القيّمة وأكثرها من الروايات، وكثير منها لا توجد في

(١) هذه النسخة غير مذكورة في فهرس المكتبة.

مصادرنا، ولكن يا للأسف الشديد ذهب شيء من أوّل النسخة وآخرها.

٦. نسخة قديمة كانت في المسجد الجامع بندوشن من قرى يزد، ويا للأسف الشديد أدّى إهمال المسؤولين إلى فقدانه، وقد وصفها قبل ذلك الباحث ناصر محمّدي في مقالٍ له، فذكر أنّها تعود إلى القرن السادس، وقد سقط شيء من أوّلها وآخرها، وتوجد عبارة في نهاية الجزء الأوّل نصّها: «أتممتُ قراءة هذه المجلّدة الأولى من النهاية على مولانا الصلة الكبير ركن الدين .. في يوم الاثنين سلخ شهر شعبان من سنة خمس وتسعين وخمس مئة حامداً مصلياً مستغفراً»، وفيها أيضاً إنهاء كتبه محمد بن قاسم التاجي المشهديّ لأبي نصر محمد إبراهيم...في سنة ٥٦٨» عليها بلاغات متعدّدة بهذا النحو: «بلغ قراءة على مولانا الإمام ركن الدين دام ظلّه»، وحواشٍ متعدّدة أيضاً[١].

٧. نسخة نفيسة جدّاً في المكتبة المرعشيّة بالرقم (٣١٢٦)؛ نُسخت في جمادى الأولى سنة ٥٩٥؛ وعليها حواشٍ مهمّة استفدنا منها في دراستنا هذه، وهي التي أشرنا إليها في نقل الحكاية المزبورة، وقد عُورضت بنسخة ابن إدريس وخطّ عليّ بن محمد بن السكون في سنة ٦٤٥؛ وتوجد فيها إجازة كتبها المحقّق الحلّي رحمه الله بخطّه للشيخ الفقيه العالم الصالح سديد الدين...بن أحمد في سنة ٦٥٤، وفي الصفحة المقابلة منها خطّ الشيخ البهائيّ رحمه الله بتأييد نسبة الإجازة.

٨. نسخة قيّمة من مكتبة الدكتور المهدوي رحمه الله الخاصّة بالرقم (٤٨٧)، وتوجد مصوّرة منها في جامعة طهران، نسخها أبو الفرج مسعود بن عليّ بن أبي الفرج في ١٨ جمادى الأُولى سنة ٥٤٦، لكنّ (١١) ورقةً من أوّلها كُتبت بخطّ متأخّر، وقد قابَلَها عليّ بن أحمد السديد في سنة ٦٦٣ بنسخة كتبها عليّ بن السكون، وقابَلَها ابن إدريس بنسخة خطّ الشيخ الطوسيّ رحمه الله، على ما ذكره ابن السديد في بلاغه على النسخة، وهي تتضمّن أيضاً إنهاءً كتبه نصر بن محمّد بن أبي البركات سنة ٧٢٦ لبعض تلامذته، والنسخة تشتمل على بعض الحواشي المختصرة، يذكر ابن السديد

(١) معرفی دو نسخه خطی النهاية و الاستبصار: ناصر محمدی، پیام بهارستان ٦٥، آبان ١٣٨٥.

أنّه نقَلَها عن خطّ محمد بن إدريس[١].

٩. نسخة من مكتبة جامعة طهران بالرقم (٥٤٦٧)، كتبها عليّ بن الحسن المقري الوراميني في رجب سنة ٥٤٨.

١٠. نسخة نفيسة كانت في مكتبة المرحوم الخنجيّ وانتقلت إلى المكتبة المرعشية بالرقم (١١٣٧٢)، نسخها أبو القاسم عليّ بن محمد بن عليّ الجاسبيّ القمّيّ في أوّل ذي القعدة سنة ٥٧٩، وأجاز له القطب الراونديّ رحمه الله قائلاً: «قرأه عليَّ الشيخ الإمام العالم وحيد الدين جمال الإسلام أبو القاسم عليّ بن محمد بن عليّ الجاسبيّ -أدام الله سداده- وأجزتُ له روايته عنّي عن مشايخي عن المصنّف - رضي الله عنهم - وقد بيّنتُ له الطرق في رواياتي عنه.وكتب أبو الفضل الراونديّ محمد بن سعيد بن هبة الله الراونديّ في شهور سنة ثمانين وخمسمائة هجرية حامداً مصلّياً مسلّماً».وفي هوامشها حواشٍ قيّمة استفدنا منها في دراستنا هذه.

١١. نسخة من المكتبة المرعشية بالرقم (١٨٤٠) نسخ جزءها الأوّل حيدر بن الحسين في منتصف صفر سنة ٥٣٥، وتتضمّن بلاغات من الشيخ عربي بن مسافر، وعورض بخطّ المصنّف رحمه الله؛ وجزؤها الثاني بخطّ آخر متأخّر كُتِب سنة ١٠٦١.

١٢. نسخة من مكتبة جامعة طهران بالرقم (٦٧٣٧)، سقط شيء من أوّلها وآخرها، في نهاية الجزء الأوّل ما يدلّ على أنّها انتسخت من نسخة كُتِبت سنة ٥٦٧، كتبها ظفر بن محمد بن الحسن بن محمد، وتاريخ النسخة نفسها غير واضح، والظاهر أنّه بعد ٦٢٠ أو ٧٢٠.وهي أيضاً تشتمل على حواشٍ مهمّة استفدنا من بعضها في هذا البحث.

١٣. نسخة من مكتبة ملك بطهران رقمها (٣٩٧٠)، كتبها محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن المتعلّم سنة٦٢٧ [٢]، وقرأها على أبي طالب بن الحسين الحسيني فكتب

(١) مقدّمة النهاية بتحقيق الدكتور دانش پژوه: ١-٤.

(٢) التاريخ المذكور في النسخة ٥٢٧، ولكن تاريخ قراءة الكتاب سنة ٦٣٣، فإذن لا بدّ من وقوع الدسّ والتحريف في تاريخ الاستنساخ وأنّ الصحيح فيه ٦٢٧، كما ذكره الدكتور دانش پژوه في مقدّمة تحقيقه للنهاية: ٦.

لـه: «قـرأ علـيَّ هذا الكتـاب من أوّله إلى آخـره صاحبه الإمام الحافظ تـاج الدين فخر الفقهـاء محمـد بـن الحسـين أدام اللـه .. قراءةَ باحثٍ عـن معانيه مستكشـف عن ... وأنـا قرأتـه علـى الإمام السـعيد المجتهد ...شـيخنا محمد الراونديّ، وهـو أجازني عن الشـيخ ... أبـي جعفـر الطوسـيّ...مولانا أميـر المؤمنين صلـوات الله عليـه، وأنا بريء مـن التحريـف والتصحيف.والحمد للـه كثيراً.كتبه أبوطالب بن الحسـين [الحسـينيّ] بخطّـه فـي غـرّة جمادى الأولى سـنة ثلاث وثلاثين وسـتّمائة هجريّة».

١٤. نسـخة من مكتبة الخادميّ رحمه الله الخاصّة رقمها (٣٠٤)، كتبها الحسـين بن أردشـير بن محمـد بن الحسـن الإندراوذيّ في سـنة ٦٨١، وأنهاها عند العلّامـة الحلّيّ رحمه الله وكتب لـه إجـازة بخطّه في بداية الجـزء الأوّل والثاني.

١٥. نسـخة في مكتبة جامعة برنسـتون بالرقم (١٥٥٧)، وكانت سـابقاً في مكتبة المرحوم مجـد الديـن نصيـري، سـقط مـن أوّلها شـيء يسـير، نسـخها الحسـين بـن محمد بن علـيّ أبـي العـلا بـن تمّام بـن مهدي العسـكريّ في العشـر الآخر من صفر سـنة ٦٤٥.

١٦. نسـخة أخرى فيها أيضاً بالرقم (١٧٧٩)، عليها حواشٍ يسـيرة وبلاغات، نسـخها حسين بن محمد بن جعفر البغداديّ في السـادس عشـر من ربيع الأوّل من سـنة ٦٤٤.

١٧. نسـخة مـن المكتبـة الوطنيـة بتبريـز، كتبهـا يوسـف بـن ناصـر بـن محمد بـن حمّاد الحسـينيّ فـي أواخـر شـهر ربيـع الأول من سـنة ٦٧١.

١٨. نسـخة قديمـة أخـرى فيها، فـي نهاية الجـزء الأوّل منها: «اتّفق الفراغ من نسـخه آخر نهـار الجمعـة سـابع ربيع الآخر من سـنة اثنتي وسـتين وخمسـمائة[1].كتبه محمد بن علـيّ بن محمد بن الحسـين بـن حبد..».

١٩. نسـخة فـي مكتبـة مجلـس الشـورى بطهـران بالرقـم (٢٧٢٧)، نسـخها محمـد بـن مهيار حسـن بن الحسـين (؟) بن عليّ الهرقليّ في الخامس عشـر من شـهر رمضان

(١) وهاتان النسختان كانتا في مكتبة المرحوم محمّد النخجوانيّ، ثمّ انتقلتا إلى المكتبة الوطنية بتبريز، ويا للأسف أنّ هذه المكتبة لم تُفَهرَس بعدُ كاملاً.ورقم الحفظ الكمبيوتريّ للنسخة الأُولى: ١٥٦٣٨٧٣، والثانية: ١٥٢٣٩٩٠.والنسخة الأُولى فُهرست مختصراً في نشرة نسخه هاي خطّى: ٣١٥/٤ أيضاً.

سنة ٦٩٩، وعليها بلاغات متعدّدة، وفي نهاية الجزء الأوّل: «أنهاه أحسن الله توفيقه قراءةً وسماعاً لشرحه نفعه الله تعالى سيّد عليّ ابن السيّد ... العميد الحسينيّ...كتبه الفقير إلى الله تعالى محمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسين بن سعيد الحلّيّ الهذليّ في حادي عشر من (؟) جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وستّمائة هجريّة».وكتب نحو هذا الإنهاء أيضاً في نهاية الجزء الثاني، ولكن تاريخه فيه: ١٥ ربيع الأوّل سنة ٧٠٠.

التعريف بنسخة نفيسة من النهاية

وهناك نسخة قديمة مُهمّة من كتاب النهاية هي موضوع دراستنا هذه، وقد شاهدها ووصفها العلّامة الطهرانيّ رحمه الله في الذريعة مختصراً، فقال: « وأقدم نسخة[١] رأيتها أنا من النهاية العربية بخطّ أبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن الحسن بن موسى الفراهانيّ، فرغ منها ١ رجب ٥٩١، كتبها لنفسه بقلم جيّدٍ يشبه بعض حروفه بالكوفي، وعليها تملُّك بعض العلماء، وهي في مكتبة الطهرانيّ بكربلا»[٢]. يعني بها مكتبة الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف بشيخ العراقين رحمه الله. وأشار إلى النسخة أيضاً في مقدّمة النهاية طبعة النجف.

ثمّ انتقلت المخطوطة إلى مكتبة المدرسة الهنديّة بكربلاء المقدسة، وقد فُهرست في ضمن سائر مخطوطاتها مختصرةً في نشرة المخطوطات الصادرة عن جامعة طهران[٣]، وكانت مدّة من الزمن في المتحف العراقيّ -كما يشاهد عليها ختمه- وهي اليوم أمانة في مكتبة العتبة العبّاسيّة.

والفضل للتعريف بهذه النسخة أوّلاً هو للأستاذ المحقّق أبي جعفر الحلّيّ -دام علاه-، فإنّه عرّف بها مفصّلاً وأشاد بأهمّيّتها. فلنذكر أوّلاً ما تفضّل به من المعلومات الفنّيّة عن النسخة، قال في فهرسته لمخطوطات مكتبة المدرسة الهنديّة:

---

(١) قد مرّ عليك وصف مخطوطات أقدم من هذه النسخة ولم يطّلع عليها العلّامة الطهرانيّ رحمه الله.

(٢) الذريعة: ٤٠٤/٢٤.

(٣) نشريه نسخه هاي خطي كتابخانه مركزي دانشگاه تهران، دفتر ٥، ص ٤٣٧.

النهاية في مجرد الفقه والفتاوى (فقه إماميّ – عربيّ)

تأليف: الشيخ الطوسيّ، محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).

فقه فتوائيّ مختصر مشهور من دون ذكر الأدلّة الاجتهاديّة، في جزأين و(٢٢) كتاباً من الطهارة إلى الديات في أبواب عددها (٢١٤)، اهتمّ به فقهاء الإماميّة تدريساً وشرحاً وتحشيةً وترجمةً وخصّوه بالرواية والإجازة.

[الذريعة: ٤٠٣/٢٤الرقم ٢١٤١، التراث العربيّ المخطوط: ٢٠٢/١٣]

أوّل النسخة:

«الحمد لله مستحقّ الحمد وموجبه، وصلّى الله على خيرته من خلقه محمّد وآله الطاهرين من عترته وسلّم تسليماً كثيراً، كتاب الطهارة، ماهيّة الطهارة وكيفيّة ترتيبها، الطهارة في الشريعة اسم لما يستباح به الدخول في الصلاة..».

آخر النسخة:

«مثل العود والطنابير وما أشبه ذلك، لم يكن عليه شيء، فإن أتلف ذلك على ذمي في حرزه كان عليه ضمانه، فإن أتلفه عليه، وكان قد أظهره لم يكن عليه شيء على حال».

نسخ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن الحسن بن موسى الفراهانيّ، غرّة شهر رجب سنة ٥٩١هـ، نفيسة للغاية، مشكولة، عليها بلاغات المقابلة، كُتِبت على نسخة المؤلّف رحمه الله كما جاء في آخر كتاب الطلاق (ق ١١٢ ظ)، ونصّ عبارة الناسخ هي: (آخر المجلّدة الثانية من أصل الشيخ رضي الله عنه)، والمجلّدة الأولى انتهت في آخر كتاب المكاسب (ق ٧٥ ظ)، مشحونة بالحواشي إلى (ق ٣٦) ومنها بإمضاء: (ط)، و(ف ط)، و(ع ف)[1]، والكثير منها نُقل من كتب الشيخ الصدوق،

(١) هكذا أُفيد، ولكن ظهر بعد المراجعة أنّ رمز (ط) إشارةٌ إلى كتاب المبسوط للشيخ الطوسيّ، و(ف) إشارة إلى كتاب الخلاف له، وذكرهما معاً إشارة إلى وجود المطلب في كلا الكتابين.

والشيخ المفيد، والشيخ الطوسيّ الفقهيّة، ومن جامع البزنطيّ أيضاً، وقورنت بعض الأقوال فيها بأقوال محمّد بن إدريس الشافعيّ (ت ٢٠٤هـ)، وهذه الأوراق عليها شرح غريب اللغة، الورقات (٤- ٧) فيها فهرس الكتاب، وكلّ صفحة منه فيها عمودان كتب فيهما أسماء الكتب بالمداد الأسود بخطٍّ أشبه بالخطّ الكوفيّ وكلمة (باب) بالمداد الأحمر وعنوان الباب بالمداد الأسود، ظهر (ق ٧) ـ مفتتح الكتاب ـ وما رقع من النسخة كتب بخطٍّ متأخّر عن الأصل وأحتمل أنّه كتب في القرن الثاني عشر، والورقات (٦٤-٧٠) كتبت بخطٍّ متأخّر أيضاً وأحتمل أنّها كتبت في القرن الثامن، الأوراق (٢- ٥٢) مخرومة الأصل ومرقّعة (مرممّة) وخرمها يقلّ شيئاً فشيئاً، والترميم حدث في عهد الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ (ت١٢٨٦هـ) أو قبله، الإنهاء جاء في (ق ١٦٣و) وبعده ثلاثة أبيات للسريّ الرفّاء (ت ٣٦٦هـ)، وفي ظهرها عمل لدفع الحمّى وصورة اسم الله الأعظم ودعاء ختم القرآن منقول عن الإمام زين العابدين عليه السلام (ت ٩٤ هـ) وينتهي بآخر (ق ١٦٤و) وبعده حديث عن الإمام الصادق عليه السلام غير مرويّ في الكتب، وفي ظهرها (١٣) حديثاً عن الأئمّة عليهم السلام وكلام للبهلول مع الخليفة، وأحاديث الأئمّة بعضها غير مرويّ في الكتب أيضاً، بعد الغلاف ثماني ورقات فارغة، الورقة الثانية والثالثة فيهما رسالة في خواصّ السور القرآنيّة كُتبت باللغة الفارسيّة وهي مرويّة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، وفي ظهر الثالثة بعض الأحاديث والأشعار، عليها تملّك عليّ بن محمّد السقاحيّ الجزائريّ بتاريخ ١٠١٠هـ (ق ٢و)، وكتب في (ق٣٨ ظ) ما نصّه: (بسم الله الرحمن الرحيم، دخل هذا الكتاب الموسوم بنهاية شيخ الطائفة، رئيس الفقهاء، إمام أولي النهى، مقتدى أهل التقوى، الشيخ الطوسيّ، في ملك أفقر عباد الله، وأحوجهم إلى رحمته: عليّ

وأمّا (ع ف) فلم يظهر المراد منه.

بن محمّد الجزائريّ السقاحيّ، ساكن بلدة يزد المحروسة من الآفات والبليّات، جرى ذلك التحرير- وإن كان الملك [التملّك- ظ] سابقاً- في ربيع الثاني سنة أربع وعشرين وألف من الهجرة النبويّة) وختمه ممسوح، وتملّك محمّد بن عبد الرحيم بن داود الأسترآباديّ، وختمه الدائريّ: (ملك عبد محمّد: ابن داود محمّد) وجاء تملّكه وختمه بعد الإنهاء وفي (ق ٧) أيضاً، كتب الشيخ عبد النبيّ الكاظميّ (ت ١٢٥٦هـ) ـ صاحب تكملة الرجال ـ ما نصّه: (هو من جملة الكتب التي استأجرها جناب الأكرم المكرّم ملّا محمّد عليّ نجل كهف الحاجّ حاجّ ميرزا الرشتيّ، وجعل توليته بيدي فجزاه الله عنّي خير جزاء المحسنين، ووفّقه للخير آمين ربّ العالمين، وأنا الحقير عبد النبيّ ابن حاجّ عليّ الكاظميّ أصلاً ومدفناً إن شاء الله)، وبجنبها عبارة: (استعرته من جناب الشيخ عبد النبيّ، وأنا الأقلّ: أسد الله) وهو الشيخ أسد الله الدزفوليّ الكاظميّ (ت ١٢٣٤هـ)، في (ق٤ ظ) الوقفيّة المذكورة في النسخة ذات الرقم (١) مع ذكر اسم الكتاب، عليها ختم مكتبة الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ، وختم المكتبة الجعفريّة.

الغلاف: جلد أحمر.

١٦٤ ق، ٢٨ س، ٥، ١٩ × ٣٠ سم.

والناسخ كتب نسخة من كتاب (الانتصار في مفردات الإماميّة) لعلم الهدى، عليّ بن الحسين الموسويّ (ت٤٣٦هـ) بتاريخ ٢٥ ذي القعدة سنة ٥٩١هـ في بلدة كاشان بمحلة باب ولان، والنسخة موجودة في مكتبة السيّد المرعشيّ بقمّ المقدّسة، وتقع بالرقم (٣٥٩٨)[1].

(١) فهرس مخطوطات المكتبة الجعفريّة في المدرسة الهنديّة في كربلاء المقدّسة (قيد الإنجاز)، إعداد وفهرسة: الأستاذ أحمد علي الحليّ، وسيصدر عن مركز تصوير المخطوطات وفهرستها التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ هذه النسخة قورِنَت بنسخة الشيخ الجليل قطب الدين الراونديّ رحمه الله على ما يظهر من حاشية فيها، حيث ينقل عن «نسخة الإمام قطب الدين»[1].

فبعد التأمّل فيما أفاده هذا المحقّق الخبير تجد مدى أهمّيّة هذه النسخة، وأنّها تستحقّ دراسة مستقلّة. ولذا أفردنا لها بحثاً شاملاً لبيان ما احتوته هذه المخطوطة من الفوائد؛ ومن المؤسف اندراس كثير من أوراق المخطوطة وسقط بعضها ممّا أوجب نقصاً في تلك الفوائد المهمّة، فبذلنا جهدنا في نقل ما بقي منها، وجعلناه في فصلين:

(١) هو الشيخ قطب الدين أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسن المقرئ النيسابوريّ، أستاذ السيّد ضياء الدين وقطب الدين الراونديّ، يروي عن أبي علي الطوسيّ عن أبيه الشيخ الطوسيّ رحمه الله كتاب النهاية وسائر مصنّفاته، له تصانيف، طُبِع منها: التعليق في الكلام، ورسالة الحدود في شرح مصطلحات المتكلّمين. (ينظر تكملة أمل الآمل: ٢٧/٥)

الفصل الأوّل: في فوائد الأوراق النهائيّة من المخطوطة

قد مرّ عليك في بيانات المخطوطة أنّ النسخة ناقصة من الآخر، وقد سقط شيء من الفوائد أيضاً في ضمن الأوراق الساقطة، فالموجود منها يبتدئ من أواسط دعاء ختم القرآن من قوله عليه السلام: «استضاؤوا بنوره...»، وهو الدعاء (٤٢) من الصحيفة الشريفة السجاديّة، ثمّ بعده عدّة أحاديث، وفوائد أُخَر، وهي كما يأتي:

قال البُهلول للخليفة: رفعتَ الطين ووضعتَ الدين، إن كان من مالك [فقد أسرفتَ][1] والله لا يحبّ المسرفين، وإن كان من مال غيرك فقد خُنتَ والله لا يحبّ الخائنين.

عن الصادق عليه السلام: «مَن عَرَفَ الحَقَّ وآمَنَ به فهو مُؤمِنٌ، ومَن لَم يَعرِف الحقَّ ولم يُنكِرهُ فهُوَ ضالٌّ، ومَن جَعَلَ الحقَّ باطلاً والباطِلَ حَقّاً فَهُوَ كافِرٌ».

دَخَلَ رجلٌ على الصادق عليه السلام فقال له: «والله إنَّ لَكُم الفَضلَ علينا!»؛ فقال له: يا بن رسول الله، كيف؟! فقال له: «إنَّكم تُؤذَون عَنّا ولا نُؤذىٰ فيكم».

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّا معاشِرَ أَهلِ البَيت خُلِقنا للكَدِّ والتَّعَب والبلاءِ والنَّصَب، وإنَّما الراحَةُ لِغَيرِنا».

عن الصادق عليه السلام: «اجعَل الدنيا مَجلِسَين: مجلِساً في طلب الحلالِ، وَمَجلِساً للآخِرَة؛ والثالِثُ يَضُرُّ وَلا يَنفَعُ وَلا تُرِده. واجعَل المالَ درهَمَين: دِرهَماً تُنفِقُه على عيالِكَ، ودِرهَماً تَتَصَدَّقُ به؛ والثالثُ يَضُرُّ وَلا يَنفَع فَلا تُرِدهُ».

من كتاب المشيخة[2]: الحسن بن مَحبوب، عَن عَبد الله بن جُندَب، قال: كَتَبتُ

(١) العبارة ممحوّة في المخطوطة، وأثبتناها بملاحظة السياق.

(٢) كتاب المشيخة للحسن بن محبوب، كان من الكتب المعروفة المعوّل عليها عند قدماء الإماميّة، وهو مفقود اليوم، لكنه استطرف ابن إدريس رحمه الله شيئاً منه في نهاية السرائر: ٥٨٩/٣.

إلى أبي الحَسَن موسى عليه السلام أسأله عن الرجل يُريدُ أن يَجعَل أعمالَه من الصلاةِ والخَيرِ والبِرِّ أثلاثاً: ثُلثاً له وثُلثَين لأبَوَيهِ، أو يُفردهما من أعمالِه ممّا يتطوَّع به بشَيء معلوم، وإن كان أحَدُهُما حيّاً والآخَر ميّتاً؟ فكَتَب لي عليه السلام: «أمّا للميّت فَحَسَنٌ، وأمّا للحيِّ فلا، إلّا البِرُّ والصلة»[١].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «خُصِّصنا بخَمسٍ: بِسَماحَةٍ، وصَباحَةٍ، وفَصاحَةٍ، وشَجاعَةٍ، وحِظوَةٍ عند النساء»[٢].

قال الصادق عليه السلام: «إذا عَرَضَت لِأَحَدِكُم حاجَة فَليَستَشِر رَبَّه، فإن أشارَ عَليهِ اتَّبَعَ وإن لَم يُشِر عليه تَوَقَّفَ». قال: فقلتُ: سَيّدي! وكَيفَ أعلم ذلك؟ قال: تسجُدُ عَقيبَ المكتوبَة وَتقولُ: "اللّهمَّ خِرْ لي" مائةَ مَرَّة، ثمَّ تَتَوَسَّلُ بنا وَتُصَلّي [علينا][٣] وَتَستَشفِعُ بنا، ثمَّ تنظرُ ما يُلهِمُك فافعَلهُ؛ فَهذا الذي أشارَ عليكَ»[٤].

خَبَرٌ مَرويٌّ عن الأئمَّة عليهم السلام في الصلاة على المصلوب:

عَن أبي هاشِمٍ الجَعفَريّ، قال: سألتُ الرضا عليه السلام عَن الصلاةِ على[٥] المصلوب، فَقَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ جَدِّي صَلَّى عَلَى عَمِّهِ؟!» قلتُ: لَم أَفْهَمهُ مُبَيَّناً[٦]، قَالَ: «إنّي مُبَيِّنُهُ لَكَ، إِنْ كَانَ وَجْهُ الْمَصْلُوبِ إِلَى الْقِبْلَةِ فَقُمْ عَلَى مَنْكِبِهِ الْأَيْمَنِ، وإِنْ كَانَ قَفَاهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَقُمْ عَلَى مَنْكِبِهِ الْأَيْسَرِ[٧]، وإِنْ كَانَ مَنْكِبُهُ الْأَيْسَرُ إِلَى الْقِبْلَةِ، فَقُمْ عَلَى مَنْكِبِهِ الْأَيْمَنِ[٨]، فَكَيْفَ

(١) رواه الحميريّ عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب مع اختلاف يسير (قرب الإسناد: ٣١١، ح ١٢١٢)

(٢) رواه في الخصال:٢٨٦، ح ٤٠ مع بعض التغيير في الترتيب وذكر بدل (وشجاعة): «ونجدة»؛ وكذا في البيان والتبيين: ٢٦٣؛ وفي عيون الأخبار: ابن قتيبة: ٢٦/٤ بدله: «ورجاحة».

(٣) الزيادة من أمالي الطوسيّ: ٢٧٥/١٠ /ح ٦٣.

(٤) أمالي الطوسيّ: ٢٧٥/١٠ /ح ٦٣.

(٥) ليست في الكافي والتهذيب: «الصلاة على».

(٦) في المصادر هكذا: «أعلم ذلك [ذاك] ولكنّي لا [لم] أفهمه مُبَيَّناً».

(٧) في المصادر زيادة: «فإنَّ ما بين المشرق والمغرب قبلة»؛لكن في التهذيب: فإنّ بين المشرق..إلخ.

(٨) في المصادر زيادة: «وإن كان منكبه الأيمن على القبلة فقُم على منكبه الأيسر».

كَانَ مُنْحَرِفاً فَلَا تُزَايِلَنَّ مَنَاكِبَهُ، ولْيَكُنْ وَجْهُكَ إِلَى مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ، ولَا تَسْتَقْبِلْهُ ولَا تَسْتَدْبِرْهُ الْبَتَّةَ»[١].

قوله عليه السلام للزُّبَير: «فَما عَدا مِمّا بَدا»[٢]؛ قال أبو العَبّاس[٣]: ما الذي ظَهَرَ مِنكَ منَ التَّخَلُّفِ بَعدَ ما ظَهَرَ مِنكَ من الطاعَةِ؟[٤] وقيل: ما صَرَفَكَ وَشَغَلَكَ عمّا كانَ بَدا لَنا من نُصرَتِك، وقيل معناهُ: مابَدا لك منّي وصَرَفَكَ عنّي.

عن العسكريّ عليه السلام أنَّه قال: «مَن ماتَ وعليه شيء من صلاة أو صيام أو حَجٍّ أو عِتقٍ أو كفّارة يمين، فليَقضِ عنه وليُّه الأكبر من الرِّجالِ، وليس عَلى وَليِّه من النِّساء شيءٌ من ذلك إلّا أنْ تُحِبَّ أن تفعلَ ذلك مُتَبَرِّعَةً»[٥].

رُويَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قام خَطيباً، فقال: «مَن طَلَبَ الدُّنيا سَعياً على عيالِه وَاستغناءً عن الناس لَقيَ اللهَ تعالى يومَ القيامةِ وَوَجهُهُ كالقَمَر ليلةَ البَدرِ؛ ومَن طَلَبَ الدنيا حَلالاً مُكاثِراً لَقيَ اللهَ تعالى وهُوَ عَلَيهِ غَضبان»[٦].

---

(١) ورد الخبر مع اختلاف يسير في: الكافي: ٢١٥/٣، ح٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥٦/١، ح ٨؛ التهذيب: ٣٢٧/٣، ح ٤٧.

(٢) هذا من كلام مشهور له عليه السلام وقد صار مثلًا سائراً، قال الشريف الرضيّ: «وهو عليه السلام أوَّلُ مَن سُمِعَت منه هذه الكلمة». قاله عليه السلام لمّا أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل، نهج البلاغة: ٧٤، الرقم ٣١ من باب الخطب؛ تاريخ دمشق: ٤٠٥/١٨، و١٨٧/٢٨؛ البيان والتبيين: ٤٩٦؛ عيون الأخبار: ٢٩٢/١. وروي أنّه عليه السلام قالها للزبير مباشرةً، كما في المعيار والموازنة: ١١٣، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهرآشوب: ١٥٤/٣.

(٣) هو محمد بن يزيد المبرِّد الأديب اللغويّ الشهير (٢١٠-٢٨٦).

(٤) نقله أبو عبيد عن أبي العبّاس في الغريبين: ١٢٤٠/٤.

(٥) لا توجد هذه الرواية في ما بأيدينا من المصادر.

(٦) ينظر: المصنّف: ابن أبي شيبة: ٥/ ٢٥٨/ح٧، شعب الإيمان: ٢٩٨/٧، تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام): ١٦١.

الفصل الثاني: في فوائد حواشي المخطوطة

قد مرّت الإشارة إلى قيمة هذه الحواشي المهمّة، وهي على أنحاء:

فمنها: ذكر الروايات المرتبطة بنصّ النهاية.

ومنها: نقل فتاوي الفقهاء، وأكثرها عن الشيخ الطوسيّ، والمفيد، والصدوق، والسيّد المرتضى، وابن البرّاج، وقد ينقل عن الإمام قطب الدين -وهو الراوندي-، وسلّار، والشيخ أبي جعفر النيسابوري؛ وكثيراً ما ينقل عن الخلاف، والمبسوط، والتهذيب، والاستبصار، والانتصار، والمقنعة -وقد يُعبّر عنها بـ: الرسالة، أو: الرسالة المقنعة- والمُهذّب، ومَن لا يحضره الفقيه، والجمل، والعقود.

ومنها: تعليقات في توضيح نصّ النهاية أو الكلمات المغلقة فيها -وبعضها منقولة عن علماء اللغة مثل أبي عبيدة والجوهريّ- وتتضمّن أيضاً بعض الانتقادات على النهاية.

ومنها: فوائد فقهيّة مرتبطة بمفاد النصّ.

فعمدنا إلى مهمّات تلكم الحواشي وبخاصّة تلك التي لا تتوافر في المصادر الموجودة اليوم؛ حرصاً على حفظ التراث الفقهيّ والروائيّ الشيعيّ؛ فجعلنا الحواشي في قسمين رئيسين: الروايات، وسائر الحواشي، فإليك ما اخترنا منها:

القسم الأوّل؛ في الروايات المنقولة فيها:

تتضمّن الحواشي -تناسقاً مع المتن- روايات متعدّدة عن المعصومين عليهم السلام. والمهمّ أنّ بعضاً منها لا توجد في أيٍّ من مصادر الإمامية، أو توجد مع بعض الاختلاف؛ إذ نُقِلت من مصادر مفقودة من تراثنا الروائي، ممّا يؤكّد أهمية هذه الحواشي. وفي ما يأتي إشارة إلى أهمّ ما ورد فيها من الروايات:

منها: بعض الروايات المنقولة عن كتاب الجامع[1] لأحمد بن محمد بن أبي نصر

(١) قد أفردنا مقالًا مستقلاً عن هذا الكتاب ومؤلّفه وما عُثر عليه من منقولاته في الكتب الفقهية، سينشر إن شاء الله تعالى في إحدى المجلّات.

البزنطيّ، وهذا الكتاب كان من أهمّ الكتب الفقهيّة والحديثيّة في زمانه، وكان من مصادر الفقهاء المتقدّمين ينقلون عنه آراء البزنطيّ والأحاديث الواردة فيه، فمن المهم العثور على نصوص من هذا الكتاب المفقود في ضمن حواشي نسخة النهاية، فإليك ما وجدنا من المضامين المنقولة عن كتاب الجامع في الحاشية:

١. في جامع البزنطيّ: حدّثني علاء عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام: «إذا أردتَ أن تَغتَسِلَ من الجنابة فاغسِل يَدَيك وفَرجَك وما أَصابَك مِنَ المَنيّ، ثمَّ صُبَّ على رأسك ثلاثاً وجانِبَك الأيمَن بمثله والأيسر، ثمّ أفرغ على سائر جَسَدك الماء، فإنَّه يُجزيك ما مَرَّ على ...[١] معه بمنزلة الدَّهن»[٢].

٢. في جامع البزنطيّ: إذا كان الدَّم لا يثقب الكرسف صلَّت في المسجد، وإن ثَقَب الكرسف قامَت في غير المسجد وسَجَدَت في العزائم، وإذا طَهُرت المرأة ثمَّ رأَت الصفرة بعد الطُّهر توضَّأت لوقت كلّ صلاة.(١٢-أ)

٣. في جامع البزنطيّ: مفتاح الصلاة: «الله أكبر-ثلاثاً-اللّهمَّ أنت الملك الحقُّ المُبين»؛ ثمَّ يُكبِّرُ تَكبيرَتَين ويقول: «وَجَّهتُ وجهي..» إلى آخره[٣]؛ ثمَّ يقول: «لَبَّيك وسَعدَيك، الله أكبر الله أكبر، أعوذ بالسميع العَليم من الشيطان الرجيم»[٤].

٤. في جامع البزنطيّ: إذا ركعتَ فقُل: «خَشَعَ قلبي وسَمعي وبَصَري -إلى آخره-[٥]»، ثمَّ تُسَبِّحُ ثلاثاً، ثمَّ تَرفَعُ رأسَك، فإذا أَرَدتَ أن تهوي إلى السجود

---

(١) كلمة لا تقرأ بسبب خرم في حاشية النسخة، ويبدو أنّها: «جسدك».

(٢) روى الكلينيّ بإسناده عن عن صفوان بن يحيى عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن غسل الجنابة، فقال: «تبدأ بكفّيك فتغسلهما، ثمّ تغسل فرجك، ثمّ تصبّ الماء على رأسك ثلاثاً، ثمّ تصبّ الماء على سائر جسدك مرتين، فما جرى عليه الماء فقد طهر».الكافي: ٤٣/٣، ح١، وروى نحوه في التهذيب: ١٣٢/١، ح ٥٦ بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن صفوان وفضالة، عن العلاء، عن محمد بن مسلم.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٩.

(٤) ٢٠- ب. وذكر الشهيد رحمه الله في ذكر الاستعاذة: «ورُوي: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم؛ رواه البزنطيّ عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام».الذكرى: ٣٣٠/٣.

(٥) تمامه على ما في النهاية: ٧١: « خشع لك سمعي وبصري وشعري وبشري ومُخّي وعصبي وعظامي

فقُـل: «سُـبحانَك وَبِحَمـدِك، بِحَولِـك وقُوَّتِك أَقـومُ وأَقعُد»، وتقول في السـجودين مثلـه؛ ثـمَّ تقـوم وتقـول: «سُـبحانَك وَبِحَمـدِك، بِحَولِك أَقـومُ وأَقعُـد»[١].

٥. فـي جامـع البزنطـيّ: التَشَـهُّد تشَـهُّدان: فالذي فـي الثانيـة رواه معاوية بن وهب عـن أبـي بصيـر عن أبـي عبد الله عليه السلام: «بسـم الله وبالله وخير الأسـماء لله،اللّهمَّ صـلِّ علـى عبـدك ورسـولك وتَقَبَّـل شـفاعَتَه في أُمَّتـه وأعـلِ درجتَه»؛ ثمَّ تسـكتُ قليـلاً، ثـمّ تقـول: «أشـهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شـريك له، وأشـهد أنَّ محمّداً عبده ورسـوله».

٦. والـذي فـي الثالثـة أو الرابعة: فتقول حين تجلس: «الحمد لله، أشـهد أن لا إله إلّا اللـه وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أنَّ محمّداً عبده ورسـوله، بسـم اللـه، التحيّات لله-إلـى آخـره-»[٢][٣].[٤] فـي جامع البزنطـيّ: حدَّثَني جميل، عن زرارة: سـألتُ أبا جعفـرٍ عليه السلام عـن رجـل صلّى خمسـاً، قـال: «إن كان جَلَس فـي الرابعة وتَشَـهَّد فقد تَمَّت صلاته».

ومنهـا: مـا نُقِـل فيهـا عـن كتاب عَـوض المجالـس[٥] هكذا: ذكر الشـيخ أبـو جعفر بن

وما أقلّته قدماي، غير مُستنكفٍ ولا مُستحسر ولا مُستكبر».

(١) ٢١-أ.

(٢) هكذا في المخطوطة، ولاحظ تمام التشهُّد بهذه الصيغة في النهاية: ٨٤.

(٣) أشار المحقّق الحلّي رحمه الله إلى هذه الرواية من كتاب الجامع، حيث قال: «و قال أحمد بن أبي نصر البزنطيّ في جامعه: التشهُّد تشهُّدان: في الثانية والرابعة، فأمّا الذي في الثانية فما ذكره معاوية بن عمّار، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ولم يذكر نصَّ الرواية؛(المعتبر: ٢٢١/٢). وقال في موضع آخر أيضاً: «وأفضل التشهّد ما رواه أبو بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: إذا جلست في الثانية فقل: بسم اللّه وبالله..»وساق التشهّد باختلاف مع المنقول هنا، ثمَّ قال بعده: «وفي رواية أحمد بن أبي نصر البزنطيّ، عن معاوية بن عمّار، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام: فاذا قلت هذا فقد خرجت من الصلاة».(المعتبر: ٢٣٢/٢).

(٤) ٢٠-أ، وذكر بعد نقل هذا عن كتاب الجامع: وأنت مخيَّر بين هذه الرواية وما في النهاية.

(٥) ذكر النجاشيّ من تصانيف الشيخ الصدوق رحمه الله: العرض على المجالس، وذكره ابن شهرآشوب بعنوان: العوض عن المجالس (رجال النجاشي: ٣٨٩، معالم العلماء: ١١٢)؛ وينقل ابن طاوس

بابويه رحمه الله في كتاب عَوض المجالس: قال الصادق عليه السلام: «لا بأس بتبعيض الغسل، تغسل يديك وفرجَك ورأسَك، وتُؤَخِّر غسل جسدك إلى وقت الصلاة، ثُمَّ تغسل جَسَدَك[1] إذا أردتَ ذلك، فإن أحدثتَ حَدَثاً من بولٍ أو غائط أو ريح أو منيٍّ[2] بعد ما غسلت رأسَك من قبل أن تغسل جسدك فَأَعِد الغُسل من أوّله».(١١-أ)

ومنها روايات أُخر ذُكِرت من غير اسم المصدر، ومن المطمأنّ له أنّها أُخذت من مصنّفات قدماء الأصحاب ممّا لا يتوافر الآن بأيدينا، لعدم وجود تلك الروايات في مصادر الإماميّة الموجودة، أو وجودها مع اختلاف في المتن، أو روايتها بإسناد آخر،

خبراً عن هذا الكتاب بعنوان: العوض عن المجالس.وهذا الحديث ينقله الفقهاء عن (عرض المجالس)، ولعلّ هذا العنوان هو الصحيح في اسم الكتاب، إذ لا يكاد يوجد معنى محصّل لـ: (عوض المجالس) أو: (العوض عن المجالس). واشتهر بين المتأخّرين أنّ هذا الكتاب بعينه كتاب الأمالي، ولكنّ الظاهر خلافه، إذ ما نقله ابن طاوس لا يوجد في كتاب الأمالي.

وأمّا الحديث المنقول هنا فهو المأخذ الوحيد في مسألة وقوع الحدث أثناء الغسل -وإن تكلّم الفقهاء في سنده من جهة الإرسال- فقد أشار إليه الشهيد في الذكرى ٢٤٨/٢ وغيره من الفقهاء، وأوّل مَن نقل نصَّه تماماً هو السيّد العامليّ في المدارك ٣٠٨/١. ولكن هذا النصّ بعينه موجود في كتاب الهداية للشيخ الصدوق رحمه الله/٩٦، ونقله أيضاً في مَن لا يحضره الفقيه ٨٨/١ عن رسالة والده إليه؛ وكذا يوجد في الفقه الرضويّ: ٨٥، لكنه في جميع المصادر لم يُسند إلى الإمام عليه السلام. فيحتمل أنّ الناقل الأوّل لهذا النصّ وجده في كتاب الهداية أو رسالة ابن بابويه، فزعم أنّه كتاب عرض المجالس.ويؤيّده أنّا وجدنا نصّاً آخر في نهاية نسخة من النهاية -موجودة في المكتبة المرعشية بالرقم ٣١٢٦- هكذا: «حَكى الشيخ أبو جعفر بن بابويه في كتاب عوض المجالس: قال الصادق عليه السلام: لا يجوز [للحائض والجنب أن يدخلا] المسجد إلّا مُجتازَين، ولهما أن يأخذا منه، وليس لهما أن يضعا فيه شيئاً، لأنَّ ما فيه [لا يقدران على أخذه من غيره]، وهُما قادران على وضع ما معهما في غيره» -ما بين المعقوفين ممّا ساقط إثر انخرام النسخة-؛ وهذا النصُّ أيضاً موجود مع اختلاف يسير في كتاب الهداية: ٩٧، بل يقع عقيب النصّ الأخير بلا فصل، وكذا في فقه الرضا عليه السلام: ٨٥، ويوجد أيضاً في من لا يحضره الفقيه: ٨٧/١، وإن لم يُسند في أيّ من هذه المصادر أيضاً إلى الإمام عليه السلام.

(١) سقط باقي الرواية في نسختنا هذه لانخرام أطراف النسخة، ولكن وجدناها منقولة كذلك في حاشية نسخة أُخرى من النهاية -وهي في المرعشية بالرقم ٣١٢٦ التي مرّ وصفها- في الورقة ١٥-أ.

(٢) لا توجد في المصادر: «أو منيٍّ».

وقد رجّحنا حفظاً لتُراث الشيعة ذكر جميع هذه الروايات:

١. قيلَ لأبي عبد الله عليه السلام: ما أدنى النصب؟ فقال: «أن تقول: هُم كلُّهم سواء»[١].(٩-أ)

٢. قال الباقر عليه السلام: «المُستحاضة تنتظر أيّام أقرائها ثمّ تستظهر على ذلك بيوم»[٢]. (١٢-أ)

٣. عن محمد بن مسلم، قال: صلّى أبو عبد الله عليه السلام الزوال، ثمَّ قال: «تدري لِمَ يُصَلّى الزوال؟إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُصَلّيها ويستجير في دُبُر كلّ ركعتين من النار ويرفع يديه».(١٨-أ)

٤. ابن أبي يعقوب[٣]، قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: الجُنُب يمرُّ بالركيّة، يدخل فيها؟ قال: «ربُّ الصعيد هو ربُّ الماء، لا يدخل فإنَّه ينجس ماء البئر ولم يتَطَهَّر هو»[٤].(٩-ب)

٥. سُئل أبو جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾[٥]، قال: «من النوم الذي يجب فيه الوضوء... ولا يسمع الصوتَ، وقد تنام العينان وتسمع الأُذُن، فإذا لم تسمع الأُذن فقد وجب الوضوء، وإذا سمعت الأُذن ونامت العين لم ينقض الوضوء»[٦].

٦. الحسن بن محبوب، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم قال: سألتُ أبا جعفرٍ عليه السلام عن رجل نام عن الظهر حتّى دخل وقت العصر، أو كان نسيها، ثمّ قام فصلّى

---

(١) هذه الرواية موجودة في نسخة النهاية الموجودة في مكتبة المرعشي بالرقم ١١٣٧٢، الورقة ١٠-ب.

(٢) ينظر التهذيب: ١٧١/١، ح ٦٠؛ و٤٠١/١، ح ٧٦.

(٣) كذا؛ والظاهر أنّ الصحيح: ابن أبي يعفور.

(٤) وروى الكلينيّ بإسناده عن ابن أبي يعفور وعنبسة بن مصعب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أتيتَ البئر وأنت جُنُبٌ ولم تجد دلواً ولا شيئاً تغرف به فتيمَّم بالصعيد، فإنَّ ربَّ الماء وربَّ الصعيد واحد، ولا تقع في البئر ولا تُفسِد على القوم ماءهم».الكافي: ٦٥/٣، ح٩؛ ونحوه في التهذيب: ١٨٥/١، ح ٩.ولاحظ أيضاً: الكافي: ٦٥/٣، ح٧؛ ومَن لا يحضره الفقيه: ١٠٥/١.

(٥) سورة المائدة الآية ٦.

(٦) ينظر التهذيب: ٧/١، ح ٩.

العصر؟فقال: «يجعل الذي صلّى الظهرَ، ويُصَلّي العصرَ»[١].(١٨-ب)

٧. عن محمّد بن مسلم، قال سألت الصادق عليه السلام عن الرجل تُمطِر السماء [فـ]يمرُّ في القذر والطين، أيغسل رِجلَيه إذا دخل المسجد؟قال: «الأرض تُطَهِّر بعضُها بعضاً»[٢].(١٧-ب)

٨. أحمد بن عبد الرحيم أبو الصخر[٣]، قال: رأيتُ أبا جعفرٍ عليه السلام[٤] حين أُقيمت الصلاة رفَعَ يديه حتّى انتَهَيا مُنتَهاهما، ثمّ مَسَحَهما على رأسِه ووَجهِه.(٢٠-أ)

٩. قال الصادق عليه السلام: «إذا أَقام للصلاة فَقَد وَجَب على الناس الصمتُ والقيام، إلّا أن لا يكون للقوم إمامٌ يقدّم بعضهم بعضاً».(٢٠-أ)

١٠. عن محمّد بن سنان، عن معاذ بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام: «تُقرأُ الإخلاص والجحد في سبعة مواطن: في أوّل صلاة الليل، وفي أوّل صلاة النهار، والركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، وركعتي الإحرام، وركعتي الطواف، وإذا خفتَ فوت صلاة»[٥].(٢١-ب)

---

(١) ينظر التهذيب: ٢٦٩/٢، ح ١١١.

(٢) نقل شمس الدين الجباعيّ رحمه الله في مجموعته القيّمة عن جامع البزنطيّ نحوه، وفيه هكذا: «قال: وقلت له -أعني الصادق عليه السلام-: إنّ طريقي إلى المسجد في زقاق يُبال فيه، فربما مررت فيه وليس عليَّ حذاء فيلصق برجلي من نداوته، قال: أ ليس تمشي بعد ذلك في أرض يابسة؟ قلت: بلى؛ قال: فلا بأس؛ إنّ الأرض تُطهّر بعضها بعضاً».ونقله ابن إدريس في مستطرفات السرائر: ٥٥٥/٣ عن نوادر البزنطيّ؛ وقد ذكرت في مقال مستقلّ أنّ القسم المنقول في المستطرفات عن نوادر البزنطيّ من سهو ابن إدريس، وإنّما هو مأخوذ من جامع البزنطيّ لا نوادره.

(٣) ورد في المخطوطة شبيهاً بـ: (أبو الفتح)، والصحيح ما أثبتناه فإنّه بهذا العنوان ورد في أسناد أُخر، ينظر الكافي: ١٨٥/٣، ح ٦ و١٨١/٤، ح ٥؛ وهو مجهول لم يُذكر في كتب الرجال.

(٤) الظاهر أنّ المقصود به الإمام الجواد عليه السلام على ما تشهد به طبقة أحمد بن عبد الرحيم.

(٥) ٢١-ب.روى الكلينيّ عن عبد الله بن المغيرة عن معاذ بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا تدع أن تقرأ بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون في سبعةمواطن: في الركعتين قبل الفجر، وركعتي الزوال، وركعتين بعد المغرب، وركعتين من أوّل صلاة الليل، وركعتي الإحرام، والفجر إذا أصبحت بها، وركعتي الطواف».الكافي: ٣١٦/٣، ح ٢٢.ورواه أيضاً بهذا النحو في الخصال: ٣٤٧، ح ٢٠.

١١. سُئل الصادق عليه السلام عن القنوت، فقال: «في كلِّ صلاة يُجهَر فيها من المكتوبة»؛ وعن الصلاة النافلة، فقال: «مثنى مثنى».(٢١-ب)

١٢. عن بُريد العجليّ، عن الباقر عليه السلام: «طول اللبث في الركوع والسجود أفضل من كثرة القراءة، لقول الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[١]، إنَّما عنى بإقامة الصلاة طول اللبث في الركوع والسجود».قلتُ: أيُّهما أفضل، كثرة القراءة أو كثرة الدعاء؟قال: «كثرة الدعاء، أما تسمع: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْ لاَ دُعَاؤُكُمْ﴾[٢]»[٣]. (٢١-ب)

١٣. عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا دخل وقت الصلاة المكتوبة يقرأ (إنّا أنزلناه).ولا صلاة نافلة حتّى يبدأ بالمكتوبة».هذا إذا كان على الإنسان قضاء صلاة مكتوبة فليس له أنْ يُصلّي النوافل إلّا بعد قضائها؛ ولا تناقضه رواية أنَّه إذا زالت الشمس يبدأ بنوافل الزوال، ثمَّ بفريضة الظهر، لِمَا ذكرناه. (٢٢-أ)

١٤. قال الصادق عليه السلام: «إذا زالت الشمسُ لم يَدعُ عبدٌ مُؤمنٌ إلّا استُجيب له، من زوال الشمس حتّى يصير على قدمٍ من الزوال».(٢٢-أ)

١٥. عن الصادق عليه السلام: «صلّى النبيّ صلى الله عليه وآله صلاة الغداة، يقرأ في الركعتين جميعاً: قل هو الله أحد»؛ قال: «ولم يُصَلّ قطُّ صلاةً أتمَّ منها».(٢٢-ب)

١٦. عن محمّد بن مسلم، سألتُ الصادق عليه السلام عن حديث النفس، أ هُوَ السهو؟ قال: «وهل يُطيق أحدٌ أن لا يُحَدِّثَ نفسَه؟!»[٤].(٢٥-أ)

١٧. حريز عن زرارة عن الباقر عليه السلام: «لا يَقطَع الصلاةَ شيءٌ يمُرُّ بين يديك، كلبٌ ولا

---

(١) سورة المزمّل الآية ٢٠.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٧.

(٣) نقل ابن إدريس عن كتاب المشيخة للحسن بن محبوب، عن الحارث الأحول، عن بريد العجليّ نحوه.السرائر: ٥٩٨/٣.

(٤) في فقه الرضا عليه السلام: ٣٨٥: « أروي أنَّه سئل العالم عليه السلام عن حديث النفس، فقال: من يُطيق ألاّ يحدّث نفسه؟!».

حمارٌ، ولكن ادرأ ما استطعتَ»[١].(٢٥-ب)

١٨. شكا رجل إلى الصادق عليه السلام كثرة القمل في ثيابه وبدنه، فربّما يكون في الصلاة يتأذّى به؛ فقال عليه السلام: «خُذ بثلاثين واقتُله بسبعين».(٢٦-أ)

١٩. سُئل الصادق عليه السلام عن النفساء إذا ماتَت؛ قال: «يُؤمر بأديم طائفيٍّ[٢] فيُخرَزُ لها، ثمَّ تلبسها إيّاه على ...[٣] مثل التبّان، ثمَّ تُكَفَّن بعد».(١٥-أ)

٢٠. ...[٤] عند التقيَّة، والأفضل...تقيّةً أن يرفع اليدين مع كلّ تكبيرةٍ؛ وذكَر الدليل على صحّته من الأحاديث عن محمّد بن مسلم: سألتُهما [عليهما السلام] عن الصلاة على الميّت، فقالا: «يُكَبِّر، ثمَّ يُصلّي على النبيّ [صلّى الله عليه وآله] فإنَّه أَحَقُّ أن يُصلّىٰ عليه، ثمّ يقول: اللّهُمَّ اسلُك بنا وَبِه سُبُلَ الحقِّ، واهدِنا وإيّاه إلى صراطٍ مستقيم.اللهمَّ عبدُك فلان احتاج إلى رحمتك وأنت عن عَذابه غَنيٌّ».(٣٥-أ)

٢١. عن عليّ عليه السلام: «إذا كانت السفينة تسير فصَلِّ جالساً، وإذا كانت واقِفَةً فصَلِّ قائماً، وإذا كانت ثقيلةً لا تتحرّك فصلِّ قائماً، وإذا كانت خفيفةً تكفأ[٥] فصلِّ قاعداً»[٦].(٣٣-ب)

٢٢. معاوية بن عمّار: رأيتُ أبا عبد الله [عليه السلام] يُصلّي في نعلَيه، فإذا جلس خَلَعَهما، وإذا قام لَبِسَهما[٧].(٢٦-ب)

٣٢. [عن] الصادق عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، فادعُ اللهَ وسَله

---

(١) ينظر الكافي: ٢٩٧/٣، ح ٣ .

(٢) أديم طائف كان معروفاً قديماً، وكأنّه كان من أحسن الأُدُم.

(٣) كلمة لا تقرأ تشبه: السفلة .

(٤) ذهب شيء من الحاشية.

(٥) أكفأ الشيء: أماله. لسان العرب، ١٤١/١.

(٦) ينظر: الكافي: ٤٤٣/٤، ح ٤؛ مَن لا يحضره الفقيه: ٤٥٨/١-٤٥٩.

(٧) لم نجده بهذا النحو، ولكن رُوي في التهذيب: ٢٣٣/٢ عن حمّاد بن عيسى عن معاوية بن عمّار قال: رأيتُ أبا عبد الله عليه السلام يصلّي في نعليه غير مرّة، ولم أره ينزعهما قطّ».

الرزقَ لنفسك وعيالك»[١].(٢٤-٢٤أ)

٢٤. سُئل الصادق عليه السلام عن الفِرَاء، فقال: «إنّا[٢] أردنا ذلك بعثنا إلى اليمن فاشتُري لنا ...[٣] ألبسها ولستُ أُصلّي فيها».(٢٦-أ)

٢٥. حمران، عن الصادق عليه السلام قال: «كان أبي إذا صلّى قاعداً يُربّع، وإذا ركع فرّج بين رِجلَيه، وكان يُصلّي [على][٤] الخمرة يجعلها على الطنفسة ويسجد على الخمرة، فإذا لم تكن خمرة جعل حصيّاً على الطنفسة حيث يسجد، وكان إذا خرج يوم الأضحى والفطر فأُتي بطنفسة أبى أن يقعد عليها ويقول: هذا يوم كان النبيّ [صلّى الله عليه وآله] يستحبّ[٥] أن ينظر إلى أُفُق السماء و[يَضَعَ][٦] جبهتَه على الأرض».[٧](٢٧-أ)

٢٦. حريز، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبي رجلاً غيوراً، وكان يأمر امرأةً تُصَلّي بأهله، [أن]تقوم وسطهنّ تصلّي بهنّ وتبسط رِجلَها إذا قَعَدَت وتدعو».(٢٩-أ)

٢٧. محمد بن مسلم: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المرأة تُصلّي خلف زوجها في الفريضة وتأتمُّ به؟قال: «نعم»[٨].(٢٩-أ)

٢٨. قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا كنتَ خلفَ إمام في صلاة تجهر فيها بالقراءة وكان الرجل مأموناً فلا تقرأ خلفَه في الأُوليَين ويُجزيك التسبيح في الأُخريَين». قيلَ:

---

(١) ينظر الكافي: ٢٦٤/٣، ح ٣.

(٢) كذا، ولعلّ الصحيح: (إذا).

(٣) كلمة لا تقرأ، تشبه: (سيخونه)، والظاهر أنّ المراد بها نوع من الثياب.

(٤) الزيادة منّا لضرورة السياق.

(٥) كذا، ولعلّ الصحيح: (يحب).

(٦) الزيادة من نسخة جامعة طهران.

(٧) هذه الرواية موجودة في نسخة النهاية بجامعة طهران بالرقم ٦٧٣٧، الورقة ٢٦-أ؛ وكذا في نسخة النهاية المرعشية بالرقم ٣١٢٦ (٣٨-ب) ولكن ذهب أكثرها على إثر ترميم النسخة.

(٨) ينظر التهذيب: ٣٧٩/٢، ح ١١١، عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام.

أيَّ شيء فعلتَ خلفَ أبيك؟ قال: «أمّا أنا فأقرأ فاتحة الكتاب»[١].(٢٩-ب)

٢٩.عن صفوان بن مهران: رأيتُ أبا عبد الله عليه السلام يُصلّي ركعتي الفجر مع طلوع الفجر؛ فإذا صلّيتَهما فاضطَجِعْ وقُلْ: استمسكتُ بِعُروَة الله الوُثقى. (٣١-أ)

٣٠.عن حنان عن أبيه: سألتُ أبا جعفر عليه السلام: أ تُصلّي النوافل وأنت قاعد؟!قال: «ما أُصلّيها منذ كثر لحمي إلّا وأنا جالس»، يعني ركعةً بركعة[٢].(٣١-أ)

٣١.قال الصادق عليه السلام: «أمّا أنا فإنّي أُصلّي ركعتين في المسجد وركعتين في أهلي، لأنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لا تتّخذوا بيوتكم قبوراً».(٣١-أ)

القسم الثاني من الحواشي: توضيح عبارات النهاية والتعليقات عليها

قد اهتمّ المُحشّي أو المُحشّون بشرح عبارات الكتاب وتوضيح مغلقاته، ومن هذه الحواشي أيضاً مناقشات في بعض فتاوي النهاية، أو استدراكات عليها، والراجح في النظر أنَّ بعض هذه التعليقات من إملاء بعض الشيوخ القدماء، وبعضها مأخوذة من بعض شروح النهاية، كشرح قطب الدين الراونديّ رحمه الله على ما يبدو من تكرار النقل عنه، إليك نماذج من هذه التعليقات:

- [ويُكره استعمال سُؤر الحائض إذا كانت متَّهَمة][٣] المتّهمة: التي توهم أنّها لا تطهِّر نفسَها في الحيض[٤].
- [فمن تيمّم قبل دخول الوقت أو بعد دخوله قبل آخر الوقت، وجب عليه إعادة التيمّم[٥]] هذا إذا تيمّم لأداء صلاة الوقت، فأمّا إن لم يجد الماء ولا يكون وقت صلاة وأراد أن يتنفَّل أو يقضي فليَتَيَمَّم في أيِّ وقتٍ شاء، ثمَّ

(١) ينظر في التهذيب: ٣٥/٣، ح ٣٦.

(٢) رواه الكلينيّ بإسناده عن حنان بن سدير عن أبيه، من دون ذيله. (الكافي: ٤١٠/٣، ح ١)

(٣) النهاية: ٤.

(٤) الورقة (٨-أ).

(٥) النهاية: ٤٨.

إذا دخل وقت الصلاة الحاضرة وتضيَّق الوقت ولم يجد الماء ولم يُحدث ما ينقض التيمّم جاز له أن يُؤدّي ...[١](١٦-أ)

- [لا ينبغي تركهما -الأذان والإقامة- مع الاختيار][٢]: كلمة (لاينبغي) بمنزلة: لا يجوز، تكون للحظر والكراهة معاً[٣].
- قوله: «يا لها نعمةً[٤]»، التقدير: يا قوم احضروا لهذه النعمة واعرفوا قدرها، ونصب (نعمة) على التمييز[٥].
- [في تلقين الميّت[٦]]: الظاهر أن يقول بالعربيّة، وإن لم يكن الميّت في حال حياته يعرف العربيّة.(١٤-أ)
- [الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المُختَرَم[٧]]: (مِن) ههنا بمعنى البدل، كقوله: فليت لنا من ماء زمزم شربة؛ و(السواد): الشخص؛ والأصل تعريف العهد[٨] وتعريف الجنس مجاز، ولا يجوز الخروج من الحقيقة إلى المجاز.(١٤-ب)
- [ولا يجوز قول آمين بعد الفراغ من الحمد[٩]]: إلاّ عند التقيّة الشديدة، كان أصحابنا يقولون: «آمّين البيت الحرام».(٢٢-أ)
- [فإذا حضر الإنسان الوفاة، يستقبل بوجهه القبلة[١٠]]. ورد النصُّ باستقبال

---

(١) هنا ثلاث كلمات تقريباً غير مقروءة.

(٢) النهاية: ٦٤.

(٣) ١٩-ب.

(٤) النهاية: ١٢.

(٥) ٩-أ.

(٦) النهاية: ٣٨.

(٧) النهاية: ٣٧.

(٨) يعني بذلك (ال) في (السواد)، فبناءً على كونها للعهد تكون (من) للبدل، وحاصل المعنى: الحمد لله الذي لم يجعلني بدل هذا الشخص من الموتى.

(٩) النهاية: ٧٧.

(١٠) النهاية: ٣٠.

القبلة عند الاحتضار وعند تغسيله بأن يستلقي على قفاه ويُجعل باطنُ قدمَيه إلى القبلة. فأمّا استقبال الميّت في اللحد للقبلة فأن يُضجع على يمينه ورأسه إلى المغرب ورِجلاه إلى جهة المشرق؛ وعليه العمل من جميع المسلمين إلّا من شواذّ الأخبار من أنّهم كانوا يعملون بمثل حال الاحتضار، وقد انقرَضوا.(١٢-ب)

- [فإذا أراد الغسل للجنابة، وخاف إن نزل إليها فساد الماء، فليرشّ عن يمينه ويساره وأمامه وخلفه][١].قال ع ف[٢]: كذا إذا رشَّ الماء من الجوانب لم ينجس الماء؛ وإن رَجَعَ إليه المُستَعمَل رشّ الماء على جوانبه يُطَهِّره.(٩-أ)
- [وإذا سُلِّم عليه وهو في الصّلاة فلا بأس أن يردّ مثله في الجواب، يقول: سلام عليكم[٣]]، قال الشيخ أبو جعفر النيسابوري[٤]: هذا في السنن، ولا يجوز ذلك في الفرائض.[حاشية أُخرى]: يعني يقول ذلك بنيّة قراءة القرآن.(٢١-ب)
- [وإذا أرادت –النفساء- الغسل تُقدِّم وضوء الصلاة ثمّ تغتسل]: قال الشيخ قطب الدين رحمه الله: كان شيخنا أبو جعفر النيسابوري رحمه الله...[٥]تقديم الوضوء مرتّباً على الغسل...به الأحاديث أنّه أولى...وقد ذكرتُ كيفيّة النيّة [في] الوضوء وكذا الغسل في كتاب...وفي الرائع[٦]. (١٢-ب)
- [ولا يجوز التثويب في الأذان]: قال الإمام السعيد قطب الدين -رحمه الله-: هذا التثويب ليس بقول: الصلاة خير من النوم، لأنَّه مذكور بعده.وذلك إشارة

(١) النهاية: ٨.

(٢) لم يتبيّن لنا المراد منه.

(٣) النهاية: ٧٤.

(٤) هو الشيخ قطب الدين أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسن المقرئ النيسابوريّ، أستاذ السيّد ضياء الدين وقطب الدين الراونديّ، يروي عن أبي عليّ الطوسيّ عن أبيه الشيخ الطوسيّ رحمه الله كتاب النهاية وسائر مصنّفاته، له تصانيف، طُبِع منها: التعليق في الكلام، ورسالة الحدود في شرح مصطلحات المتكلّمين.(لاحظ: تكملة أمل الآمل: ٢٧/٥)

(٥) من مواضع النقص التي ذهبت إثر ترميم الورقة.

(٦) الرائع في الشرائع، من تصانيف قطب الدين الراونديّ المفقودة.

إلى ما أحدثَ الناس بالكوفة بين الأذان والإقامة: حيَّ على الصلاة -مرَّتَين-، فهذا التثويب مُحدَث، والتثويب القديم: الصلاة خير من النوم؛ والتثويبان بدعة.(٢٠-أ)

- [وأمّا ما رُوي في شواذّ الأخبار من قول: «أشهد أنّ عليّاً وليّ اللّه وآل محمّد خير البريّة» فممّا لا يُعمل عليه في الأذان والإقامة[١]]: قال الإمام السعيد قطب الدين -رحمه الله-: هذه الكلمات كلُّها حقٌّ، ولكنَّها ليست من الأذان البتَّة. (٢٠-ب)
- [فإن سقط-الشفق- ولم يكُن قد صلّى النوافل أخَّرها إلى بعد العشاء الآخرة]: قال الشيخ السعيد قطب الدين -رحمه الله-: ثمّ يُصلّي نوافل المغرب أداءً لا قضاءً. (١٨-ب)
- [من شكّ في الرّكعتين الأوليين من كلّ فريضة، فلم يعلم أنّه صلّى ركعة أو ركعتين، وجب عليه إعادة الصّلاة[٢]]: يعني إن شكَّ في عدد الركعات؛ فأمّا إن شكَّ في الركوع والسجود في الركعة الثانية والأوّلة لا يجب عليه الإعادة على قول بعض أصحابنا، والأحوط قولُ الأكثرين أنّه يُعيد الصلاة، لأنَّ هذا الحكم مختصٌّ بالركعتين الأخيرتين.(٢٤-ب)
- [ولا بأس بالصلاة في الخزّ الخالص[٣]]: الخزُّ الخالص وَبَر دابّةٍ يُقال لها: (الخزّ)، وهذا الذي يُسَمّونه الخزّ في زماننا هذا زَئير القَزّ، وليس بِخَزّ.(٢٦-أ)
- قال الإمام السعيد قطب الدين -رحمه الله-: رأيتُ كتاباً يُسَمّىٰ بـ: لمح البرهان في كمال شهر رمضان[٤]، منسوباً إلى الشيخ المفيد أبي عبد الله الحارثيّ

(١) النهاية: ٦٩.

(٢) النهاية: ٩٠.

(٣) النهاية: ٩٧.

(٤) هذا الكتاب مفقود اليوم، ويذكر عنه السيّد ابن طاوس ما نصّه: «وجدت كتاباً للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، سمّاه (لمح البرهان) -الذي قدّمنا ذكره- قد انتصر فيه لأستاذه وشيخه جعفر بن قولويه، ويردُّ على محمد بن أحمد بن داود القميّ، وذكر فيه أنَّ شهر رمضان لا ينقص عن ثلاثين، وتأوّل أخباراً ذكرها تتضمّن أنه يجوز أن يكون تسعاً وعشرين».(الإقبال: ٣٥/١)

- رضي الله عنه -، وفي ذلك الكتاب: «الذي يدلُّ على أنَّ شهر رمضان لا ينقُص أبداً ما أجمَعَ عليه أهل الأمانة من الأثر عن السادة عليهم السلام بالندب إلى صلاة ألف ركعة، فإنَّ ترتيبها يوجب على الاعتبار...»[١].(٣٥-أ)

- [المرأة تصلّي كما يصلّي الرّجل، غير أنّها-إلى أن قال- فإذا جلست فَعَلىٰ إليَتَيها، كما يقعد الرجل[٢]؛قوله: «كما يقعد الرجل» ليس سهواً كما ظنَّه بعض الناس، إنَّما هو إشارة إلى أنَّه يجب أن يكون لها طمأنينة للتشهُّد في قعودها كما تكون الطمأنينة واجبةً على الرجال.(٢١-ب)

- [ويقول: سمع الله لمن حمده[٣]]: سمع الله حمدَ حامِدِه، وقيل: تقبَّل حمدَه وأثابَه عليه؛ وليس المراد بالسماع حسن[٤] الإدراك، إنّما المراد به القبول.(٢٣-أ)

- عن الصادق عليه السلام: «إنَّ جبرئيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله بالصلوات كلِّها فَجَعَل لكلِّ صلاةٍ وقتَين إلّا المغرب، فإنَّه جَعَلَ لَهُ وقتاً واحداً»[٥].وفي رواية أُخرى عنه [عليه السلام]: «إنَّ جبرئيل عليه السلام أتاه [صلى الله عليه وآله] لكلّ صلاة بوقتين إلّا المغرب، فإنَّ وقتها واحدٌ، ووقتُها وجوبُها»[٦].قال ابن برّاج: ليس في الخبرين منافاةٌ لِمَا نقول: إنّ آخر وقتها سقوط الشفق، لأنَّ أحدنا إذا صلّى وقت ذهاب الحمرة من ناحية المشرق وتَأَنّى في الفريضة والنافلة من هذه الصلاة، فإنَّه لا يفرغ منها إلّا وقد غاب الشفق. وهذا معنى القول بأنَّ وقتها واحد[٧].

- عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «إذا دخل وقت الصلاة المكتوبة يقرأ (إنّا أنزلناه)، ولا صلاة نافلة حتّى يبدأ بالمكتوبة»؛ وهذا إذا كان على الإنسان قضاء صلاة مكتوبة فليس له أن يُصَلّي النوافل إلّا بعد قضائها، ولا يُناقِضه رواية: أنّه

---

(١) يا للأسف ذهبت باقية الحاشية إثر ترميم الورقة.

(٢) النهاية: ٧٣.

(٣) النهاية: ٨١.

(٤) كذا في المخطوطة، والظاهر أنّ الصحيح: (حسّ).

(٥) ينظر التهذيب: ٢٦٠/٢، ح ٧٢.

(٦) ينظر الكافي: ٢٨٠/٣، ح ٨.

(٧) ١٨-أ.وقد ذكر نحواً من هذا الجمع الشيخ الكلينيّ رحمه الله في الكافي: ٢٨٠/٣.

إذا زالت الشمس يبدأ بنوافل الزوال، ثم بفريضة الظهر، لِمَا ذكرناه.(٢٢-أ)

- [اللّهُمَّ] أنتَ السلام[١]: أي أنت ذو البراءة من العيوب والآفات وإخلال الواجب وفعل القبيح.(٢٣-ب)
- السلام يكون على معانٍ: فالسلام الأوَّل يكون من قولهم: (السِّلم)، البراءة من العيوب؛ وتقديره على حذف المُضاف وإقامة المضاف إليه مقامَه كما أشرنا إليه[٢].
- والسلام الثاني يكون بمعنى السلامة، وهو معروف؛ والسلام الثالث يكون بمعنى الاستسلام والسلم؛ والرابع بمعنى التسليم.وقيل في اسم الله بالسلام لأنَّه الذي يُسَلِّم عبادَه من الظلمة، ولأنَّه سليمٌ من النقائص، وهو يُعطي السلامة والسلامة من قِبَلَه.والسلام: الإسم من التسليم، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلام﴾[٣].
- [وإليك يرجع السلام] أي: وإليك يرجع بذل الرضا بحكمك، والجنَّة التي هي دار أوليائك وأصفيائك دار السلامة لهم من الآفات والعاهات، وبعضُهم يقول لبعضهم: سلام عليكم؛ ثمَّ سأل الله أن يجعل التحيَّة لنا في الخطاب في الدنيا والآخرة، ولا يذكرنا في العقاب.(٢٣-ب)
- [حاشية أُخرى]: ودارُك دار السلام، حَيِّنا ربَّنا منك بالسلام[٤].في نسخة الإمام قطب الدين هذا في المتن.
- إذا دخل الإمام في صلاة الكسوف مع قومٍ جماعةً، ورَكَع ركوعَين أو ثلاثةً، ثمّ جاء آخرون وائتمّوا به وصلّوا معه تمامَ الصلاة، فإنَّ صلاتهم مُجزيةٌ؛ لأنَّ هذه الصلاة ركعتان؛ وما ورد أنَّها عشر ركعات وأربع سجدات [فمحمول

(١) النهاية: ٨٥.

(٢) في قوله: «أي: أنت ذو البراءة ..إلخ».

(٣) الأحزاب الآية ٤٤.وهذه الحاشية توجد أيضاً في نسخة النهاية الموجودة بمكتبة المرعشيّ بالرقم ١١٣٧٢، الورقة ٣١-أ.

(٤) هذه الحاشية تشير إلى سقوط هذه العبارة بعد قوله: وإليك يرجع السلام.

على المجاز][1]، وإنّما حسن ذلك؛ لأنّها تتضمّن [عشر ركوعات وأربع سجدات].....[2]عن الفضيل ومحمد بن مسلم وبُرَيد في حديثٍ طويل لتفصيل هذه الصلاة: «ثمّ تقوم فتصنع مثلَ ما صَنَعتَ في الأُولى»؛ بعد أن ذكروا كلَّها الركعة الأوّلة وخمس ركوعات وسجدَتَيها.والحكم بهذه الأخبار أولى؛ لأنَّها مُفَصّلة والخبر الأوّل مجمل، فيجب حملُه على المفسّر.وذكر الشيخ المفيد في كتابَي الأركان[3] والمقنعة، فقال: «إذا انكسفت الشمس أو القمر فصلّ ركعَتَين»[4].فإذا قلت: إنّ هذه الصلاة ركعتان، فالمأموم إذا سبقه الإمامُ بركوعاته وكان قد أدرك الركوعَ الذي يهوي به إلى السجود فقد أجزأت عنه، سواء كان ذلك في الأولى أو في الثانية؛ لعُموم قولهم عليهم السلام: «مَن لَحِق الركوع فقد أدرك تلك الركعة»، وهذا نصٌّ مطلق غير مُقيَّد بصلاة دون صلاة، وإذا كان اختصاصه بسائر الصلوات سواء وجب دخول هذه الصلاة تحت النصّ لعمومه.(٣٤-ب).

- الحُبلى إذا وطئها زوجُها ويَتَأخَّر حيضُها عن العادة فهل يُمكنه تطليقها متى أراد أم لا؟ فعلى وجهين: فإن كانت العادة منها عشرين يوماً فزائداً فقد استبان حملها، فليُطَلِّقها متى شاء.وإن كان تأخّر الدم عنها دون عشرين يوماً فلا يُطلِّقها إلّا بعد أن ترى الدم، ثمّ هذا أيضاً على ضربين: إن رأت الدم بعد عشرة أيّام ونحوها فذلك دم حيض، يصبر حتّى تنقى ثمّ يطلّقها إن شاء؛ وإن رأت الدم بعد العشرين فذلك دم استحاضة، فليُطلّقها متى أراد؛ وإن لم تَزِدها فحكمها بعد ذلك حكم الحُبلى. (١٣-ب)
- إذا صُلّيَ في مسجد جماعَةً فجاء قومٌ آخرون، ينبغي أن يُصَلّوا فُرادى؛ ورُوِيَ[5]

(١) قد ذهب قسم من الحاشية بسبب الترميم الحاصل في النسخة بلصق ورقة جديدة، فأضفنا ما بين المعقوفين بدلالة السياق.

(٢) ذهبت قطعة قدر ثمانية أسطر تقريبًا من الحاشية بسبب الترميم المذكور.

(٣) كتاب الأركان في دعائم الدين، من الآثار المفقودة للشيخ المفيد.

(٤) المقنعة: ٢٠٩.

(٥) ينظر وسائل الشيعة: ٤٢٩/٥، الباب ٢٥.

أنّـه يجـوز لهـم أن يُصَلّوا دفعةً أُخرى غيـر أنّهم لا يُؤَذّنـون ولا يُقيمون ويجتَزئون بمـا تقـدَّم، فيصلّـي الإمام أو أحد المأمومين بهم مُتَنَفِّلاً وهُـم مُفترضون، أو يؤُمُّ واحـد ممّـن لـم يُصلّوا بهم من غيـر أذانين ما لـم يتفرّقوا.(١٩-ب)

- مسـألة: إن قـرأ فـي الركعـة الأُولـى (قل يا أيّهـا الكافرون)، ثـمّ إذا قرأ فـي الثانية (الحمـد) جـاء علـى لسـانه: (قـل يـا أيُّهـا)، هـل يجـوز أن ينتقـل إلـى (قـل هـو اللـه)؟ الجـواب: كأنَّـه لا بأسَ إن شـاء اللـه.(٢٢-أ)
- سـجود التـلاوة ليـس بصـلاة، فإن سَـجَدَها في غير الصلاة سـجد من غيـر تطهيرٍ، وإذا رَفَـعَ رأسـه كبَّـر ورفع يده فـي التكبير.(٢٢-ب).

قائمة المصادر

١. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: الشيخ الطوسيّ(٤٦٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٧ ق.

٢. إقبال الأعمال: السيّد عليّ بن موسى بن طاوس(٦٦٤هـ)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٣٧٦ ش.

٣. الأمالي: الشيخ الطوسيّ، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ.

٤. البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥هـ)، تحقيق: فوزي عطوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٥. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر(٥٧١هـ)، دار الفكر، بيروت.

٦. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ورّام بن أبي فراس(٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه، قم، ١٤١٠ هـ.

٧. الجمل والعقود في العبادات: الشيخ الطوسيّ (٤٦٠هـ)، نشر جامعة فردوسي، مشهد المقدّسة، ١٣٤٧ ش.

٨. حدائق المقرّبين في تراجم أعلام الدين وفضائل السادة والمؤمنين: محمّد صالح بن عبد الواسع الحسينيّ الخاتون آباديّ(١١٢٦هـ)، شركت چاپ و نشر بين الملل، طهران، ١٣٨٩ش.

٩. خاتمة مستدرك الوسائل: المحدّث النوريّ(١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، ١٤٠٨هـ.

١٠. الخصال: الشيخ الصدوق(٣٨١هـ)، نشر جماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٣٦٢ش.

١١. الخلاف: الشيخ الطوسيّ (٤٦٠هـ)، نشر جماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٧ هـ.

١٢. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الشيخ محمد محسن الطهرانيّ(١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١٣. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة : الشهيد الأوّل محمد بن مكّي العامليّ(٧٨٦هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، ١٤١٩ هـ.

١٤. رجال النجاشيّ: أحمد بن علي النجاشي(٤٥٠هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعه لجامعة المدرسين، قم المقدسة، ١٣٦٥ش.

١٥. روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات: الميرزا محمّد باقر الموسويّ الخوانساريّ(١٣١٣هـ)، مكتبة اسماعيليان، طهران، ١٣٥٦ ش.

١٦. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: محمّد بن إدريس الحلّيّ(٥٩٨هـ)، نشر جماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٠ هـ.

١٧. شُعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقيّ(٤٥٨هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٠ هـ.

١٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، انتشارات جهان، طهران، ١٣٧٨ هـ.

١٩. عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠. الغريبين في القرآن والحديث: أبو عبيد الهرويّ(٢٢٤هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٩ هـ.

٢١. الفقه المنسوب إلى الرضا عليه السلام: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مشهد المقدسة، ١٤٠٦ هـ.

٢٢. قرب الإسناد: عبد الله بن جعفر الحميريّ(٣١٠هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، ١٤١٣ هـ.

٢٣. كشف الرموز في شرح المختصر النافع: الحسن بن أبي طالب اليوسفيّ الفاضل الآبيّ(حياً ٦٧٢هـ)، نشر جماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٧ هـ.

٢٤. المبسوط في فقه الإمامية : الشيخ الطوسيّ (٤٦٠هـ)، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران، ١٣٨٧ هـ.

٢٥. مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: العلّامة الحلّي(٧٢٦هـ)، مكتب النشر الإسلامي، قم، ١٤١٣ هـ.

٢٦. مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام: محمد بن عليّ الموسويّ العامليّ(١٠٠٩هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤١٠ هـ.

٢٧. المصنّف: عبدالله بن محمد بن أبي شيبة(٢٣٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩.

٢٨. معالم العلماء: ابن شهرآشوب(٨٥٥هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٠.

٢٩. المعتبر في شرح المختصر: المحقِّق الحلّيّ(٦٧٦هـ)، مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة، ١٣٦٤ هـ.

٣٠. المعيار والموازنة: محمد بن عبد الله أبو جعفر الإسكافيّ(٢٤٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحموديّ، ١٤٠٢ هـ.

٣١. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجامعة المدرسين، قم، ١٤١٣ هـ.

٣٢. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهرآشوب(٨٥٥هـ)، انتشارات علامه، قم، ١٣٧٩ هـ.

٣٣. النهاية (مع الترجمة الفارسية)، تحقيق: الدكتور محمد تقي دانش پژوه، نشر جامعة طهران، ١٣٤٢ش.

٣٤. الهداية: الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، مؤسسة الإمام هادي عليه السلام، قم، ١٤١٨ هـ.

ملحق بالبحث

صور من نسخة كتاب
(النهاية) للشيخ الطوسيّ قدّس سرّه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستحق الحمد وموجبه وصلى الله على خيرته من خلقه محمد وآله الطاهرين من عترته وبعد فهذا كتاب الطهارة

ماهية الطهارة وكيفية نيتها الطهارة في الشريعة سبعة أقسام قسم وضوء ونيته وبدايته على اربعة أنواع احدها ما يجب به الطهارة وثانيها ما به تكون الطهارة وثالثها كيفية الطهارة ورابعها ما ينقض الطهارة فاما العلم بما يجب به الطهارة فعلى كل احد خالط العلم الشرع ولا يسع احدا منهم جهله والعلم بها على اربعة اقسام قسم يعلمه كل احد وهو العلم بالمياه واحكامها وما يجوز الطهارة به وما لا يجوز واما العلم بكيفية الطهارة فينقسم قسمين احدهما العلم بالطهارة الصغرى وكيفيتها والثاني العلم بالطهارة الكبرى من الاغسال واحكامها والقسم الرابع وهو ما ينقض الطهارة فقط بعضا على غير احد مما ينقض الطهارة الصغرى ولا يوجب الكبرى والثمان ينقضها ويوجب الطهارة الكبرى فاما الطهارة الكبرى فيجب على كل احد تعلم ما يحتاج الى العلم للدخول في الصلوة وان لم يقع عليه اسم الطهارة العلم بازالة النجاسات عن البدن والثياب لانه لا يجوز الدخول في الصلوة مع نجاسة على البدن او الثوب كما لا يجوز الدخول في الصلوة مع احداث ومن احكام عدم الطهارة وحكم نواقضه الحاجة اليه ان شاء الله تعالى اما العلم بوجوب الطهارة فقد بينا خصوصه لكل احد فلا حاجة لذكره في هذا الموضع واما ما به تكون الطهارة من المياه وغيرها فحيث كان على العلم به مقدما على العلم بكيفية ايقاعها فلنبدء بذكره اولا ثم نذكر بعده ذلك ماء وعدنا به من الاقسام الآخر ان شاء الله تعالى حتى

باب المياه

المياه واحكامها

وما يجوز الطهارة به منها وما لا يجوز وبيان ما يقع فيها مما يغير حكم الطهارة منها وما يرفع ذلك الحكم عنها الماء كله طاهر ما لم يقع فيه نجاسة تغيره وهو على ضربين طاهر مطلق وطاهر ليس بمطهر فاما الطاهر الذي ليس بمطهر فالمياه المضافة مثل ماء الباقلى وماء الآس وماء الورد وهذه المياه لا يجوز استعمالها في شيء من الطهارات الا في ازالة النجاسة عن البدن والثياب واما استعمالها في الثوب وغيره مما لم يقع فيها شيء من النجاسة فان وقع فيها شيء من النجاسة نظر ان كان مما لا يجوز استعمالها على حال ازيل عند الضرورة والخوف من تلف النفس والماء الطاهر المطلق هو كل ما يتحقق اطلاق اسم الماء عليه من غير اضافة على ضربين

جلد ورقة

بداية النسخة

نهاية النسخة

بعض الأحاديث الملحقة بالنسخة

الخطُّ العربيّ وتطوّرُه
في مخطوطات المصاحف القرآنيّة
دراسةٌ تاريخيّة

A Historical Study about Arabic calligraphy and Its Development In Quranic Manuscripts

أ. سامح السعيد

باحث تراثي

مصر

Samih Saeed

Heritage researcher

Egypt

الملخّص

تميّزت الحضارة العربية الإسلامية باهتمامها البالغ بالكتاب، فهي بلا منازع حضارة الكتاب كما قال أحد المستشرقين. والباحث في علم المخطوطات في تعامله مع المخطوط باعتباره كيانًا ماديًّا لابد له من دراسة الخطوط التي كُتِبت بها هذه المخطوطات، متتبعًا أصولها وتطوّر أشكالها، والإلمام بالنظريات والآراء التي أبداها العلماء في نشأة الكتابة العربية، ودراسة مختلف التطورات التي دخلت على الحرف العربي، وغيرها من المسائل.

ركّزت الدراسة على مخطوطات المصاحف القرآنية وخطوطها. وجاءت في تمهيد وثلاثة مباحث؛ الأول: خطوط المصاحف بين التصنيف والتأصيل، الثاني: الكتابة الخطية للمخطوطات القرآنية تاريخًا وتطورًا، والأخير: أثر الجغرافيا التاريخية والإقليمية في تنوّع خطوط المصاحف.

ثمّ الخاتمة وقد لخَّصت فيها أهمّ ما جاء في الدراسة والنتائج العلمية التي توصّلت إليها، وأهم التوصيات.

كلمات مفتاحية: المخطوطات القرآنية، خطوط المصحف،الخطّ العربيّ.

Abstract

The Arab Islamic civilization was distinguished by its great interest in writing, as it is the undisputed civilization of the book, as stated by one of the Orientalists. When dealing with the manuscript as a physical entity the paleographer entity must study the style of writing in which these manuscripts were written in: tracing their origins and the development of their forms, acquaintance with the theories and opinions expressed by scholars regarding the emergence of Arabic writing, studying the various developments that entered the Arabic script, and etc.

This study focuses on Quranic manuscripts, and consists of a preface and three chapters: the first: style of writing in the Quran between classification and rooting, the second: the cursive writing of Quranic manuscripts in history and its development, and the last: the regional and geographical impact on the diversity of the Quran's writing style. The study is then concluded with a summary of the most important notes mentioned in the study, the scientific results it reached, and important recommendations.

Key Words: Quranic manuscripts – Manuscripts writing style – Arabic writing style

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، واهب الأذهان منحة الفكر في تدبُّر حكمته، وأوضحَ البرهان لأهل العرفان فبرأوا من الجهل وظُلمته.

وأصلّي وأسلّم على سيّدنا محمّدﷺ إمام المرسلين، أرسله ربُّنا عزّ وجلّ بالآيات فَلاحَ به نورُ الفلاح، وأنزل الله تعالى الصُّحف على أنبيائه مسطورةً، وأنزل الألواح على موسىعليه السلام مكتوبةً.

وبعدُ، تميّزت الحضارة العربيّة الإسلاميّة باهتمامها البالغ بالكتاب، فهي بلا منازع حضارة الكتاب كما قال أحد المستشرقين، والخطّ كما قيل: لسان اليد، وسفير العقل، ووصيّ الفكر، وسلاح المعرفة. ولا نِزاع في أنّ القرآن الكريم كان هو العامل الأساس في منح الخطّ العربيّ صفة القدسيّة، وفي دعوة المسلمين إلى النظر بعاطفةٍ دينيّة للغة العربيّة، وهذا الربط بين الكتاب الكريم واللغة العربيّة جعل العلماء يتتبَّعون الروايات والأخبار التي تحدّثت عن الكتابة العربيّة من حيث النشأة والتطور، وكذا التعرّف على أنواع الخطوط، وأشهر الكُتَّاب، وطبقات الخطّاطين، وغير ذلك ممّا يتعلّق بمسألة الخطّ العربيّ والكتابة العربيّة.

والباحث في علم المخطوطات في تعامله مع المخطوط باعتباره كيانًا ماديًّا لابدّ له من دراسة الخطوط التي كُتِبت بها هذه المخطوطات، متتبِّعًا أصولها وتطوّرَ أشكالها في المخطوطات، ولابدّ له من إلمامةٍ تاريخيّة بالنظريات والآراء التي أبداها العلماء القدامى والمُحدَثون في نشأة الكتابة العربيّة، ثمّ دراسة مختلف التطوّرات التي دخلت على الحرف العربيّ؛ مثل: نقط الإعراب والإعجام، وظهور الحركات الإعرابيّة، وغيرها من المسائل.

وحيـن حاولـت خوض غمار البحث، ظهر لي وُعورة مسـلكه؛ فلـو قصد الباحث خطًّا واحـدًا بعينـه، ودَرَسَـه فـي إقليـمٍ بعينـه على مـدار القـرون الزمنيّـة لطال البحـث جدًّا، فضـلًا عـن دراسـة جميع الخطوط، والمشـكلة نفسـها تواجـه الباحث حين يـدرس الخطّ العربـيّ فـي المخطوطـات وتطـوّره فـي بلـدٍ بعينـه، وتتبُّـع تطـور الخطـوط منذ نشـأتها مـرورًا بالحُقـب التاريخيّـة المتتابعـة، وقُلْ مثل ذلك في سـائر أنـواع الخطوط، ومختلف البـلاد والأقاليم الإسـلاميّة، وسـيحتاج الباحـث كذلك إلى مطالعة كثيـرٍ من المخطوطات، وبخاصّـةٍ التـي بهـا ذِكرٌ لبيانات النِّسـاخة: ناسـخًا وتاريخًـا ومكانًا، وهذه الدراسـات التي ذكرتهـا تصلـح رسـائل علميّـة جـادّة مـن أجـل نيـل شـهادتي الماجسـتير والدكتـوراه في مجالـي الكتابـات الأثريّة وعلـم المخطوطات.

لهـذا كان التركيـز في هذه الدراسـة علـى مخطوطات المصاحـف القرآنية وخطوطها، التي سـلكتُ فيها مسـلكًا وسـطًا بين الإسـهاب المُمِلّ والاختصار المُخلّ.

جـاءت الدراسـة فـي تمهيـد ذكـرت فيه أهميـة الدراسـة ومسـوغاتها وثلاثـة مباحث وخاتمة.

عالجـت فـي المبحـث الأول **خطوط المصاحـف بين التصنيـف والتأصيل**، وتطرقت فـي الثانـي إلـى الحديث عـن **الكتابـة الخطّيّة للمخطوطـات القرآنيّـة تاريخًـا وتطوّرًا**، وفـي الأخيـر تعرّضت **لأثر الجغرافيـا التاريخيّة والإقليميّة في تنوّع خطوط المصاحف**.

ثـمّ الخاتمـة؛ وقـد لخَّصـتُ فيهـا أهـمّ ما جـاء فـي الدراسـة، والنتائـج العلميّـة التي توصّلـتُ إليهـا، وأهـمّ التوصيات.

تمهيـد

نـال الخـطّ العربيّ منزلـةً عالية عند المسـلمين؛ ليس فقط لعلاقتـه الوطيدة بالقرآن الكريـم، بـل لأنّـه الصـورة المرئيّـة للغـة العربيّـة التـي افتخـر العـرب بهـا، ونظمـوا بهـا أشـعارهم ورووا أخبارهـم، ولقـد انبثـق من حـبّ المسـلمين لكتاب الله تعالـى فنّ صار مـن أشـرف الفنـون الإسـلاميّة وأعلاهـا قـدرًا، وأكثرها قـدرةً علـى تمثيل روح هـذا الدين العظيـم؛ ألا وهـو فنّ الخـطّ العربيّ.

وما كان ذلك ليكون لولا المكانة المقدّسة للمصحف الشريف في نفوس المسلمين؛ لما يتضمنه من كلام الله تعالى؛ ولهذا لقي منهم الرعاية البالغة عبر تاريخه الطويل من ناحية الشكل والخطّ والتزيين.

أهمية الدراسة:

وتكمن أهمّيّة هذه الدراسة في القيمة المعرفيّة التي تأخذها الأنواع الخطّيّة من ارتباطها المباشر بالقرآن الكريم، وتعلّقها المباشر بكتابة المصحف الشريف؛ وذلك بوصفه الفضاء المعرفيّ الأوّل لكلٍّ من فنّي الخطّ العربيّ وعلم المخطوطات؛ إذ كان المصحف الشريف أوّل كتابٍ عربيّ إسلاميّ مخطوط، وهذه الدراسات التاريخيّة لخطوط المصاحف، تُمكّن الباحث من حلّ الإشكاليات المصطلحيّة المتعلّقة ببعض هذه الخطوط، ومعرفة الحدود التصنيفيّة لها في ظلال تنوّعها الفنّيّ والوظيفيّ.

والملاحظ أنّ أغلب أدبيات الكتابة العربيّة قد عُنِيت بتصنيف أنواع الخطّ العربيّ من الناحية الوظيفيّة إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي: خطوط **المصاحف**، وخطوط **الكُتّاب**، وخطوط **الورّاقين** [(١)]، وتُعدّ خطوط المصاحف أبرز هذه الأنواع شكلاً وصورةً ووظيفةً وأداءً؛ لارتباطها بكتابة المصحف الشريف، ولأنّ هذه الخطوط هي التي تفرّعت منها بعد ذلك جميع الخطوط المختلفة سواء على مستوى الإصلاح الخطّيّ أو التجويد الفنّيّ.

مسوّغات الدراسة:

لأجل هذا آثرتُ محاصرة مادّة الدرس، والتركيز على مخطوطات المصاحف القرآنيّة وخطوطها، متتبِّعًا النشأة التاريخيّة، ومُسلِّطًا الضوء على الأثر الذي عملته الجغرافيا الإقليميّة في تطوير خطوط المصاحف؛ لاسيّما وأن **المصاحف المخطوطة تمثل ثلث مجموع المخطوطات العربيّة في مكتبات العالم** على حدِّ قول أستاذنا د.أحمد شوقي بنبين في إحدى محاضراته لنا مؤخرًا.

(١) لمزيد من التفصيل ينظر المرجع في علم المخطوط العربيّ: آدم جاسك: ٢٢٦- ٢٣١.

وحتـى نعلـم عظـم المهمة وثقلهـا راجعت الفهرس الشـامل للتراث العربيّ الإسـلاميّ المخطـوط قسـم المصاحف الخطّيـّة، فوجدته قد أحصى (٢٨٤٦) مصحفًـا مخطوطًا تامًّا معروفًـا تاريـخ النَّسـخ بالتصريـح أو بالقرينـة، فـي مـدّة تمتـدّ مـن القـرن الأول الهجريّ إلـى القـرن الرابع عشـر هجريًّـا، وعدد (١٣٦٠) مصحفًـا تامًّا غير معـروف التاريخ، وعدد (١٧٥١) مصحفًـا غيـر تـامٍّ ومجهـول التاريخ، ومـن وراء هذا العدد الكبيـر من المصاحف مصاحـف أُخـر كثيرة لـم يُتَح تسـجيلها في فهـارس المخطوطات.[١]

(١) الفهرس الشامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط، قسم المصاحف المخطوطة ورسم المصحف: ١٢ ـ ١٥٨.

المبحث الأول

خطوط المصاحف بين التصنيف والتأصيل [١]

ـ خطوط المصاحف وإشكاليّة المفهوم:

يتجاذب خطّ المصحف من حيث الاصطلاح مفهومان رئيسان:

الأول: المفهوم اللغويّ الذي يتعلّق بكيفيّة كتابته ونطقه؛ حيث نشأ وتطوّر واستقرّ متعلّقًا بعلم رسم المصحف من علوم القراءات القرآنية، ويقوم خطّ المصحف فيه ـ قيامًا شرطيًّا وواجبًا ـ على تقاليد رسم المصحف الإمام[٢] وكيفيّاته اللغويّة الثابتة صورتها الخطّيّة في صورة المصحف. ومن ثَمّ كان الحكم بعدم جواز المخالفة الهجائيّة لهذا الرسم كتابةً وقراءة؛ ولذلك أجمع علماء الرسم والقرّاء واللغويّون على أنّ خطّ المصحف لا يُقاس عليه في اللغة والنحو.

الثاني: المفهوم الفنّيّ الذي يتعلّق بظاهرة التنوّع في الخطّ العربيّ؛ فقد ذهب بعض أهل العلم إلى اعتبار خطّ المصحف، وعلم آداب كتابة المصحف من العلوم الخطّيّة التي تعالج مع الجوانب اللغويّة القرائيّة لخطّ المصحف.. الجوانبَ الجماليّة والفنيّة له؛ من حيث تعلّقها بكيفية إملاء الحروف، وبكيفيّة الصناعة الخطّيّة التي تُعنَى بطبيعة صورة الخطّ وتنوّعاتها الفنّيّة بحسب سُنّة الاختلاف الطبيعيّة وتباينها وتنوّعها في كتابات النّاس، وخطوطهم التي لا يتماثل منها خطّان على الإطلاق؛ لكون الكتابة والخطّ من الصنائع البشريّة كما ذكر ابن خلدون في المقدّمة.

وخلاصة القول: إنّ خطّ المصحف في دلالته المشتركة يدلّ على أحد معنيين:

١ـ صفة تصنيفيّة لبعض أنواع الخطّ، تنطبق على كلّ خطٍّ كُتِب به المصحف

(١) بزيادة وتصرّف يسير نقلاً عن: خطوط المصاحف، إشكاليات التعريف وحدود التصنيف: إدهام محمّد حنش: ١١٢-١٤٤.

(٢) سيرد التعريف بـ(مصحف الإمام) في هذا المبحث.

الشـريف، مثـل: الخطـوط النَّسْـخِيَّة المشـرقية أو المغربيـة.

٢ـ اسـم لنـوع خـاصٍّ ومحـدّد بالاسـم والشـكل والصـورة مـن هـذه الأنـواع الخطيّـة، سـمَّاه العلمـاء بـــ: قلم المصاحـف، أو خطّ المصاحف، وهي: الجـزم والجليل والحجازي المبكـر والريحانـي والمُحقَّـق والثُّلُـث والتعليق.

خطوط المصاحف بين التعريف والتصنيف:

١ـ الجزم (خطّ المصحف الإمام):

يقـول أبـو القاسـم النحـويّ: «إنّ الجـزم هـو خـطّ المصاحـف الأول»؛ ولعلّ ذلـك راجع لكـون كَتبـة المصحـف الإمام أقرب من حيث المعرفة والأداء إلـى ذلك الخطّ الذي لم يكن العـرب فـي الجاهليّة وقبل ظهور الإسـلام يعرفون غيـره، وكانوا يُطلقون عليه اسـم (الجزم) أي: القطـع؛ لا علـى أنّهـم اقتطعـوا الخطّ وأخذوه من المسـند كما يظنّ البعـض؛ بل لأنّهم عدَّلوا في حروفه وجعلوها أكثر اسـتواء وانسـجامًا، وكانت صفات شـكله الهندسـية العامة تقوم على البسـط[١] واليبوسـة[٢] والتربيـع[٣] أكثر من التقوير[٤] والليونـة[٥] والتدوير[٦]..

(١) البسط: كتابة الحرف دون تقويس أو تدوير في يبوسة ظاهرة، وتُمدّ أجزاؤه أفقيًّا؛ مثل بسط السين في البسملة والباء والياء والصاد والكاف. ويطلق البسط أيضًا على الإرسال، وهو أن يرسل الناسخ يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس.

(٢) اليبوسة: هي اتصاف الخطّ بالجفاف والتربيع أو الزوايا دون أي انحناء في امتداداته أو تقويسه، وهي المرحلة الأولى لكتابة الخطوط العربية في الجاهلية وفي بدايات العهد الإسلاميّ حتى تطور تدريجيًّا إلى الليونة.

(٣) التربيع: هو استقامة زوايا الحرف في هندسية ظاهرة، ومنه الخطّ الكوفيّ المُربَّع أو الكوفيّ الهندسيّ.

(٤) التقوير وضدّه المبسوط: وهو خروج الحرف عن صورته المتعارف عليها نتيجة الإسراع في الكتابة. وفيه تكون عراقات الحروف منخسفة إلى الأسفل مثل حرف القاف في خطّ الثلث، وكثر تداوله في كتابة الرِّقاع والمراسلات الديوانية والكتابات المعتادة.

(٥) الليونة وضدها اليبوسة: وهي مرحلة تحوّل الخطّ الحجازي المبكّر اليابس إلى الخطوط الليّنة، وهو اتصاف الحروف بالتدوير.

(٦) التدوير: تدوير الحرف أي تقويسه على هيئة نصف دائرة سواءً للخارج (تحدُّب) أو للداخل

لقد وصف بعض الفقهاء والمفسرين والمؤرّخين والخطّاطين خطَّ المصحف الإمام في نُسَخِه الأُول التي أُرْسِلت إلى الأمصار؛ ومن أشهرها (مصحف الشام)، الذي كان من أكثرها عنايةً ومشاهدة وفحصًا في تاريخ المصاحف.

وقد عرَّف العلماء المصحف الإمام من حيث صورته الخطيّة بقولهم: المصحف الكبير المكتوب بالخطّ الكوفيّ الأوّل الذي هو في الأصل والصفة خطّ جليل مبسوط الهيأة، وهو ما صيّره في بنيته ومظهره العامّ كتابًا عزيزًا جليلًا ضخمًا، بخطّ حسن بَيِّن قوي، وبِجِبر مُحكَم.

فالخطّ كان يُكتب منذ البدء بنوعين؛ مبسوط ومقوّر، يميل الأول إلى التربيع، ولمسطحاته زوايا مستقيمة. وأمّا الآخر فحروفه ليِّنة ومائلة بانحناء واستدارة، ويدعو الناس الخطَّ ذا الزاوية والمسطّح بـ(الخطّ الكوفيّ)، وهو أصل الأقلام العربيّة، وكان موجودًا في الحيرة والرُّها ونصيبين قبل بناء الكوفة. وبهذه المدينة غدا هذا الخطّ محكمًا وكاملًا، لاسيّما بعد أن غدت الكوفة مركزًا دينيًّا وسياسيًّا للدولة. وقد تحسّن هذا الخطّ وبلغ الغاية حتى استُخدم في كتابة المصاحف.

٢ـ خطوط المصاحف الأولى:

وإذا كانت هذه الخصائص الجماليّة والفنيّة لخطّ المصحف الإمام هي في الحقيقة خصائص الخطّ العربيّ الشماليّ الذي سُمّي بـ(الجزم)، فإنّها كانت أيضًا بمثابة الأصل المعرفيّ لخطوط المصاحف الأولى التي يُرَجَّح تاريخ كتابتها في غضون القرون الثلاث الهجريّة الأولى؛ أي: قبل أن يتحول الشكل الهندسيّ العامّ للخطّ من البسط واليبوسة والتربيع إلى التقوير والليونة والتدوير؛ وإنْ تعددت أسماء خطوط المصاحف.

(تقعُّر)، مثلا في حروف: ج ح خ س ش ص ض؛ فيعمل ذلك على إظهار الحرف بشكل حيوي، وتنوّع أشكال الحركة في تكوينه.

للمزيد ينظر: معجم مصطلحات الخطّ والخطاطين: د. عفيف البهنسيّ، ومعجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي: د. أحمد شوقي بنبين ود. مصطفى طوبي، وأطلس الخطّ والخطوط: حبيب الله فضائلي، والخط العربيّ وحدود المصطلح الفني: د. إدهام محمد حنش، والكتابة وفنّ الخطّ العربيّ النشأة والتطور: يوسف ذنون.

وجاءت أغلب هذه التسميات من باب التعريف لا التصنيف على النحو الآتي:

أ ـ الحجازيّ (المكّيّ والمدنيّ):

وهـذا الخـطّ هـو أول الخطـوط العربيّـة وأبرزهـا تأثيرًا في مـا جاء بعـده؛ فهو الخطّ الـذي كُتـب بـه القـرآن فـي العهـد النبـويّ. وكان الكُتَّـاب مـن الصحابـة ـ وهـم مـن أهل الحجـاز ـ قـد تعلّمـوا هـذا الخـطّ وكتبـوا به المصاحـف الأولى.

وقـد وصـف محمّد بن إسـحاق النديم(ت٣٨٠هـ) هذا الخـطّ بـ: المكّيّ والمدنـيّ، ويُعَدّ النديم أول من أثارَ تنوّع خطوط المصاحف الأئمّة الأولى هذه بحسـب أسـماء هذه الأمصار؛ وهـي: مكّـة، والمدينـة، والبصـرة، والكوفـة. فعـدّ أنـواع الخـطّ الأربعـة: المكّـيّ، والمدنـيّ، والبصـريّ، والكوفـيّ، أول أنـواع الخـطّ العربيّ التي كُتِبت بهـا هذه المصاحف.

لكـن مرسـوم خـطّ هـذه المصاحف الأولى كان على شـكلٍ واحد وصـورة متقاربة في هيأتـه، ووصفـه النديـم بـأن ألِفاتـه فيهـا تعويـج يمنة اليـد وأعلـى الأصابع، وفي شـكله انضجـاع[1] يسـير. وهـذا الخـطّ هو الـذي تمخّض عنـه خطّ الجليـل الشـاميّ بعد ذلك.

وكانـت خطـوط هـذه المصاحـف الأئمّـة كلّها متماثلـة؛ فخطّ مصحف أهـل المدينة هـو في نفسـه خـطّ مصحف أهـل البصرة كما يقـول الإمـام الطبريّ(ت٣١٠هـ)، وهكذا بقيـة المصاحـف: المكّـيّ، والمدنـيّ، والشـاميّ الذي انتقل إلـى الأندلس.

ب ـ الجليل:

وهـذا الاسـم راجـع إلى آداب كتابة المصحف؛ لجلال مكانـة القرآن، ولأنّ التعبير عن هـذا الأسـلوب الكتابـيّ قائـم علـى فخامة الشـكل، وكبر هيـأة الحروف الخطّيّـة، وهو ما يُسـمّى بـ(تجليـل الخـطّ)، وقـد عدّه البعض اسـمًا لنـوع من أنـواع الخطّ، بـل إنّ النديم جعلـه رأس الخطـوط العربيّـة وأصل تنوّعها؛ فالجليل عنده: أبو الأقلام الذي اشـتُقت منه الأقـلام الأصليّة الموزونة.

(١) المقصود به: ميل خطوط الكتابة إلى يمين يد الكاتب هكذا //////

وأغلب المصادر تَنسب (التجليل) في الخطّ، ومنه خطّ (الجليل) إلى الخطّاطين الأُمَويّين الرُّواد في الشام؛ أمثال: خالد بن أبي الهياج، حتى عُرف عند بعض المصادر بـ(الجليل الشاميّ)، و(الشاميّ)، وغيرها.

ج ـ الطومار:

كان خطّ (الجليل) لا يُكتب به إلّا في الطوامير؛ وهي الرقوق الكبيرة جدًّا، حتى صار الطومار اسمًا آخر لخطّ (الجليل)، قال القلقشنديّ في تعريفه لقلم الطومار: «وهو قلم مبسوط كلّه، ليس فيه شيء مستدير، وكثيرًا ما كُتِب به مصاحف المدينة القديمة».

والطومار فرع خطّيّ لقلم الجليل، أو أصلًا لما دونه من الأقلام التي تُكتب في الطوامير؛ مثل: مختصر الطومار، والنصف، والثلثين أو السجلات، والثلث الموزون، وغيرها.

د ـ الكوفيّ:

كانت الكوفة التي أنشأها سعد بن أبي وقاص سنة ١٧هـ زمن خلافة عمر بن الخطاب من أوائل الأمصار الإسلاميّة التي وصلت إليها نسخة من المصحف الإمام، وبدأت فيها منذ وقتٍ مبكر حركة نسخ القرآن الكريم وكتابته؛ فقد ذكرت بعض المصادر أن خطَّاطي الكوفة تعلّموا خطّ (الجزم) وكتبوا به وجوّدوه؛ فأُطلِق عليه: الخطّ الكوفيّ.

وكان النديم أول من ميّز هذا الخطّ الكوفيّ في جملة خطوط المصاحف الأولى والمبكّرة؛ والتي هي: المكّيّ، والمدنيّ، والكوفيّ، والبصريّ، والمشق، والتجاويد، والسلواطيّ، والمصنوع، والمائل، والراصف، والإصفهانيّ، والسِّجليّ، والقيراموز، والمحقّق.

في حين يرى أبو حيان التوحيديّ أنّ الخطّ الكوفيّ جنس يتألّف منه اثنا عشر نوعاً من أنواع الخطّ؛ وهي: المكّيّ، والمدنيّ، والشاميّ، والعراقيّ، والإسماعيليّ، والعباسيّ، والبغداديّ، والريحانيّ، والمصريّ، والمُشَعّب، والمُجرّد، والأندلسيّ.

ونلاحـظ ممّـا سـبق أنّ الخـطّ الكوفـيّ أصبح عنوانًـا عامًّـا لمنظومةٍ خطّيّـة كبيرة في فروعهـا، ومتنوعـةً في أسـاليبها، ومتمايزةً فـي خصائصها؛ ولكنّها تُشـكّل نمطًا واحدًا في صورتهـا الخطّيّـة العامّـة التي يغلب عليها التربيـع في بنيتها الفنيّة، والسـمَاكة في عرض الخـطّ، والفخامـة في الحجم.

٣ـ خطّ الوزير أبي علي محمّد بن مقلة:

إنّ كلّ تلـك الأنـواع والفـروع والأسـاليب الكوفيّـة المبتكـرة فـي نسـاخة المصاحـف الأئمّـة أو المسـتنبطة منها فـي القرون الثلاثة الهجريّة الأولى، كانـت مرويةً عن الصحابة ـ رضـوان اللـه عليهـم ـ حتى اتصلـت بالوزير أبي عليّ محمّد ابن مقلـة (ت٣٢٨هـ) الذي كان خطّاطًا؛ وهو أول من هندس الحروف وقدّر مقاييسـها وأبعادها، وقد شـاهد النديم مصحفًـا مكتوبًا بخطّه.

صورة لخطّ الوزير ابن مقلة

وممّا يبعث على الدهشة أنّ المصادر قد اختلفت في عدد المصاحف التي كتبها ابن مقلة؛ فبعضها يذكر أنّه كتب مصحفين لا أكثر، وبعضها بالغ جدًّا وذكر أنّ له نحو مئة مصحف. لكنّ المتفق عليه عند الباحثين أنّ خط ابن مقلة لم تُعْرَف صورته ولا شكله إلى اليوم؛ لعدم اكتشاف أيٍّ من مخطوطاته ثابتة النسبة إليه يقينًا.

وأكثر ما يُذكر عن طريقة ابن مقلة في كتابة المصحف الشريف أنّه سلك طريقةً فنيّة معينة في التحوّل من الصورة الكوفيّة اليابسة إلى ترطيب الكتابة وليونتها، والمتحقّقة في الخطّ (المنسوب)؛ ليصبح بذلك أحسن من خطوط الكوفة، وأسهل وأسرع في كتابة المصحف الشريف.

٤ـ خطوط المصاحف المنسوبة:

في تلك الحقبة الزمنيّة؛ أي القرن الرابع الهجريّ وما بعده دخل علم النِّسب أصلًا معرفيًّا لهندسة الخطّ الفاضلة، ويُقصد بهندسة الخطّ هنا: قيام شكل الحرف على مبدأ التناسب بين طوله وعرضه في دائرة الوحدة القياسيّة لأنواع الخطّ، بعد أن كانت صورة الحرف تقوم في هندستها على مبدأ الوزن لعرض هيكل الخطّ، وسماكته، وثخانة جسده في القياس. فأصبح الخطّ (المنسوب) دليلًا على تقنية الكتابة وحسن الخطّ، وكان الاعتماد في ذلك على العلاقة بين النقطة، والدائرة، والخطّ، فجُعِل حرف الألف الذي حُدِّد طوله بعددٍ من النقاط قطرًا لدائرة، ونُسِبت إليه الحروف جميعها.

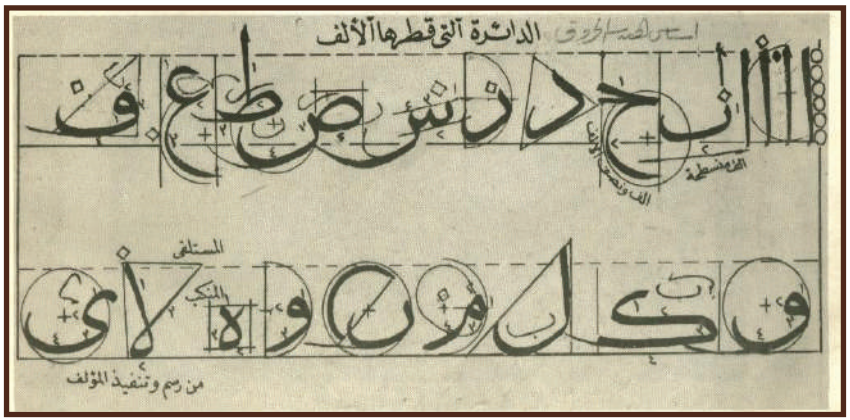

صورة توضح مقاييس الحروف العربية بميزان الدائرة

والملاحـظ أنّ المصـادر تداولـت عبارتي الكتابة المنسـوبة والخطّ المنسـوب بشـكلٍ واسـع؛ للتعبيـر عـن طبيعة الخـطّ الفنّيّة التي تشـمل أنواعًا خطّيّة متعـدّدة تتنوّع بتنوّع نسـبها الهندسـيّة، ويُعـدّ الخطّ (المنسـوب) بمثابة اتجـاهٍ معرفيّ يوازي مـن حيث البنية والتقنيـة والأسـلوب والخصائص ما يُعرف بالخطّ (المـوزون)؛ فدخلت خطوط المصاحف بذلـك مرحلـة فنّيّة و وظيفيّة جديدة على مسـتويي المفهـوم والتعريف.

فعلـى مسـتوى المفهـوم لـم يَعـد وصـف (الكوفـيّ) هـو الأنسـب فـي إطلاقـه علـى الخـطّ الحسـن المُجـوَّد فـي مخطوطـات المصاحـف؛ إذ حـلّ محلّـه وصف (المنسـوب) منـذ القـرن الرابع الهجريّ. وعلى مسـتوى التعريف تراجعـت عموميّة خطوط المصاحف السـابقة مـن المعرفـة الخطّيّة المتعلّقة بكتابة المصحف، لتتقدم بـدلًا منها وتحلّ محلّها خصوصيّـة (قلـم المصاحـف) أو (خـط المصاحـف)، الـذي صـار نوعًـا مـن أنـواع الخـطّ المنسـوبة، و رسّـخه الخطّـاط علـي بن هـلال ابن البـوّاب (ت٤٢٣هـ).

أ ـ المحقّق (قلم المصاحف):

لعـلّ مـن أهمّ التطـوّرات المعرفيّـة هو ذلك التحـوّل المفهوميّ لقلـم المصاحف من كونـه نوعًـا مـن أنـواع الخـطّ مختصًّا بكتابـة المصحـف الشـريف، إلـى أشـبه مـا يكـون بضابـطٍ معرفـيّ لطبيعـة خطـوط المصاحف المنسـوبة؛ كونه يقوم على معنـى التحقيق فـي مجـال فـنّ الخـطّ الذي هو: إبانـة الحروف كلّها، وهـو بذلك يمثل الجوهـر المعرفيّ لآداب كتابـة المصحـف الشـريف، والتـي منها: صحـة الخطّ، وقوته، وفخامتـه، وجلالته، ووضوحـه، وبيانه، وحسـنه، وبهاؤه.

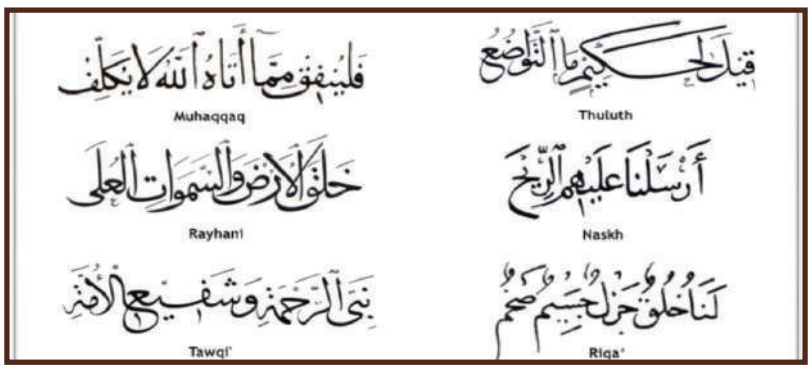

صورة الأقلام الستة

وقد ارتبط ظهور اسم (المحقّق) أوّل الأمر بما صحت أشكال حروفه باعتبارها مفردةً من أنواع الخطّ، وذلك لتمييزها عمّا يُعرَف بمصطلح (الدارج)؛ الذي يُطلق على الكتابات والخطوط التي لا تصح أشكالها الهندسيّة من حيث النِّسَب، أو صورتها الخطّيّة في علم اللغة؛ بسببٍ من تداخل حروفها، أو طمسها، أو تعليقها، أو قرمطتها، أو غير ذلك ممّا لا يخالف آداب كتابة المصحف الشريف.

ويُعدّ قلم (المحقّق) من أحسن الخطوط وأصعبها، ويُعدّ أساسًا لبعض أنواع الخط(الأصول)كالثُّلث، أو أصلًا بذاته لبعض أنواع الخطّ (الفروع) كالريحانيّ.

صورة من فاتحة الكتاب بالخطّ الريحانيّ

ومـن تلـك القرابـة الشـكلية بين الخـطّ (المحقّق) وكلّ مـن الريحانـيّ ـ الذي هو في حقيقته نَسـخٌ قريب من المحقّق ـ و(الثلث) الذي هو أشـبه الخطوط شكلًا بـ(المحقّق)، وأقربهـا وظيفـةً إليـه، وأوثقهـا صلـة به إلـى المسـتوى الـذي كان يجعل التفريـق بينهما عسـيرًا، حتـى إنّ بعـض الخطّاطين العثمانيّين سـمّوا الخطّ (المحقّق)، الثلث المرسـل.

لوحة من مصحف شريف كُتب بخطّ (المحقّق) من سورة المطفّفين

لوحة من مصحف شريف كُتب بخطّ (المحقّق) من سورة مريم

ومن تلك القرابة انطلق الخطّ المحقّق (قلم المصاحف) نحو مزيدٍ من التفرّد الخطّيّ، والتخصّص الأدقّ في كتابة المصاحف بأنواع الخطّ المنسوبة؛ وبالذات منها: (الثلث) و(النسخ).

ب ـ الثُّلث (أصل خطوط المصاحف المنسوبة)

يصعب على بعض الدارسـين تقرير أنّ خطّ (الثلث) من خطوط المصاحف الأساسـيّة والرئيسـة؛ وذلـك راجـع إلـى قلّـة اسـتخدام هـذا الخطّ فـي كتابة النـصّ القرآنـيّ، وغلبة اسـتخدامه في كتابة عناوين السـور، ممّا قد يجعله واحدًا من خطوط المصاحف ثانوية الـدور والأهميـة. ولكـنّ الراجـح أنّ هـذا الخـطّ هـو عمدة خطـوط المصاحـف الموزونة (الكوفيّـة) والمنسـوبة؛ التـي صـارت أخيرًا هـي الفنّ الكتابـيّ الحامل للنـصّ القرآنيّ في صورة المصحف الشـريف.

فعلى مستوى خطوط المصاحف الأولى كان خطّ (الثلث) واحدًا من الأقلام الأصليّة

الموزونة الأربعة المشتقّة من قلم (الجليل) على يد قطبة المحرّر (ت٥٤هـ)، فقد ذكر النديم أنّ قطبة المحرر استخرج الأقلام الأربعة؛ أحدها قلم (الثلث الكبير)، وذكر نوعًا آخر سمّاه: (خفيف الثلث الكبير)، واشتهر بعد ذلك باسم (الثلث) فقط. إذن هو في الأصل شكل من أشكال (الجليل) الذي هو خطّ المصاحف الأولى سابق الذكر. والصورة الأولى الكوفيّة في الغالب لهذا الخطّ مشتقّة من شكل (الجليل) بنسبة (الثلث) في وزن عرض الخطّ وسماكته، ولكنّ شكل هذا الخطّ وصورته بدأت تظهر جليّةً على مستوى خطوط المصاحف المنسوبة منذ القرن العاشر الهجريّ.

صورة قلم الثلث المعتاد من مخطوطة كتاب محاسن الكُتّاب للطيبي ت بعد ٩٠٨هـ

أمرٌ أخير تجدر الإشارة إليه؛ وهو مجاورة خطّ (الثلث) للخطّ (المحقّق) وكذا خطّ (النسخ) في كتابة الصفحة الواحدة من المصحف الشريف، منذ القرن السابع الهجريّ، وفيما بعد صار كلُّ واحدٍ من هذه الخطوط الثلاثة الخطَّ المفضّل في كتابة المصحف الشريف على نحوٍ متفاوت من حيث الاستخدام؛ إذ كان خطّ (الثلث) أقلها استخدامًا، ويمكن وصفه بالندرة إذا ما قمنا بإحصاء المصاحف المكتوبة بخطّ (الثلث). وكان ميلُ الخطّاطين نحو خطوط أخرى من خطوط المصاحف مثل (المحقّق) و(النسخ) واضحًا في القرون اللاحقة التي شهدت كتابة المصاحف بالخطّ (المحقّق) فيما بين القرنين السابع والعاشر الهجريّين في مصر وبلاد الشام تحديدًا؛ حيث كُتِبت بهذا الخطّ أكبر المصاحف حجمًا، وأجملها فنًّا، وأنفسها صناعةً في تاريخ القرآن والخطّ على حدٍّ سواء.

صورة لخطّ (الثلث) المبكر من آخر سورة ص وأول سورة الزمر

ج ـ خطّ (النَّسْخ) (خادم القرآن):

مصطلـح النسـخ من أقـدم المصطلحـات التي عرفها الخـطّ العربيّ؛ حيث اسـتُعمل

لتسمية وظيفة الكتابة تارةً، وكأسلوبٍ خطّيّ تارةً أخرى، ونوعٍ معيّن من أنواع الخطّ تارةً ثالثة، وفي كلّ تلك المراحل كان مصطلح النسخ مرتبطًا بما يُعرَف بـ(الخطّ الليّن).

ولعل الظهور الفنّيّ الأول لهذا الخطّ كان في القرن الثاني الهجريّ؛ إذ تبدو فيه البوادر الأولى لظهور خطٍّ قائم مستقلّ يعتمد على الليونة في وضع أصول وقواعد شبه ثابتة لضبط رسم أشكال حروفه، حيث كان الخطّاط الأحول المحرر (ت٢١٨هـ) أول من عَنِي بذلك؛ فجعل لكتابة الحروف الليّنة قلمًا خاصًّا سمَّاه، قلم النسّاخ.

وتشير المصادر إلى أنّ ابن مقلة أوّل من تفرّد في الكتابة بخط (النسخ) في الكتب والمصاحف، وقد ولّده من خطّي (الجليل) و(الطومار)، وقد حدث تجويد لخطّ (النسخ) في عصر الأتابكة (٥٤٥هـ)، حتى عُرِف بالنسخ الأتابكيّ الذي جرى على نسبة ثابتة؛ وهو الذي كُتِبت به المصاحف، والمجال التاريخيّ لدخول خطّ (النسخ) في كتابة المصحف الشريف على نحوٍ وظيفيّ متقدّم هو تلك المدّة الزمنيّة الممتدّة من القرن الرابع الهجريّ وحتى القرن السابع الهجريّ؛ ممّا جعله يستقر في الجملة خطًّا من خطوط المصاحف، ويحلّ محلّ الخطّ الكوفيّ في أغلب الأقاليم.

وربما كان قلم (النسخ الفضَّاح) يبدو أقرب ما يكون في شكله وصورته إلى بعض الأقلام الستة وبخاصّة، (المحقّق) و(الريحانيّ)؛ الّذين هما على شكلٍ واحد، ولا يميّز بينهما إلّا دقة الحروف في (الريحاني)، وغلظها في (المحقّق)، ليكون (الريحاني) بذلك هو خطّ النسخ (المحقّق) في الشكل الدقيق؛ لاسيّما أنّ الخطّ (الريحاني) هو نسخ قريب من (المحقّق)، وهما في الحقيقة على تقاربٍ كبير في ملامح الكتابة والشكل من قلم (النسخ الفضّاح) الذي بدأت كتابة المصحف الشريف به تظهر منذ القرن السادس الهجريّ على أقلّ تقدير

صورة قلم النسخ الفضَّاح
من مخطوطة كتاب محاسن الكُتَّاب للطيبي ت بعد ٩٠٨هـ

وقد أخذ الخطّاطون العثمانيّون بطريقة ياقوت[1] في كتابة المصاحف خطّ (النسخ)، واعتبروه الخطّ الأنسب لنسخ القرآن الكريم، وخلال أربعة قرون بدءًا من الشيخ حمد الله الأماسيّ (ت٩٢٦هـ) ظلّ خطّ (النسخ) يتطور ليصبح أسهل قراءة، وأوضح من غيره في التلاوة؛ ولذلك عدّه العثمانيُّون خادم المصحف الشريف، ومن

(١) ياقوت بن عبد الله المستعصميّ البغداديّ (٦٢٦ ـ ٦٩٦هـ): لُقِّبَ بجمال الدين، وكنيته أبو الدُّر وأبو المجد، كان مملوكًا للخليفة المستعصم، أخذ الخطّ عن صفي الدين عبد المؤمن الأرمويّ، وزكي الدين عبد الله بن حبيب، وقد انتهت إليه الرياسة في الخطّ المنسوب. كان مُولعًا بخطِّ ابن البواب، فقلَّده في كثير من خطوطه حتى استقام له الخطّ في جميع الأقلام وخاصة قلم الثُّلُث، وهو مع ستة من تلاميذه أُطلِق عليهم الأساتذة السبعة الكبار، وهم: مباركشاه بن قطب البغداديّ، وأرغون الكامليّ البغداديّ، وأحمد بن السهروورديّ، ومحمود الحسينيّ، وعبد الله الصيرفيّ، والصوفيّ.
ذكرت كتب التراجم أن ياقوت كتب ألف مصحفٍ، تحتفظ مكتبات إسطنبول بعدد كبير منها بخطوط النَّسخ والثُّلُث والمحقَّق وقلم المصاحف، ومن آثاره: رسالة في الخطّ، وأسرار الحكمة، ومجموعة أخبار وأشعار.
ينظر ترجمته في (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة: ابن الفوطيّ: ٥٠٠، تاريخ علماء بغداد المُسمَّى منتخب المختار: محمد بن رافع السلاميّ: ١٨٧ ـ ١٨٨، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي: ٢٨٣/٥و ١٨٧/٨، الأعلام: الزركليّ: ١٣١/٨ ـ ١٣٢)

ساعتها أصبح خطّ (النسخ) هو خطّ المصاحف بامتياز إلى يوم النّاس هذا.

صورة من مصحف بخط النسخ العثماني المُتَّبع الآن في كتابة المصحف

د ـ خطّ التعليق:

عُرف خطّ (التعليق) القديم منذ اكتمال قواعده وشكله الفنّيّ في غضون القرن الخامس الهجريّ وما بعده، على مستوى الوظيفة في كتابة الكتب الأدبيّة، والوثائق المتعلّقة بالحقوق الشخصيّة والمواريث والوقف، وكذلك في كتابة اللوحات الفنيّة، وتذكر المصادر أنّ الحسن بن حسين الفارسيّ كاتب عضد الدولة البويهيّ (ت٣٧٢هـ) هو الذي ابتكر خطّ (التعليق) القديم من قلم النَّسخ والرِّقاع والثلث، ومن أقدم نماذجه كتاب مؤرّخ سنة (٤١٠هـ)، وكذا كتاب بخطّ البيهقيّ كتبه سنة (٤٣٠هـ)، وكتاب الأبنية للهرويّ مؤرّخ سنة (٤٤٧هـ) .

ولا يمكـن أن يُعـدّ هـذا الخطّ فـي جملة خطـوط المصاحف الأساسـيّة، وقد وجدنا بعـض الخطّاطيـن قـد اسـتخدموا خـطّ (النسـتعليق) الـذي طـوّره وقعّـده ميـر علـيّ التبريـزيّ سـنة (٨٢٣هــ) فـي كتابـة نصـوص الوقفيّـات علـى المصاحـف، ولكنّهـم لـم يكتبـوا المصحـف مـن أولـه إلـى آخـره بخـطّ (التعليـق) إلّا نـادرًا؛ فقد وجدنـا مصحفًا كتبه بخطّ (النسـتعليق)، وذهَّبه الخطّاط شـاه محمود النيسـابوريّ (ت٩٧٩هـ)، وكذلك المصحـف الـذي كتبـه الخطّـاط العثمانـيّ مصطفى عـزت قاضي العسـكر (ت١٢٩٣هـ) بخـطّ (خـردة تعليق).

المبحث الثاني

الكتابة الخطّيّة للمخطوطات القرآنيّة تاريخها وتطورها[١]

كانت الكتابة العربية في الجاهلية ذات وظائف محدودة؛ لعوامل عديدة من أهمّها: ضيق مجالات استعمالها، وقلّة وسائط الكتابة، وصعوبة التدوين عليها. وعندما نزل القرآن الكريم ودوَّنه كتبَةُ الوحي، أحدث هذا التدوين هزّةً في النظام الكتابيّ، فكان امتحانًا قاسيًا لم تعتد عليه الكتابة العربيّة في تاريخها من قبل، ولكنّها استطاعت على أيدي كتبة الوحي أن تدوّن أصوات القرآن بأدقّ صورةٍ تستطيع أداءه الكتابة العربيّة آنذاك.

وكان هذا العمل الكتابي الضخم صدمةً قويّةً لها ولأهلها، أوجبت النظر في أحوالها، ومعالجة ما بها من قصور لحق بها كأيِّ نظامٍ كتابيّ؛ لأنّ النظم الكتابيّة تتخلّف عن اللحاق باللغة مع مضيِّ الزمن، وبسرعة تختلف باختلاف اللغة من حيث قابليتها للتغيير وسرعة التطور، ممّا يؤدي إلى استحالة موافقة الكتابة للغة المنطوقة.

وقد مضى القرن الأول الهجريّ والناس تكتب بما يوافق كتابة المصاحف العثمانيّة الأولى؛ لأنّ المصاحف كُتبت حسب طريقتهم في الكتابة، فكانت موافقةً لما هو معروف من أصول الكتابة العربيّة وقتها.

وإذا كانت معالجة الكتابة ومراجعة أصولها تأتي تلقائيةً في صدر الإسلام على يد الصحابة، فما إن استقرت الدولة الإسلاميّة حتى تفرّغ علماء الإسلام والعربيّة للنظر في تلك الطريقة الكتابيّة، ومحاولة تقريب المكتوب للمنطوق، وتوحيد الرسم الإملائيّ؛ ولهذا حفل هذا العصر بعدّة محاولاتٍ لمعالجة قضايا الرسم، وكانت في ذلك كلّه تقبس من سنن رسم المصحف كما كتبه الصحابة.

---

(١) لخّصتُ ذلك المبحث بزيادة وتصرّف يسير نقلاً من: الكتابة العربيّة من النقوش إلى الكتاب المخطوط: صالح بن إبراهيم الحسن: ١٩٥- ٢١٥.

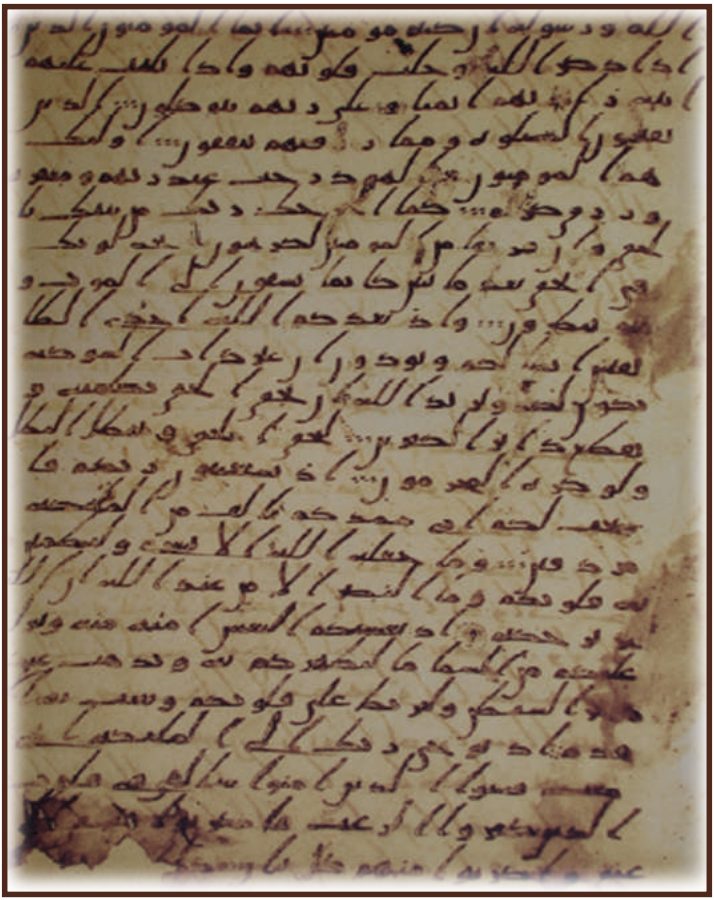

صورة من مصحف كُتب بالخطّ الحجازيّ المائل الخالي من نقط الإعراب

وقـد أدرك علمـاء اللغـة والقـراءات عـدم قـدرة الكتابـة بوضعهـا آنـذاك علـى تمثيـل المنطـوق؛ ممّـا يعنـي أنّ النظام الكتابيّ بحاجة شـديدة إلى تطويـرٍ جديد لا يُخرجه عن أصوله، ولا يُغيِّر من أشـكال رموزه؛ بحيث تسـتطيع تمثيل النطق العربيّ بصورةٍ دقيقة.

كانـت مسـيرة الضبـط الصوتـيّ للحـركات القصيـرة مـن أوائـل اهتمامـات القـرّاء واللغويّيـن؛ فاعتنـوا بضبـط اللغـة المكتوبـة باختـراع نقـط الإعـراب، وهـو إكمـال مهـمّ لنقـصٍ عانـى منـه النظام الكتابيّ، واسـتطاعت الكتابة العربيّة بعـده أن تكون قادرةً على تدويـن اللفـظ العربـيّ بدقّـة؛ حيـث تـمّ ضبـط الحـركات القصيـرة برمـوزٍ خاصّة.

وسوف أعالج في هذا المبحث ما أصاب النظام الكتابيّ من تطويرٍ يتعلّق بوظائفه اللغويّة عمومًا، وما يتعلّق بأمور الضبط اللغويّ خاصّة، وأثر ذلك على كتابة المصاحف.

أولًا: نقط الإعراب:

اللغة العربيّة كما هو معلوم لغة إعراب؛ لهذا فإنّ أواخر الكلمات يتأثر بموقعها الإعرابيّ، والعرب أصحاب سليقة لغويّة صافية؛ فقد كانوا قادرين على معرفة الضبط الإعرابيّ لما يلفظونه من الكلام، وكانوا يقرؤون المكتوب معتمدين على سياق الكلام، ومقتضيات المقام، ودلالة السوابق واللواحق، ولا يلحنون في شيءٍ من ذلك؛ لاعتيادهم النطق الصحيح واقتفاء ألسنتهم لعقولهم، وعهدهم تلك الكلمات في جملٍ أخرى سبقت معرفتها من قبل، وما لم يكن معهودًا أدركوه من معرفتهم الصيغ العامّة للغة، وملكة الإعراب السليقيّة فيهم.

ولم تزل العرب تنطق على سجيَّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليِّتها، إلى أن اختلطوا بغيرهم بسبب انتشار الفتوحات الإسلاميّة؛ فدخل الإسلامَ من الأعاجم أعدادٌ كبيرة أدّت إلى وجود كثرةٍ هائلة من النّاس تريد التحدّث بالعربيّة، لكنّها تفقد السليقة اللغويّة السليمة القادرة على الإعراب كما يتكلم بها أهلها، فظهر اللحن على ألسنة الأعاجم أول الأمر، ثمّ انتقل بدوره إلى العرب؛ لاختلاطهم بالأعاجم. أدّى ذلك الوضع إلى فزع النّاس على اللغة العربيّة من ذلك التيار الجارف، الذي سيُفسد عليهم لسانهم ويُضيِّع قرآنهم.

تذكر معظم الروايات أنّ أبا الأسود ظالم بن عمرو الدؤليّ (ت٦٩هـ) هو أول من وضع علم النحو في العربيّة، وحيث إنّ أثر النحو متعلّق بما يظهر على أواخر الكلم نطقًا وكتابة؛ فإنّ هذا العمل الذي قام به الدؤليّ يؤكد أنّه قد رافقه عمل آخر يتمّ به ضبط أواخر الكلمات ضبطًا كتابيًّا؛ وحيث إنّ الخطأ الذي في نطق أواخر الألفاظ ناتجٌ عن فشو الفساد في اللغة العربيّة، فإنّ أبا الأسود الدؤلي قد عَنِي بأواخر الكلمات في نَقْطِه ؛ أي إنّه لم يعالج حركات بنية الكلمة الداخليّة، وإنّما اكتفى بضبط أواخر الكلمات؛ لأنّ الإشكال أكثر ما يدخل على المبتدئ المتعلّم، والوهم أكثر ما يعرض

لمـن لا يبصـر الإعـراب، ولا يُحسـن القراءة ويُخطئ فـي إعراب أواخر الأسـماء والأفعال.

وتتواتـر الروايـات وتُجمِـع على أنّ أبا الأسـود الدؤليّ هو أول من نقـط المصاحف[1]؛ حتـى عُـرِف بـ(نقط أبي الأسـود)، وأصبح يسـمّى بـ(نقـط الإعراب)؛ تمييـزًا له عن النقط الـذي يُميِّز بين الحروف المتشـابهة، والذي يسـمى بـ(نقط الإعجام).

أمّـا فيمـا يتعلّـق بكيفيّـة نقـط أبي الأسـود؛ فكانـت عبارة عـن النَّقط بمـداد يخالف لـون الكتابـة، ويختلف موقعها باختـلاف الحركة. وهكذا أخذ النـاس يضبطون مصاحفهم بهـذه الطريقـة؛ فكانـوا يضعـون للدلالـة علـى فتحة الحـرف نقطـةً فوقه، وعلى كسـرته نقطـةً أسـفله، وعلـى ضمّتـه نقطةً عن شـماله، والحـرف السـاكن لا يضعون عليه شـيئًا، وإذا كان الحـرف منوّنًـا وضعـوا نقطتيـن أعـلاه، أو أسـفله، أو عـن شـماله، واحـدة دلالة علـى الحركـة، والأخـرى دلالـة على التنوين. ولـم يكن هذا النقط مقبـولًا على إطلاقه من قبـل علمـاء القراءات؛ لكونه شـيئًا طارئًا على الرسـم العثمانـيّ للمصحف فهو خارج عنه، فإنّهـم عندمـا قبلـوا الأخـذ بـه أكّدوا علـى تمييزه عـن الرسـم المصحفيّ، فجعلـوه بمدادٍ آخـر ذي لـونٍ مغاير عن الأسـود الـذي تُكتَب بـه المصاحف.

ويمكن إيجاز ما قام به أبو الأسود الدؤليّ في أمرين:

١. اختـراع نقـط الإعراب؛ وهو نقـط يقتصر على الحركات الإعرابيّـة، والتنوين أواخر الكلمـات فحسـب، وقـد كان الهـدف منـه معالجـة اللحـن الذي وقع على ألسـنة النـاس، وخِيـفَ مـن وقوعه فـي القرآن؛ لهذا لـم ينقِّط كلّ حرفٍ فـي الكلمة؛ بل اكتفـى بمـا يقع فيـه اللحن وهو أواخـر الكلمات.

٢. إنّ أبـا الأسـود الدؤلـيّ قـد نفّذ طريقته علـى القرآن الكريم، ولهذا لم يشـتهر هذا النقـط إلّا فـي المصاحـف، وأمّا الكتب فكان النقـط فيها نادرًا.

كان هـدف أبـي الأسـود الدؤلـيّ مـن نقطـه معالجـة الخطأ فـي الإعـراب؛ لكـن لمّـا

(١) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء: ابن الأنباريّ: ٢٤١/١، والمُحكَم في نَقْط المصاحف: أبو عمرو الدانيّ: ٦ ـ ٧، وللمزيد ينظر أبو الأسود الدؤليّ عصره حياته آثاره العلمية والأدبية: علي النجدي ناصف.

استفحل اللحن وفشا بين المسلمين من الأعاجم ومن يخالطهم، لم يعد النقط قاصرًا على حركات الإعراب آخر الكلم، بل شمل بنية الكلمة نفسها. وهو ما قام به بعد ذلك تلميذاه: نصر بن عاصم الليثيّ (ت٩٠هـ) ويحيى بن يعمر العدوانيّ (قبل٩٠هـ)؛ فقد عمَّما طريقة أستاذهما لتشمل سائر حروف الكلمة القرآنيّة، كما اقتصروا في النقط على الحركات الثلاث: الفتح، والضم، والكسر، وتنوينها، والاستمرار في مخالفة لون مداد النقط عن لون مداد الكتابة.

وقد تفنّن الكُتَّاب بعد أبي الأسود، في ما بين سنتي ٦٥ــ ٨٥هـ، في شكل النقط؛ فمنهم من جعلها مربعةً، ومنهم من جعلها دائرةً مسدودة الوسط، ومنهم من جعلها دائرةً خالية الوسط.

وعلى الرغم من أنّ النقط دخل المصاحف في وقتٍ مبكّر، لكنّ بعض الأئمّة مثل: الحسن البصريّ وابن سيرين كرهوا الزيادة في رسم المصاحف العثمانيّة[1]، وبذلك يكون القرن الأول الهجريّ قد انقضى ونقط المصحف لا يزال محدود الاستعمال على نحوٍ ما.

وظلّت هذه الطريقة معمولًا بها في المصاحف إلى القرن الخامس الهجريّ على الرغم من إصلاح الخليل بن أحمد لها؛ فقد أقام أبو عمرو الدانيّ (ت٤٤٤هـ) كتابه: (المحكم في نقط المصاحف)؛ لبيان أساليب النقط ومواضعه، ويبدو أنّ بقاء نظام نقط الإعراب إلى هذا القرن كان مقصورًا على المصاحف في بلاد المغرب والأندلس؛ حيث إنّ المصاحف المشرقيّة التي وصلتنا مثل المصحف الكامل الذي خطَّه ابن البوّاب سنة(٣٩١هـ)، جاء مضبوطًا ضبطًا كاملًا بالشكل على طريقة الخليل بن أحمد.

ومن نافلة القول أنّ السمة الأبرز لنقط الإعراب كونه بمدادٍ يخالف لون مداد الحروف؛ فمداد الكتابة أسود ومداد النقط هو الأحمر، واختلفت مدرستا النقط بعد ذلك في بقية الحركات؛ فكان أهل المدينة يستخدمون الحمرة للحركات، والسكون، والشدّات، والتخفيف، وأمّا الصفرة فللهمزات خاصّة، وتبعهم في ذلك أهل المغرب

(١) سيرد التعريف بالمصحف العثمانيّ في هذا المبحث.

والأندلـس، وأمّـا أهـل العـراق فقـد اسـتعملوا الحمـرة فـي جميـع الحـركات والهمـزات وغيرهـا، وبذلـك تُعـرَف مصاحفهـم وتُميَّـز من غيرهـا كما يقـول الدانيّ.

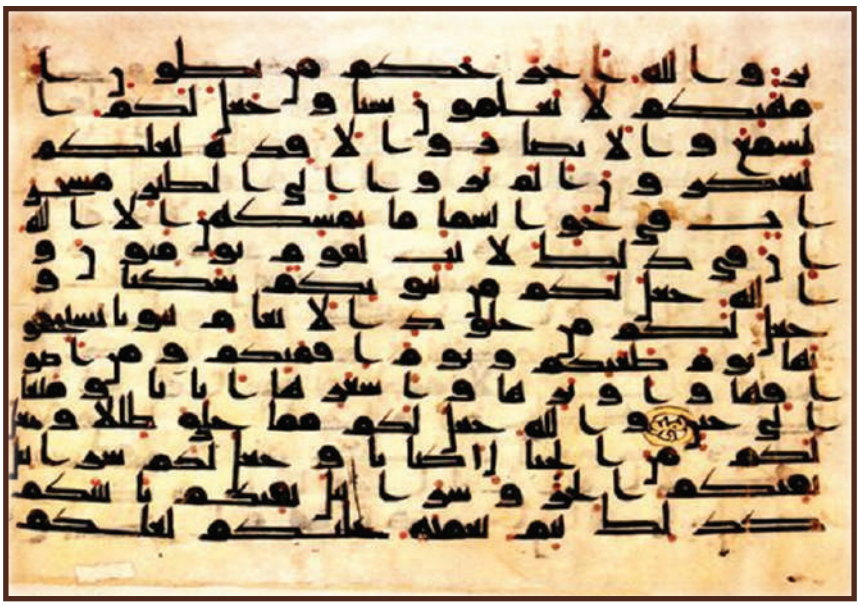

لوحة من مصحف بالخطّ الحجازيّ المبكر (الكوفيّ) وبه نقط الإعراب، من سورة النحل الآية ٧٧، (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا...) وحتى الآية ٨١

أمّا عن الزيادات التي دخلت نقط الإعراب فهي:

١ـ **الهمـزة:** عـن طريـق وضـع نقطـة في المـكان الذي يظهـر فيه صـوت الهمزة من الكلمـة، وعندمـا وُجِـد أنّ مواضـع الهمـزة مُلْبِسـة فـي الكتابـة؛ لأنّهـا تُكتب في رسـم المصحـف حـروف علّة، فاحتيج إلـى التمييز بين ما يُنطَق همـزة وما يُنطَق حركـة طويلـة، فوُضِعَـت نقطة مـكان الهمز من الحرف؛ بحيـث يهمز القارئ عند هـذه العلامـة، وقـد ذكـر الدانـيّ أنّـه رأى مصحفًـا جامعًـا كُتِب سـنة عشـر ومئة وفيـه نقط الهمـزات بالحمرة.

٢ـ **السـكون**: اسـتعمل أهـل المدينـة للسـكون دارةً صغيـرة فـوق الحـروف، وكذلك يجعلـون هـذه الـدارة علـى الحرف الخفيـف المختلف فيـه تشـديده أو تخفيفه. أمّـا أهـل الأندلـس فيجعلون للسـكون دائمًا جـرّةً حمراء فوق الحرف؛ سـواء كان

الحـرف السـاكن همـزةً أو غيرها مـن الحروف.

٣ـ **الشـدّة:** وقـد اسـتعملها أهـل المدينـة، وهـي دال صغيرة تُوضع فـوق الحرف إن كان مفتوحًـا، وتحتـه إن كان مكسـورًا، وأمامـه إن كان مضمومًا.

٤ـ **علامـة الصلـة:** وضـع أهـل المدينة علامـةً لهمزة الوصل تُسـمّى صلـة؛ لأنّ الكلام الـذي قبـل الألف يوصـل بالذي بعده، فيتصلان وتذهب الهمـزة بذلك من اللفظ، وصورتهـا: دال مقلوبـة توضـع علـى رأس الألـف كالتـي يُحلّـق بهـا علـى الـكلام الزائـد فـي الكتـب دلالـة علـى سـقوطه وزيادتـه، في حيـن أنّ صورتهـا عند أهل الأندلـس: جـرّة لطيفـة بالحمـرة، وتوضع على الألـف إن كان مفتوحًـا، وتحته إن كان مكسـورًا، ووسـطه إن كان مضمومًـا.

٥ـ **علامـة الحـروف الزائـدة**: وضع أهـل المدينة دارةً صغرى بالحمـرة على الحروف الزوائـد فـي الخـطّ، المعدومة في اللفظ، وكذا على الحـروف المخفّفة مثل: مائة ومائتيـن، وتابعهم في ذلـك أهل الأندلس.

٦ـ جعـل أهـل الأندلـس على حـروف المدّ واللِّيـن وكذلك الهمزات منقطـة بالحمرة؛ دلالـة علـى زيـادة تمكينهـن، بينما عامّـة أهل العـراق لا يجعلون فـي مصاحفهم علامـةً للسـكون، ولا للتشـديد، ولا للمـدّ؛ بل يُعَـرُّون الحرف من ذلـك كلِّه، وكان الفـرق عندهـم أنْ يضعـوا نقطـةً علـى الحرف المشـدّد في حين يكـون المخفّف يكـون عاريًا مـن النقط.

ثانيًا: نقط الإعجام[1]:

كان العـرب فـي أول عهدهـم بالكتابـة لا يعرفـون النقـط بحسـب مـا يظهـر مـن النقـوش العربيّـة القديمة؛ مثل نقشـي: زبد وحـرّان الجاهليّين، لذلك لمّـا كتب الصحابة المصاحـف أول الأمـر جرّدوهـا من النقط؛ ليحتمل الرسـم ما لم يكـن في العرضة الأخيرة

(١) بزيادة وتصرّف يسير نقلاً من: المخطوط العربيّ: عبد الستار الحلوجيّ: ٨٦- ٩٢.

ممّـا صحّ عـن النبـيﷺ، ولتكـون دلالـة الخـطّ الواحـد علـى كلا اللفظيـن المنقوليـن المسـموعين المتلوَّيـن شـبيهةً بدلالـة اللفـظ الواحـد علـى كلا المعنيين، من غيـر تغييرٍ فـي رسـم الكلمـات. كمـا ذكر ذلـك ابن الجـزريّ فـي كتابه (النشـر) .

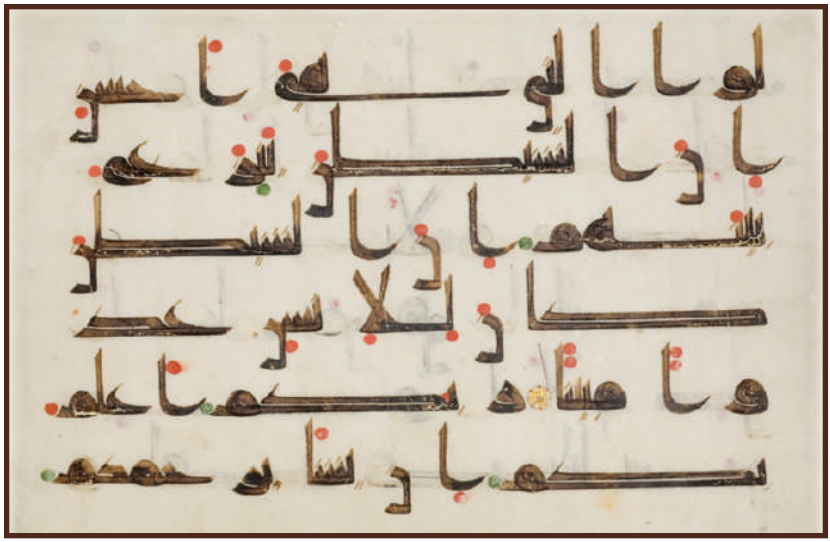

لوحة من المصحف الشريف بخطٍّ كوفيّ يظهر فيها نقط الإعجام والإعراب

وقـد اسـتُعمل نقـط الإعجـام للتفريق بيـن الحروف المتشـابهة في الرسـم مثل: ج ح خ ، ب ت ث، وهـذا التطـور الكتابـيّ حـدث فـي عهد عبـد الملك بن مـروان (ت٨٦هـ) بأمـر الحجّـاج بن يوسـف الثقفيّ لنصر بـن عاصم ويحيى بن يعمر؛ بـأن يضعوا للحروف المتشـابهة فـي الرسـم علامـاتٍ تميّزهـا عـن بعضهـا؛ حتى يقضـي على ما شـاع في ذلك الوقـت مـن التصحيـف في القـراءة، فقاما بوضـع النقط على الحروف بنفـس لون المداد الـذي تُكتَـب بـه، على اعتبـار أن نقط الحـرف جزء منه.

ثالثًا: علامات الحركات الإعرابيّة[١]:

كان وجـود نوعيـن مـن النقط أمـرًا مربكًا ومجهدًا بلا شـكّ للكاتب والقـارئ على حدٍّ

(١) لخّصتُ ذلك المبحث بزيادة وتصرّف يسير نقلاً من: الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط: ٢١٦- ٢٢٥.

سواء، وكان في الوقت نفسه مدعاةً لاختلاط الكتابة على القُرّاء؛ لأنّ التفريق بينهما كان عن طريق الألوان كما مرّ سابقًا، ومن أجل ذلك كان لابدّ من عملية تيسيرٍ أخرى للكتابة العربيّة، وهو ما قام به الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٠هـ) بعد ذلك في عهد الدولة العباسيّة الأولى.

ويمكن تلخيص إصلاحات الخليل في ما يأتي:

١ـ ألغى النقط الدالّة على الحركات ذات الشكل الواحد؛ وهي علامات الإعراب التي وضعها أبو الأسود الدؤليّ وعمّمها تلميذاه نصر ويحيى على جميع حروف الكلمة، فخصّص كلّ حركةٍ بعلامة تتميّز بها، واقتبس أشكال الحركات الجديدة من حروف العلّة الثلاثة (ا ـ و ـ ي)مستوحيًا من الحركات الطويلة رموزًا للحركات القصيرة من جنسها؛ فالفتحة ألف مضجَعة فوق الحرف، والكسرة ياء تحت الحرف، والضمة واو صغيرة تُوضع أعلى الحرف؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة.

٢ـ استقصى مسائل النطق الصوتيّ للعربيّة مستنيرًا في الدرجة الأولى بقراءة القرآن، ثمّ بحاسته الموسيقيّة المرهفة التي تدرك أيَّ تغيُّرٍ في النطق مهما كان يسيرًا، ويحوط ذلك كلّه علمٌ واسع بلغة العرب ونظامها؛ فوجد جوانبَ من النظام الصوتيّ يلزم وضع علاماتٍ لها، وقام بمجموعة إصلاحاتٍ كتابيّة لرموز الكتابة وحالات النطق تمثّلت في الآتي:

أ ـ رمز الهمزة:

كانت الهمزة يُعبَّر عنها بوضع نقطةٍ بالصفرة، وعندما أراد الخليل أن ينهي الاشتباك بين علامات الإعجام والحركات، رأى أنّ النقطة الصفراء للهمزة غير ملائمة؛ لهذا رأى أن تقصر الألف على الفتحة الطويلة؛ أي المدّ بالألف ووضع علامةٍ جديدة للهمزة، وهي رأس عين صغيرة تُوضَع أعلى الحرف الذي يهمز فيه أثناء القراءة؛ لقرب الهمزة من حرف العين في المخرج.

ب ـ علامة الصلة:

فرَّق الخليل بين همزة القطع التي يُلْفَظ بها أول الكلام ودرجه، وبين الهمزة التي

لا يُلْفَـظ بهـا عند ابتداء الكلام وتسـقط في درجه، فوضـع لهمزة الوصل رأس صاد صغيرة أعلى الألف؛ اختصـارًا لكلمة (صلة).

ج ـ علامة الشَّدَّة:

التشـديد عبـارة عـن إدغـام حرفين، وقـد اتّخـذ الخليل له علامـة (الشـين)؛ لأنّه أول كلمـة (شـديد)، وصورتهـا شـين صغيـرة بغير نقـط ولا عراقـة تُوضَع أعلـى الحرف.

د ـ السكون:

وهـو إشـارة إلـى خلو الحـرف من الحركـة؛ ولهذا سـمّوه خفيفًا؛ من أجـل ذلك جعل الخليـل علامتـه رأس (خـاء) صغيـرة غيـر منقوطـة تُوضَع أعلـى الحرف؛ إشـارة إلى كلمة (خـف)، أو لكلمـة (خفيف).

هـ ـ علامة المدّ الزائد:

وقـد اتّخـذ لـه الخليل (ميمًـا) صغيرة مع جزء مـن الدال (مد)، وهـي تُوضَع على كلّ حـرفٍ يزيـد عـن المدّ الطبيعـي، مثل: آلم، وخصّهـا المتأخرون بعد حـذف ميمها بالألف المهمـوزة التـي بعدها ألف محذوفـة خطًّا موجودة لفظًا؛ مثـل: الآن، قرآن.

وبهـذه العلامـات المميّـزة اسـتطاع الخليـل بـن أحمـد تخصيـص كلّ حـرفٍ بعلامـة تختـصّ بهـا، لا كمـا كان الحـال فـي النَّقط، حيـن تشـترك كلّ الحركات بشـكلٍ واحد وإن اختلفـت مواقعهـا، واسـتطاع الكاتب أن يجمع في كتابته بيـن الحروف وإعجامها وجميع رمـوز الحـركات بلونٍ واحد، وقد اسـتعمل الخليل هذه الطريقـة المبتكرة في كتب اللغة والأدب دون القـرآن؛ حرصًـا منـه على اتّقـاء التهمة بالابتداع في الرسـم، ووفاءً لعهد أبي الأسـود وتلميذيه.

ولكـن طريقـة الخليـل دخلت بعـد ذلك في كتابة المصاحـف ـ وإن كان ذلك متأخّرًا؛ إذ ظـلّ النـاس يسـتعملون النقـط المـدوّر فـي ضبـط المصاحـف قرونًـا بعـد الخليل، بل وشـدّد علمـاء الرسـم والقـراءات علـى عـدم الأخـذ بشـكل الخليـل، ولكنـه بدأ يُسـتعمل

في المصاحف أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجريّين، خاصّة في العراق، لكن بلاد المغرب والأندلس ظلّت متمسكةً بالطريقة القديمة أجيالًا متتابعة؛ فقد ذكر هذه الطريقة إبراهيم بن محمّد بن وثيق الأندلسيّ (ت٦٥٤هـ) في كتابه (الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف) من جعل النقطة الصفراء علامةً للهمزة، وكذلك فعل محمّد بن محمّد الشريشيّ المشهور بالخرّاز (ت ٧١٨هـ) في منظومته (مورد الظمآن في رسم القرآن) بأنْ جعل علامةَ الهمزة نقطةً مدوّرة بالصفرة، ويظهر ذلك في مصحفٍ مغربيّ يرجع تاريخ نسخه إلى القرن الثامن الهجريّ، محفوظ في مكتبة (تشستربتي) بدبلن.

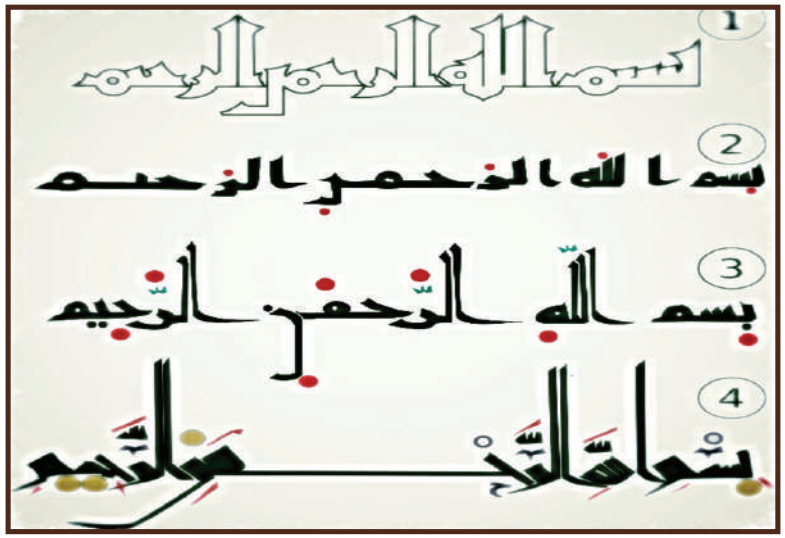

صورة توضّح لنا تطوّر الكتابة، الصورة الأولى، والثانية نقط الإعراب، والثالثة نقط الإعراب والإعجام، والرابعة نقط الإعجام وعلامات التشكيل التي طوّرها الخليل.

رابعًا: الرسم العثمانيّ لخطّ المصحف وسماته: [1]

لقد أتى على الكتابة العربيّة حين من الدهر كانت تُكتَب بالصورة التي نجدها في

(١) لخّصتُ هذا المبحث نقلاً من حكم الالتزام بقواعد رسم المصحف وضبطه: أحمد خالد شكري: ٤٠٣، ٤٠٩- ٤١٠، والتبيان شرح موارد الظمآن: عبد الله بن عمر الصنهاجيّ: ٢٥-٢٦.

الرسـم العثمانـيّ؛ تشـهد لذلك النقـوش التي ترجع إلـى القرن الهجـريّ الأول، ثمّ توثّقت بعـد ذلـك العلاقـة الجدليّة الحيّة بين الرسـم القرآنيّ الذي وثّق عمليـة الكتابة في الصدر الأول وبين النُّحاة واللغويّين؛ إذ جعلوا الرسـم العثمانيّ في المصاحف أساسًا يعتمدون عليـه، وجـاءت قواعدهـم موحّدةً لمـا تعدّد رسـمُه، أو مكمِّلةً لنقصٍ في النظـام الكتابيّ لَحقـه؛ ولهـذا قال علماء الرسـم: إن مأخذه واسـتمداده من قواعـد النحو وأصول الصرف، وموافقـة المصحف الإمام.

كما قال الإمام ابن الجزريّ في مقدمة (طيبة النَّشر):

فـكلّ مـا وافـق وجـه نحـوِ وكان للرسـم احتمـالا يحـوي
وصـحَّ إسـنادًا هـو القـــرآن فـــتلكم الثلاثـــة الأركـــان
وحيثمـا يختـلُ ركنـًا أثبِـتِ شـــــذوذَهُ لَوَ انَّهُ في السبعةِ

وقـد أفـرزت الحركـة العلميّـة فـي ذلـك العصـر المبكـر عـددًا كبيـرًا مـن الرسـائل والمؤلّفـات عـن الرسـم والكتابـة، لـم يصلنـا منهـا إلّا القليـل؛ ومنهـا: (اختـلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق) لعبد الله بن عامر الدمشقيّ ـ أحد القرّاء السبعة ـ (ت١١٨هـ)، (اختـلاف مصاحـف أهـل المدينة وأهـل الكوفة وأهل البصـرة) لعليّ بن حمزة الكسـائيّ (ت١٨٩هـ)، (اختـلاف أهـل الكوفـة والبصـرة والشـام فـي المصاحـف) ليحيـى بـن زياد الفرّاء(ت٢٠٧هـ)، (الخـطّ والهجـاء) لمحمّـد بـن يزيـد المبرّد(ت٢٨٥هـ)، (التنزيل في هجـاء المصاحـف) لأبـي داود السجسـتانيّ(ت٢٧٥هـ)، (كتـاب المصاحـف) لعبـد اللـه بـن أبـي داود السجسـتانيّ(٣١٦هـ)، (الـردّ عـل مـن خالف مصحـف عثمـان) لمحمّد بن القاسـم ابـن الأنبـاريّ (ت٣٢٧هـ)، (هجـاء المصاحـف) لمكّـيّ بـن أبـي طالب القيسـيّ (ت٤٣٧هـ)، (هجـاء مصاحف الأمصـار) لأحمد بن عمّار المهـدويّ (ت٤٤٠هـ)، (المقنع فـي مرسـوم مصاحـف أهـل الأمصار) لأبـي عمرو عثمـان بن سـعيد الدانـيّ (ت٤٤٤هـ)، (التبييـن لهجـاء التنزيل) لأبي داود سـليمان بـن نجاح الأندلسـيّ(٤٩٦هـ)، (عقيلة أتراب القصائـد) للإمـام الشـاطبيّ (ت٥٩٠هـ)، (عنـوان الدليـل من مرسـوم خـطّ التنزيل) لابن البنـاء المراكشـيّ(٧٢١هـ)، (مـورد الظمـآن فـي رسـم أحـرف القـرآن) لمحمّد بـن محمّد

الشريشيّ الشهير بالخرّاز (ت٧١٨هـ)، (الطراز في شرح ضبط الـ(خرّاز)) لمحمّد بن عبد الله التِّنَسيّ(ت٨٩٩هـ)، وغيرها من المصنّفات.

والرسم: علمٌ تُعرَف به مخالفة المصاحف العثمانيّة لأصول الرسم القياسيّ، والمراد بالمصحف العثمانيّ مصحف عثمان بن عفان الذي أمر بكتابته أواخر سنة ٢٤هـ وأوائل سنة ٢٥هـ كما ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانيّ، وكانوا يسمّونه (المصحف الإمام)؛ لقول عثمان: « يا أصحاب محمّد اجتمعوا فاكتبوا للناس إمامًا »، ويُراد به الخطّ الذي كُتِب به المصحف في عهده، وارتضاه بإجماع الصحابة عليه، ونُسِب إليه؛ لأنّه هو الذي أمر بجمعه وكتابته على الرسم والهيأة التي هو عليها الآن في مصاحفنا، وهو خطّ متميّز يختلف بعض الشيء عن قواعد الإملاء التي تواضع عليها اللغويّون بعدُ.

والخطّ على ثلاثة أقسام:

١. خطّ يُتَّبع فيه الاقتداء بما فعله الصحابة؛ وهو رسم المصحف العثمانيّ.
٢. خطّ يُتّبع فيه ما يتلفَّظ به المتكلّم، ويسقط ما يحذفه؛ وهو خطّ العروض.
٣. خطّ يُتّبع فيه تصوير الكلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها؛ وهو الخطّ القياسيّ للكتابة الاعتياديّة.

وأصوله خمسة:

١- تعيين نفس حروف الهجاء دون أعراضها.

٢- عدم النقصان منها.

٣- عدم الزيادة عليها.

٤- فصل اللفظ عمّا قبله مع مراعاة الملفوظ به في الابتداء.

٥- فصل اللفظ عمّا بعده مع مراعاة الملفوظ به في الوقف.

أمّا خصائص الرسم العثمانيّ:

فقد حصرها علماء الرسم والقراءات في قواعد ستة نظمها الشيخ محمد العاقب

الجكنيّ فـي قوله:

الرســـــــم في ســـــــتِّ قواعدَ استَقلْ:
حـــذفٌ، زيـــادةٌ، وهمـــــزٌ، وبـــــدلْ
وما أتـــــى بالفصـــــــل أو بالوصلِ
موافِقًـــا لِلَّفـــــظِ أو للأصـــــلِ
وذو قراءتيـــــن ممَّـــــا قد شُـــــهِرْ
فيـــه علـــى إحداهمـــا قـــد اقتُصِـــرْ [1]

١ـ **الحـذف:** ومعنـاه فـي الاصطـلاح: وجـود صـوت ملفـوظٍ بـه ليـس لـه مقابل في الرسـم، وهـو ثلاثـة أنواع:

ـ **حذف الإشارة:** وهو ما يكون الحذف فيه للإشارة إلى قراءة أخرى.

مثـل حـذف الألـف في قوله: وإن يأتوكم أُسَـرَى تُفَدُوهم، فحذفُها إشـارةٌ إلى قراءة حمزة؛ حيث قرأها بفتح الهمزة وإسـكان السـين وبدون ألف بعدها هكذا: أَسْـرَى.

وأمّـا حـذف الألـف في تُفَدُوهم؛ فهو إشـارة إلى قراءة ابن كثيـر وابن عامر وحمزة وخلـف؛ فقـد قرؤوها: بفتح التاء وسـكون الفاء وبدون ألف بعدهـا هكذا: تَفْدُوهُم.

ـ **حـذف الاختصـار:** وهـو مـا لا يختـص بكلمـة دون مثلهـا فيصـدق بمـا تكـرر مـن الكلمـات ومـا لـم يتكـرر منهـا، أو للتخفيـف مـن الرسـم.

وهـو الـذي يكـون مُطَّرِدًا في جميـع الكلمات المتناظرة، مثل حـذف الألف في كلّ جمـع مذكـر سـالم وجمـع المؤنث السـالم؛ إذا لم يقـع بعد الألف تشـديد أو همز مباشـران، مثـل قولـه: العلميـن ـ الحفظيـن ـ الصدقيـن ـ المُسـلِمَت ـ القَنِتَت ـ كل ذلـك بحذف الألـف فيها.

ـ **حـذف الاقتصـار:** وهـو مـا اختـص بكلمـة بعينهـا دون بقيـة نظائرهـا فـي سـائر المواضـع الأخـرى.

(١) ينظر رشف اللمى على كشف العمى: محمد العاقب بن مايابى: ١٠٦

مثل حذف ألف المِيعَاد في قوله تعالى: ولو تواعدتم لاختلفتم في المِيعَد، في سورة الأنفال آية (٤٢) فقط لا غير، وإثباتها في بقية المواضع.

وحذف ألف الكفَّارُ في قوله تعالى: وسيعلم الكفَّرُ لمن عُقبى الدار، في سورة الرعد آية (٤٢)، وإثباتها في بقية المواضع.

والذي يحذف في المصاحف من حروف الهجاء خمسة حروف وهي: حروف المد الثلاثة بكثرة، وبقلةٍ في اللام والنون، وأكثرها حذفًا الألف.[١]

٢ـ **الزيادة:** ومعناها في الاصطلاح: كتابة حرفٍ في الرسم ليس له مقابل صوتي في النطق وصلًا أو وقفًا. والحروف التي تُزاد هي: الألف والواو والياء، وهي تُزاد في وسط الكلمة أو آخرها، وذلك في ألفاظ معينة منها ما يشكل قاعدة أو أصلًا مطردًا، ومنها ما يكون في كلمات خاصة لا يُقاس عليها.

مثل زيادة الألف: في مائةَ ومائتينِ وشَايْءٍ...

وزيادة الياء: وخاصة بعد الهمزة المكسورة، أو الهمزة المفتوحة بعد كسرٍ، مثل: بأييدٍ، بأيِّيكمُ، أفإِيْنْ، نبأيْ، تلقاءِى، ءَانَاىءِ...

وزيادة الواو: وخاصة بعد الهمز المضموم، مثل: أولوا، أولاءِ، أولاتُ، سأوريكمْ...

٣ـ **البدل:** وهو ما وقع في المصحف من قلب حرف مكان آخر، أو رسم صوت بغير الرمز الذي وُضِع له في الكتابة.

وهو قسمان بدلٌ محض:

ـ في إبدال الألف واوًا مثل: الصلوة، الزكوة، الحيوة، كمشكوة، الغَدَوة..

أو إبدال الألف ياءً مثل: الصفا، شفا، سنا، نجا، علا..

ـ في إبدال هاء التأنيث تاءً مثل: رحمت، نعمت، سُنَّت، لَعْنَت، معصيت، كَلِمَت، شجرت.

---

(١) ينظر: دليل الحيران في شرح مورد الظمآن، إبراهيم بن أحمد المارغنيّ: ٤٢، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين: علي محمد الضباع: ٧٢/١ وما بعدها.

وبدلٌ غير محض

ـ فـي إبـدال السـين صـادًا، مثـل رسـم السـين صـادًا فـي: الصـراط حيـث وقعت، وكذلـك يبصـط وبصطة.

ـ فـي إبـدال التنويـن نونًـا مثـل: وَكَأَيِّن، ورسـم النون السـاكنة ألفًـا مثـل: وَلَيكُونًا، لَنَسْفَعًا..

٤ـ **رسـم الهمزة**: في كيفية كتابتها أول اللفظ أو وسـطه أو آخره، وقد يكون في اللفظ الواحد وجهان أو أكثر، وتوافق بعض هذه القواعد ما في الرسـم الإملائي المعاصر. وقد وردت الهمزة في الرسم العثماني تارة برسم الألف، وتارة بالواو، وتارة بالياء.

ومثال لرسمها أَلِفًا في كلمة: لَتَنُوأُ، وهو الموضع الوحيد في القرآن، والأصل: لتنوء.

ومثال لرسمها واوًا في كلمة: يَبْدَؤُا في مواضعها الستة في القرآن، والأصل: يبدأ.

ومثال لرسـمها ياءً في كلمة: إِيتَاءِي، وهو الموضع الوحيد من ثلاثة مواضع، والأصل: إيتاء.

٥ـ **الفصـل والوصـل**: والمـراد به قطـع الكلمة عما بعدها وهو الأصـل، أو وصلها بها، وذلـك فـي كلمـات بعينها. فقـد رُسِـمَت بعض الكلمـات في المصحـف العثماني متصلـة مـع أن حقَّهـا الفصل، ورُسِـمت كلمات أخـرى منفصلة مـع أن حقها الوصل. وهو نوعان:

الأول: وصـل الكلمـات التي حدث فيهـا إدغام أو فصلها، مثل: أن لا، من ما، أن لن، عـن مـن، عن ما، فإن لـم، إن ما، أم من.

الثانـي: وصـل الكلمـات التي لـم يحدث فيها إدغـام وفصلُها، مثل: فـي ما، لكي لا، بئـس مـا، أيـن مـا، إنَّ مـا، أنَّ ما، كلَّ مـا، حيث ما، يا ابـن أم ـ يَبْنَؤم.

٦ـ **مـا فيـه قراءتـان ورُسِـم علـى إحداهمـا**: فتكـون هـذه القـراءة موافقـة للرسـم تحقيقًـا، وتكـون الأخـرى موافقـة للرسـم تقديرًا، مثـل كلمة ملك فـي: (ملك يوم الديـن)، كُتِبَـت بغيـر ألـف علـى قـراءة مَلِـكِ، وتُقرأ كذلـك بتقدير الألـف هكذا:

مالِـكِ، وكلمـة: «ثمودا» المرسـومة بالألف في هود والفرقـان والعنكبوت والنجم، وقُـرِأَت بوجهيـن همـا: التنويـن وعدمـه، وهـي مرسـومة بإثبـات الألـف لتوافـق قـراءة التنويـن تخفيفًـا، وتكـون قـراءة عـدم التنويـن موافقةً للرسـم تقديرًا.

ـ مـا فيـه قراءتان لا يحتملهما رسـم واحد، فرسـم على إحداهمـا في مصحف وعلى الأخـرى فـي مصحـف آخـر، وهـي ألفـاظ محصـورة، ومنهـا قولـه تعالـى: «إلا قليل منهـم» [النسـاء: ٦٦] قـرئ بالنصـب والرفع، ورسـم بهمـا هكذا: قليـلٌ ـ قليلاً.[١]

وقـد جمع هذه القواعد السـتة الشـيخ العلّامـة محمّد العاقب الشـنقيطيّ في نظمٍ قال فيه:

الرســـــمُ في ســـــتِّ قواعد اسْتَقَلْ:
حـــذفٌ زيـــادةٌ وهمـــزٌ وبـــدلْ
وما أتـــى بالوصل أو بالفصـــلِ
مُوافقًـــا لِلَّفـــظ أو للأصـــلِ
وذو قراءتيـــنِ ممّا قـــد شُهِرْ
فيـــه علـــى إحداهمـــا قـــد اقتصـــرْ

(١) ينظر المُيسَّر في علم رسم المصحف وضبطه: غانم قدوري الحمد: ١٠٢ ـ ١٧٣، ٢٧٠ ـ ٢٧١ باختصار.

المبحث الثالث

أثر الجغرافيا التاريخيّة والإقليميّة في تنوّع خطوط المصاحف:

تصـدّى كثيـر من الباحثيـن للحديث عن الخطّ العربيّ فـي المخطوطات وغيرها دون التوسّـع والاسـتفاضة فـي الحديـث عن أثـر الجغرافيا الإقليميّة فـي تطوّر الخـطّ العربيّ، وهـو اتجـاه بحثـي جدير بالـدرس؛ لكونه بُعـدًا جديدًا سـيعطي الباحثين آفاقًا رحبة في دراسـات الخطّ العربـيّ وتاريخه وفنيّاته.

وتُعدّ شـبه الجزيرة العربيّة بمثابة الخزّان البشـريّ الذي خرجت منه الهجرات العربيّة الفاتحـة فـي اتجاهـات ومسـالك مختلفة، حاملةً معها هـذا الدين العظيـم وبمعيّة اللغة العربيّـة والخـطّ العربـيّ؛ لتظلّـل تلكـم المنطقة الشاسـعة الواقعة ما بين أقصى الشـرق فـي تخـوم بلاد الصين إلـى أقصى بلاد المغرب العربـيّ والأندلس.

والـذي ينظـر إلـى المنطقـة الجغرافيّـة التـي دخلهـا المسـلمون، يتبيّن له أنّ الإسـلام والخـطّ العربـيّ لـم يصـلا إلـى أجـزاءٍ واسـعة مـن آسـيا وأوروبـا فقـط، بـل عبـرا البحـر المتوسـط ليسـتقرّا فـي أنحـاء متعدّدة من الجنـوب الغربـيّ لأوروبا (إسـبانيا والبرتغال)، والجنـوب الأوروبـيّ، والجنـوب الفرنسـيّ، وكذلـك دخـلا إلى جـزر البحر المتوسـط مثل: قبـرص ومالطـة وكريـت وصقلية، ووصلا إلى جنوب شـرق آسـيا، وجـزر المحيط الهادي، وأرخبيـل الجـزر الإندونيسـيّة؛ وبـه إلـى الآن أكبـر عـدد من المسـلمين يقطن فـي دولةٍ واحدة.

وهـذا الانتشـار المكانـيّ للإسـلام والخـطّ العربـيّ بهـذه الصـورة الكبيـرة صاحبـه في الوقـت نفسـه بعـدٌ زمانـيّ مميّـز ؛ فقـد نجـح العرب فيما فشـل فيـه الغزاة مـن قبلهم، وهـو التمكّـن مـن تثبيت لغتهـم وجعلها مقبولةً لدى شـعوب البلاد والأمصـار المفتوحة، فقـد اسـتطاعت العربيّـة والخـطّ العربـيّ أن تحـلّ محـلّ اللغـات واللهجـات المسـتعمَلة آنـذاك؛ مثـل: الآشـوريّة، والقبطيّـة؛ واليونانيّـة، والأمازيغيّـة، بـل إنّهـا اسـتحالت اللغـة

الرسميّة في كلّ الأراضي التي فتحها المسلمون.[١]

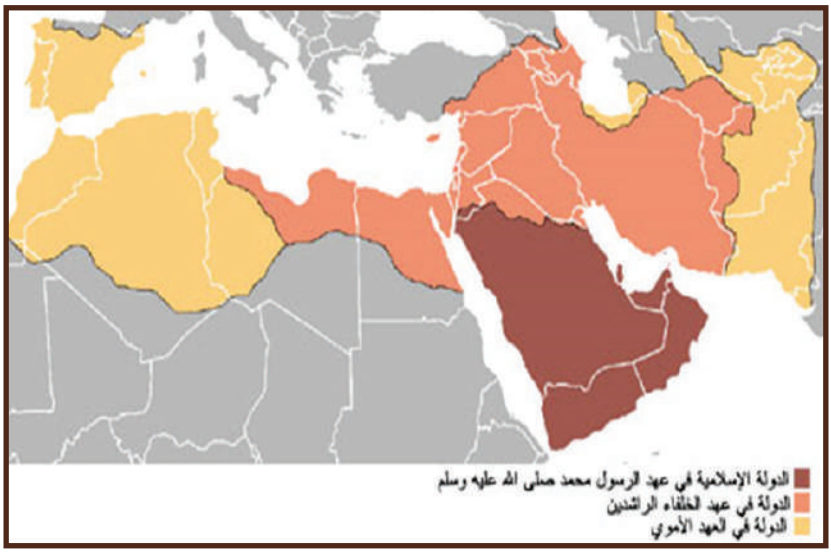

صورة توضح اتساع رقعة العالم الإسلاميّ منذ عهد النبيّ ﷺ وحتى نهاية العهد الأُمَويّ

أمر آخر وهو أنّ الخطّ شأنه شأن سائر الصناعات، يرتبط بحال الدولة قوةً وضعفًا، فعندما تأفل شمس دولة ما فإنّ الخطّ وإتقانه وتعليمه ينتقل إلى الدولة القوية حينها وهكذا، وبشأن ذلك المعنى يقول عبد الرحمن ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): « ثمّ لمّا جاء المُلك للعرب وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك، ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخطّ، وطلبوا صناعته وتعلُّمه وتداولوه، فترقَّت الإجادة فيه واستحكم. وبلغ في الكوفة والبصرة رتبةً من الإتقان، إلّا أنّها كانت دون الغاية، والخطّ الكوفيّ معروف الرسم لهذا العهد.

ثمّ انتشر العرب في الأقطار والممالك، وافتتحوا إفريقية والأندلس، واختطّ بنو العباس بغداد، وترَّقت الخطوط فيها إلى الغاية، لمّا استبحرت في العمران وكانت

(١) ينظر جغرافية الخطّ العربيّ وإشكالية الزمان والمكان: محمد حسن إسماعيل: ٣١ ـ ٣٤ بتصرف واختصار.

دار الإسـلام ومركـز الدولـة العربيّـة، وخالفـت أوضاع الخـطّ ببغداد أوضاعه فـي الكوفة؛ في الميل إلى إجادة الرسـوم وجمال الرونق وحسـن الرواء، واسـتحكمت هذه المخالفة فـي الأعصـار إلـى أن رفـع رايتهـا ببغداد علـيّ بن مقلة الوزيـر، ثمّ تلاه في ذلـك عليّ بن هـلال الكاتـب الشـهير بابـن البـوّاب. ووقف سـند تعليمها في المئـة الثالثة ومـا بعدها، وبعُـدت رسـوم الخـطّ البغـداديّ وأوضاعـه عـن الكوفـة حتـى انتهـت إلـى المباينـة، ثمّ ازدادت المخالفـة بعـد تلـك العصـور بتفنّن الجهابـذة في إحكام رسـومه وأوضاعه، حتى انتهـت إلـى المتأخريـن مثـل: ياقـوت، والوليّ علـيّ العجميّ، ووقف سـند تعليـم الخطّ عليهـم، وانتقـل ذلـك إلـى مصـر، وخالفـت طريقة العـراق بعض الشـيء، ولُقِّنهـا العجم هنـاك؛ فظهـرت مخالفة لخـطّ أهل مصـر ومباينة.

وكان الخـطّ البغـداديّ معـروفَ الرسـم، وتبعـه [الخـطّ] الإفريقـيّ المعـروف رسـمه القديـم لهـذا العهـد، ويقرب من أوضاع الخطّ المشـرقيّ، وتحيّز ملـك الأندلس بالأمويّين، تميّـزوا بأحوالهـم مـن الحضـارة والصنائـع والخطوط؛ فتميّـز صنف خطّهم الأندلسـيّ كما هو معروف الرسـم لهذا العهد، وطما بحر العمران والحضارة في الدول الإسـلاميّة في كلّ قطـر، وعظُـم الملك ونفقَت أسـواق العلوم، وانتُسِـخت الكتـب، وأُجِيد كَتْبُهـا وتجليدُها، ومُلِئَـت بهـا القصـور والخزائـن الملوكيّة بمـا لا كفاء لـه، وتنافس أهل الأقطـار في ذلك.

ثـمّ لمّـا انحل نظـام الدولة الإسـلاميّة وتناقصت، تناقـص ذلك أجمع، ودُرسـت معالم بغـداد بدروس الخلافة، فانتقل شـأنها من الخـطّ والكتابة، بل والعلم إلى مصر والقاهرة، فلـم تـزل أسـواقه بهـا نافقـة لهـذا العهـد، ولـه بهـا معلّمـون يرسـمون لتعليـم الحـروف بقوانيـن فـي وضعهـا وأشـكالها متعارفة بينهـم، فلا يلبـث المتعلّم أن يُحْكِم أشـكال تلك الحـروف علـى تلـك الأوضـاع، وقد لقنها حِسًّـا وحـذق فيها دُرْبَـةً وكتابًـا، وأخذها قوانين علميّـة فتجيء أحسـن مـا يكون.

وأمّـا أهـل الأندلـس فافترقـوا فـي الأقطـار عنـد تلاشـي ملك العـرب بها ومـن خلفهم مـن البربـر، وتغلبـت عليهـم أمـم النصرانيّة، فانتشـروا في عُـدوة المغـرب وإفريقية من لـدن الدولـة اللمتونيّـة إلـى هذا العهـد، وشـاركوا أهل العمـران بما لديهم مـن الصنائع،

وتعلّقوا بأذيال الدولة، فغلب خطّهم على الخطّ الإفريقيّ وعفا عليه، ونُسِي خطّ القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما، وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها؛ لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس، وبقي منه رسمٌ ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كُتَّاب الأندلس ولا تمرسوا بجوارهم، وإنما كانوا يفدون على دار الملك بتونس؛ فصار خط أهل إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس». (١)

ولا شكّ أنّ الظروف المكانيّة والمناخيّة والحالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، كلّها تؤثّر على اختيار الموادّ المستخدمة في الكتابة، ونوعية المداد ولونه، وكذلك طرائق الصناعة؛ ممّا يؤدي إلى اختلاف أشكال الخطّ الواحد من بلدٍ لآخر، ومن عصرٍ لغيره.

وفي هذا المبحث سيكون الحديث مركّزًا على الخطّ (الحجازيّ) المبكّر الذي كُتِبت به المصاحف الأولى، والذي استقرّ عند مؤرّخي الفنون وعلماء الخطّ باسم (الخطّ الكوفيّ)، وملاحظة تطوّر أشكاله باختلاف البلدان والأقاليم والعصور التي استخدمته خطًّا لها في كتابة المصحف الشريف.

أولاً: خطوط المصاحف في المشرق الإسلاميّ:

استُخدم **الخطّ (الحجازيّ) المبكّر المائل** في كتابة المصاحف أول العهد، وكانت ألفاته ولاماته متوازيةً ومائلة يمينًا قليلًا، والحروف النازلة فيه متوازية مع الحروف الطالعة، وهو خالٍ من نقط الإعجام ونقط الإعراب وزخارف الصنعة الفنّيّة؛ وهذه سمات كتابات القرن الأول دون غيره.

أمّا **الخطّ (الحجازيّ الممشوق)** ففيه تُمَطُّ حروف الدال والصاد والطاء والكاف وأخواتها والياء الراجعة مطًا كبيرًا على السطر، دون أن يكون هناك مطٌّ في وسط المقاطع المكوّنة من حرفين أو أكثر، ويجوز ترك المسافات الكبيرة بين الكلمات؛

(١) نقلاً من المقدّمة: ابن خلدون: ٢/١٢٣- ١٢٥.

ممّا يساعد على التضييق ما بين السطور وظهور حروف نازلة على السطر الثاني، وكلّ ذلك من أنواع التجويد، وهو أجمل من الخطّ الأول، وقد بدأ من القرن الأول واستمر حتى القرن الثالث، وأكثر المتوفر من المصاحف الخطّيّة من هذا الخطّ.

ثمّ جاء بعد ذلك **الخطّ (الكوفيّ المحقّق)**؛ وهو أجود الثلاثة شكلًا ومنظرًا، وأجودها نسقًا ونظامًا، وفيه أصبحت أشكال الحروف متشابهة، والحروف التي كانت تُمطّ في الخطّ (الحجازيّ الممشوق) قبل مطّها تساوت في مساحتها، وأصبحت هناك مدّات في وسط المقاطع؛ ليحدث التناسب بين المدّات كلّها، وزاد من حلاوته وجماله تزيينه بالنقط والشَّكل الذي تمّ في أواخر القرن الثاني الهجريّ، وكذلك تساوي المسافات بين السطور واتّساعها أكثر من النوع السابق، واستقلّ كلُّ سطرٍ بكلماته، وذلك من القرن الثاني الهجريّ وحتى القرن الرابع الهجريّ.

أمّا (**الخطّ الكوفيّ الوسيط**) [١]؛ فقد اتّخذ كلّ بلدٍ من البلدان طريقةً فنيّة في كتابته، حتى وجدنا خصائصَ وسماتٍ له في كلّ بلدٍ منها، فهناك مثلًا: الكوفيّ الموصليّ، والكوفيّ الإيرانيّ، والكوفيّ الهنديّ، والكوفيّ الأيوبيّ والكوفيّ المملوكيّ، والكوفيّ الفاطميّ، والكوفيّ القيروانيّ، والكوفيّ المغربيّ، والكوفيّ الإفريقيّ(التونسيّ)، والكوفيّ الأندلسيّ، والكوفيّ السودانيّ.[٢]

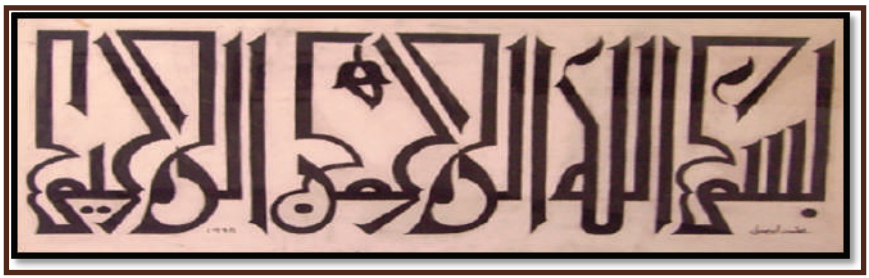

صورة للخطّ الكوفيّ الأيوبيّ

(١) اصطلحت على تسميته كذلك؛ لتوسّطه تاريخ الأمة الإسلاميّة في كلّ بلدٍ استخدم ذلك الخطّ منذ القرن الخامس الهجريّ وحتى القرن التاسع وما بعده.

(٢) ينظر المخطوط العربيّ دراسة في أبعاد الزمان والمكان: إياد خالد الطبّاع: ٢٤-٢٥.

صورة للخطّ الكوفيّ المملوكيّ

صورة للخطّ الكوفيّ النيسابوريّ

صورة للخطّ الكوفيّ السلجوقيّ

صورة للخطّ الكوفيّ الصنهاجيّ

اعتاد مؤرّخو الفنون الإسلاميّة تقسيم الخطّ الكوفيّ حسب الشكل، وعلى اعتباره عنصرًا زخرفيًّا إلى الكوفيّ البسيط، والكوفيّ المُورَّق، والكوفيّ ذي الأرضيّة النباتيّة، والكوفيّ المُضفَّر، والكوفيّ الهندسيّ، في حين خالفهم د.إبراهيم جمعة في ذلك؛ ورأى أنّ التقسيم لابدّ أن يكون لا على أساس شكل الخطّ وهيأته، وإنما بحسب ما يؤدّيه الخطّ من أغراضٍ ووظائف، فقسَّم الكتابات الكوفية إلى خطّ المصحف، وخطّ التدوين، والخطّ التذكاريّ.[١]

الخطّ في مصر:

نشطت حركة كتابة المصاحف الخزائنيّة، والجوامعيّة، والوقفيّة كبيرة الحجم جدًّا،

(١) ينظر دراسة في تطوّر الكتابات الكوفيّة: إبراهيم جمعة: ٤٥ – ٦٢.

باذخـة الخـطّ فائقـة التذهيب، فـي مرحلتها التاريخيّـة الممتدّة تقريبًا من القرن السـابع الهجـريّ إلـى القـرن العاشـر الهجـريّ، وكان الخـطّ المسـتخدم سـاعتها هـو (المحقّـق)، و(الثلـث الجلـيّ) في سـطور حرّة قليلـة العدد.

وبعـد سـقوط بغـداد ورثـت القاهـرة عمليـة تطويـر الخطّ العربـيّ مع ابـن الوحيد وابـن الصائـغ والطيبـيّ حتى ظهـور المدرسـة العثمانيّة.

تميّـز العصـر المملوكـيّ بالثـراء الثقافـيّ، وخلـف العديـد مـن نُسـخ المصحـف المخطوطـة؛ ومـن بينهـا المصاحـف التـي تحتفـظ بهـا دار الكتـب المصريّـة (مصحف السـلطان الناصـر محمّـد بن قلاوون) الموقـوف على جامعه بـ(القلعة) سـنة (٧٣٠هـ)؛ وهـو مكتـوب بالخـطّ (المحقّـق) بمـاء الذهب المشـعّر بالأسـود، مقاسه(٥٤×٣٨سـم) ومسـطرته ثمانيـة أسـطر، ومصحف أمر بكتابته السـلطان الناصر بـن محمّد بن قلاوون سنة (٧٥٥هـ)، ثمّ وقفـه بعد ذلك السلطان أبو المظفر شعبان على المدرسة المعروفة بـ(أم السـلطان) بخـطّ التبانة في ذي القعدة سـنة (٧٦٩هـ)، ومصحف السـلطان ناصر الديـن شـعبان (ت٧٧٨هـ) الـذي أوقفـه علـى مدرسـته قبـل وفاتـه بعـام واحـد، وهو بالخـطّ (المحقّـق) كتبـه علـيّ بن محمّـد في ٥ محرم سـنة (٤٧٧هـ)، وذهّبـه إبراهيم الآمـديّ، مقاسـه (٧٣ ×٥٢سـم) ومسـطرته ١٣ سـطراً، ومصحـف فـي جزأيـن بالخـطّ الريحانـيّ وقفـه السـلطان شـعبان سـنة (٧٧٠هـ)؛ وهو مـن تذهيب إبراهيـم الآمديّ مقاسـه (٧٥,٥× ٥٦سـم) ومسـطرته سـبعة أسـطر، ومصحف السـلطان برقوق كتبه عبد الرحمـن بـن الصائـغ بقلـمٍ واحد في مدّة سـتين يومـاً، وفرغ منه في ٦ذي الحجة سـنة (٨٠١هـ) مقاسـه (١٠٥×٨٠سـم) ومسـطرته ١١ سـطراً، ومصحـف السـلطان فـرج بـن برقوق كتبه أيضاً ابن الصائغ سـنة(٨١٤هـ)، مقاسـه (٩٥×٧٥سـم) ومسطرته١١سـطراً، ومصحـف السـلطان أبـو النصـر المؤيـد شـيخ المحمـوديّ (ت٨٢٥هـ)، وتاريخ نسـخه سـنة (٨٢٠هـ) ومقاسـه (٩٨×٧٨سـم) ومسطرته١١سـطراً، وتسـعة مصاحف للسـلطان الأشـرف برسـباي ما بين سـنتي(٨٢١ ـ ٨٤١هـ)، وعدد من المصاحف للسـلطان الأشـرف أبـي النصـر قايتبـاي ٨٨٩هـ، ومصحف السـلطان الغوريّ سـنة(٩٠٨هـ).

نموذج من خطوط المصاحف المملوكية

الخطّ في سمرقند:

تضافرت جهود الأمم التي انضوت تحت راية الإسلام على تجويد هذا الفنّ الجميل، وكان المساعد الأكبر على ذلك رغبة المسلمين في تجويد كتابة المصحف الشريف الذي لا يعدله كتاب، إضافة إلى اتّخاذ الخطّ حليةً في العمائر الإسلاميّة؛ كالجوامع، والمدارس، وقصور الأمراء والسلاطين.

تذكر المصادر التاريخية أنّ تيمور لنك استقدم الفنانين والخطّاطين من أهل بغداد في مقرّ ملكه الجديد في (سمرقند)، وكانت مدينة (هراة) مقرًّا لملك شاه رخ بن تيمور، وقد أسّس فيها ابنه (سنيقر) معهداً لفنون الكتابة؛ كُتِبت فيه (الشاهنامة)، وكُتب الشعر الصوفيّ، وقد ازدهر فرع من المدرسة التيموريّة في (شيراز) عاصمة السلطان إبراهيم بن شاه رخ، وقد وصلتنا منه مخطوطات مصوّرة مثل: (المعراجنامة) المحفوظة في المكتبة الوطنيّة بباريس، وديوان جامي، ومن المدرسة الجوزيّة في (سمرقند) كتاب الفلك؛ الذي كُتِب لأولدغ بك بن شاه رخ حاكم بلاد ما وراء النهر.[١]

الخطّ في الهند:

دخل الخطّ العربيّ إلى بلاد الهند بعد فتح السند على يد القائد محمّد بن القاسم سنة (٩٤هـ)، وأخذ الإسلام ينتشر في بلاد (البنجاب) حتّى استقرّ عام (٣٧٦هـ) على يد سبكتكين الغزنويّ وولده محمود، وبعد أن اجتاحت جحافل التتار الهند وأخضعت كجرات سنة (٦٩٧هـ)، جاءت أسرة محمّد تغلق للحكم وامتاز ذلك العهد بالازدهار، ودخل كثير من الهنود في الإسلام، وكان التجّار العرب قد استقرّوا في سيلان (سرنديب)، وما زال فيه المسلمون إلى اليوم.

وفي العهد التيموريّ(٧٧٢ـ ٨١٨هـ) كان سلاطين التيموريّين وكبار رجال الدولة يرعون الفنانين والخطّاطين، فمن أحفاد تيمور لنك نجد اهتمام باي سنغور(ت٨٣٦هـ) بفنون الخطّ والتذهيب، والتجليد، والرسم، والتصوير في المعمل الذي أنشأه في قصره لمّا كان والياً على (هراة)، وقد كتب مصحفاً مقاسه (١٦٩سم x ١٠٥سم)، بخطّ (المحقّق)، وللأسف الشديد لم يبق منه سوى ١٥صفحة؛ سبعة منها فقط محفوظة بمكتبة (استان قدس رضوي) بمدينة مشهد في إيران حالياً.

ولمع العهد المغوليّ في الهند على يد ظهير الدين محمد بابر(٨٨٨ـ ٩٣٧هـ) فاتح

(١) بدائع الخطّ العربيّ: ناجي زين الدين المصرف: ٣٨.

دلهي عام ٩٣٢هـ، وهو من أحفاد تيمور لنك، وكان خطَّاطًا يُنسَب خطه إلى الخطاط القدير مير علي التبريزي (ت ٨٥٠هـ)، وقد اشتغل بالنظم والنثر وألَّف أبجدية خطيَّة سنة ٩١١هـ عندما كان حاكمًا على أفغانستان في كابول، عُرِفَت بالخطّ البابري، وكتب به نسخةً من المصحف الشريف وأرسلها إلى مكة المكرمة، وهذه النسخة محفوظة اليوم تحت رقم[٥٠] بمكتبة استان قدس رضوي. ولم يتخصّص في خطّه هذا إلّا قلّة من الخطّاطين المسلمين في الهند، من أشهرهم: مير عبد الحي المشهدي أكبر آبادي (ت٩٨٠هـ).

ثم أعقبه همايون، ثمّ حكم من بعده ابنه أكبر شاه(ت٩٦٤هـ) وقد بلغ فنّ الخطّ والزخرفة في عهده مبلغًا عظيمًا، وكان محبًّا للفنون كأبيه، وخلفه في حكم الهند من بعده ولده جهانكير(ت١٠١٤هـ)، وكان كثير الإعجاب بتزويق المصاحف والمخطوطات وزخرفتها وكثيرا ما يمارس ذلك بنفسه.

ونبغ من هذه الإمبراطورية الهندية السلطان جلال الدين أكبر(١٠٦١هـ)الذي كان مهتمًا بالخط الغُبَاري، كما تعلّم أورانجزيب الأول (ت١١١٩هـ) خطّ الأقلام الستة من الخطّاط سيّد عليّ، وطلب من أولاده أن يتعلّموا هذا الخطّ، كما أنّ الحاكم الأخير بهادر شاه (ت١٢٧٤هـ) كان أستاذًا بارعًا في خطّ النسخ على وجه الخصوص.[١]

(١) بدائع الخطّ العربيّ: ٣٩، الخطّ العربيّ عند الأتراك: علي آلب أرسلان: ٢٢٢.

وقـد اسـتخدمت بـلاد الهند نوعًا مـن الخطّ أطلق عليـه مؤرّخو الخـطّ العربيّ: الخطّ البِهَـارِي Bihari، نسـبةً إلـى مقاطعـة بِهَـار شـرق الهنـد أو نسـبةً إلى بهارسـتان أي أرض الهنـد، ولفظـة بهـار تعني الربيـع في اللغـة الهندية [١].

(١) ينظر الخطّ العربيّ وإشكالية المصطلح الفنّيّ: إدهام محمد حنش: ١٢٠ ـ ١٢١.

وقد ظهر في شمال الهند بعد غزو تيمور لنك، وقبل استقرار المغول بها، وقد استخدم في الكتابة منذ القرن الثامن الهجريّ، وظلّ مُستَخدَمًا حتى القرن العاشر الهجريّ وتحديدًا بين العامين ٨٠٢ ــ ٩٣١هـ.

وهو شكل غليظ من خطّ النسخ، ويتميّز بضربات ثخينة أفقيّة من الحبر تظهر بشكل خاص عند الانتهاء من كتابة الحروف.

هذه اللوحة والتي قبلها من مصحف مكتوب بالخطّ البهاريّ، كُتب شمال الهند، يعود تاريخ نسخه إلى أواخر القرن السابع الهجريّ.

الخطّ في إيران:

حينما دخل الإسلام إلى بلاد فارس وانتشر في ربوعها حلّ الخطّ الكوفيّ المشرقيّ محلّ الخطّ البهلويّ الساسانيّ، واستخدموه في الكتابة؛ وذلك في أواخر القرن الأول الهجريّ، وظل الخطّ (الكوفيّ) و(النسخ) يُستخدمان فقط في كتابة المصاحف حتى أواخر القرن الخامس الهجريّ؛ يشهد لذلك بعض نُسخ المصاحف المحفوظة في مكتبة العتبة الرضويّة المقدّسة، ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة (٣٢٧هـ) في عهد نوح بن نصر السامانيّ(٣٢١ ـ ٣٤٣هـ)، لكن (النسخ) شاع بصورة أكبر منذ أواخر القرن السادس الهجريّ، وكان (الكوفيّ) يُستخدم فقط في كتابة عناوين السور، ومن أشهر خطّاطي (النسخ) أشرف الكُتّاب زين الدين الأصفهانيّ، وغلام عليّ الأصفهانيّ، وعلي رضا الشهير بآقاجان. ومريم بانو النايينيّ؛ التي كانت في مصاف أساتذة (النسخ) في مطلع عصر (فتح عليّ باشا)، وقد كتبت نسخة من القرآن وأهدتها إلى ناصر الدين شاه.

وفي القرن الثامن الهجريّ صارت خراسان وأذربيجان من أهمّ مراكز تحسين الخطوط ومقراً للأساتذة؛ مثل: أحمد السهروورديّ، ويوسف المشهديّ، وسيّد حيدر، ونصر الله طبيب، ومبارك شاه التبريزيّ، وفي منتصف القرن الثامن الهجريّ ظهرت ثلاثة من الخطوط الإسلاميّة هي: خطّ التعليق، والنستعليق، والشكستة، وكلّها من إبداعات الإيرانيّين، وازدهرت تلك الخطوط في القرون من التاسع إلى الحادي عشر الهجريّ، ثمّ أُصيب الخطّ بالركود، ثمّ ازدهر مرّةً أخرى في بدايات القرن الثالث عشر وحتى أوائل القرن الرابع عشر الهجريّ؛ أي: في العصر القاجاريّ، حيث ظهر خطّاطون عظماء في خطّ (النستعليق)، وعلى رأسهم: عماد الدين الشيرازيّ الحسنيّ الذي ابتكر خطّ (النستعليق) ووضع قاعدته، ومير سلطان عليّ التبريزيّ سنة (٨٥٠هـ) الذي نظم قواعده وأكمل أشكال حروفه واتصالاته[1]، وولده مير عبد الله، وميرزا جعفر التبريزيّ(ت٨٥٦هـ)، وأزهر التبريزيّ(٨٨٠هـ)، وسلطان عليّ المشهديّ(٩٢٥هـ)، ومير عليّ الهرويّ (ت٩٥١هـ)، ومالك الديلميّ(ت٩٦٩هـ)، ومحمّد حسين التبريزيّ(ت٩٨٥هـ)، وبابا شاه الأصفهانيّ(ت٩٩٦هـ)، ومير عماد القزوينيّ(ت١٠٢٤هـ)،

(١) ينظر خطّ النستعليق الجذور التاريخية والخصائص الفنية: نصّار محمد منصور: ٢٦٥-٢٦٦.

وميـرزا غلام رضـا الأصفهانيّ(ت١٣٠٧هـ)، وميرزا محمّـد رضا(ت١٣١٠هـ)، وميرزا محمّد حسين سـيفيّ(ت١٣٥٤هـ). [١]

الخطّ عند الأتراك:

فـي الوقـت الـذي دخـل فيـه الأتـراك الإسـلام، كان الشـيوع للخـطّ (الكوفـيّ)، وعلى الرغـم مـن أنّ أسـرة الطولونيّيـن التـي حكمت مصر والشـام والعـراق في الحقبـة ما بين (٢٥٥ ـ ٢٩٢هـ)، وأسـرة الإخشـيديّين التي حكمت مصر والشـام في الحقبة ما بين (٣٢٣ ـ ٣٥٨هـ) كانتـا أسـرتين تركيّتيـن؛ إلّا أنّ أهالـي تلـك البلاد لـم يكونوا كلّهم مـن الأتراك، ولذلـك فـلا نعـرف خطّاطـاً تركيًّـا بـرز في تلـك البلاد؛ وسـبب ذلك راجـع إلـى أنّ الأتراك كانـوا يحملـون أسـماء عربيّـةً وليسـت تركيّـة، فبنـو قـرة خان(ت٦٠٨هـ) الذيـن شـكّلوا إحـدى الدولتيـن التركيّتيـن في شـرق آسـيا، قد بـدأوا في الدخـول إلى الإسـلام قرابة عام (٣٢٨هـ)، وبـدأوا باسـتخدام الخطّيـن (الكوفـيّ) و(النسـخ) معاً فـي بلاد مـا وراء النهر، وتركسـتان الشـرقيّة التي كانـوا يحكمونها.

والوضـع نفسـه يتكـرر في الدولـة التركيّـة الأخرى؛ وهـم الغزنويّـون(٣٥٢ ـ ٥٨٢هـ)، وقـد تركـوا آثـاراً رائعة مكتوبة بالخطّ (الكوفيّ المورَّق) في خراسـان، وشـمال الهند على وجهٍ خاص.

وقـدَّم سـلاجقة إيـران الذين أتوا بعدهـم(٤٢٩ ـ ٥٩١هـ) آثاراً فـي الاتجاه ذاته، ونجد انحسـاراً قليـلاً فـي اسـتخدام الخـطّ (الكوفـيّ) عنـد سـلاجقة الروم فـي الأناضـول(٤٦٩ ـ ٧٠٧هـ)، وحـلّ محلّـه خـطّ (الثلـث الجلـي). وقـد اتّبـع الخطّاطـون الأتراك زمـن الدولة الإخشـيديّة، والقـره خانيُّـون، والغزنويّـون، والسـلاجقة الإيرانيّون أثناء المئة والخمسـين سـنة الأولى من حكم سـلاجقة الروم، أسـلوبَ ابن البوّاب في الخطّ، واسـتمر ذلك لمدّة ثلاثـة قـرون، حتـى بدايـة زمن ياقـوت الـذي اتبعوا طريقتـه في القـرن السـابع الهجريّ. وممّـا يذكـر أنّ طغـرل الثاني(ت٥٩٠هـ) آخر حـكام دولة سـلاجقة العـراق كان خطّاطاً،

(١) ينظر رحلة الخطّ العربيّ من المسند إلى الحديث: أحمد شوحان: ١٦- ١٧، وللمزيد ينظر أيضاً: تحسين الخطوط في إيران: ليلى برات زادة.

وكتب نسخةً كاملة من المصحف بخطّه.[١]

وقد ورث العثمانيّون هذه العناية بالخطّ العربيّ من أبناء جلدتهم هؤلاء؛ فطوّروه فنيًّا ووظيفيًّا حتى صاروا أصحاب مدرسةٍ خطّيّة خاصّة، تميّزت بكثرة خطّاطيها عبر مراحل تاريخ الدولة العثمانيّة الممتدّة على مدار قرابة ثمانية قرون؛ ممّا دفع المؤرّخين إلى وصفها بأنّها دولة الخطّاطين بامتياز؛ فقد كانت ربّات البيوت من النساء خطّاطات فيما يمكن تسميته بالعوائل الخطّيّة، وكان الكثير من رجال الدولة والحكم والسلطة من السلاطين، والأمراء، والصدور العظام، والوزراء، والقضاة، وشيوخ الإسلام من الخطّاطين المهَرة.

ويمكن تلمُّس بدايات ظهور المدرسة العثمانيّة في فنّ الخطّ العربيّ منذ عهد السلطان محمّد الفاتح(ت٨٨٥هـ) على أيدي أوائل كبار الخطّاطين؛ مثل: عليّ بن يحيى الصوفيّ(ت بعد٨٨٣هـ)، والشيخ حمد الله الأماسيّ(ت٩٢٦هـ)، ثمّ تطوّرت بعد ذلك على أيدي الخطّاطين اللّاحقين مثل: أحمد القره حصاريّ(ت٩٦٣هـ)، وعبد الله القرميّ(ت٩٩٩هـ)، والحافظ عثمان(ت١٢١٣هـ)، ومصطفى راقم(ت١٢٤١هـ)، ومحمّد أسعد اليساريّ(ت١٢١٣هـ)، وعبد الله الزهديّ(١٢٩٢هـ)، وقاضي العسكر مصطفى عزت(ت١٣٠٦هـ)، ونظيف(ت١٣٣١هـ)، وعبد العزيز الرفاعيّ(ت١٣٥٣هـ)، وأحمد كامل أقديك(ت١٣٦٠هـ)، ومصطفى حليم(ت١٣٨٤هـ)، وخاتمة الخطّاطين العثمانيّين حامد الآمديّ(ت١٤٠٢هـ).

صورة لخطّ حامد الآمديّ

(١) الخطّ العربيّ عند الأتراك: ٢١٦-٢٢٠ بتصرف واختصار، وللمزيد ينظر كتابة المصحف الشريف عند الخطّاطين العثمانيّين: إدهام محمد حنش.

ويُذكـر أنّ بايزيـد الثانـي يُعدّ أوّل سـلطانٍ عثمانيّ يباشـر هذا الفنّ بنفسـه، حتّى صار أوّل خطّاطٍ من السـلاطين العثمانيّين، وقد تعلّم الخطّ على يد الشـيخ حمد الله الأماسـيّ، وكذلـك ولـده الأمير كركـوت (ت٩١٩هـ) وقد كتب الأمير بيده مصحفًا بخطّ (النسـخ).

ومـن الذيـن نالـوا شـرف كتابـة المصحـف الشـريف علـى سـبيل المثـال لا الحصـر: السـلطان أحمـد الثالث(ت١١٤٢هـ)، الـذي كتـب أربعـة مصاحـف، والسـلطان محمـود الثانـي، الـذي كتـب مصحفيـن بخـطّ (النسـخ)، وأمّـه درة هانـم كتبـت مصحفًـا سـنة١١٧٢هـ، وكـذا شـيخ الإسـلام فضـل اللـه حبيـب الأرضروميّ(ت١١١٥هـ) كتـب مصحفًـا؛ وهـو الحاصـل علـى إجـازة فـي خطـيّ (الثلـث والنسـخ) مـن الخطّـاط مصطفـى زادة صيولجي(ت١٠٩٧هـ)، والخطّاطـون محمـود جلال الديـن (ت١٢٤٥هـ) ومحمّـد شـوقي، وأحمـدٍ كامـل كتـب كلّ واحـدٍ منهـم مصحفًـا واحـدًا، والخطّاطـان عبـد اللـه الزهـديّ ومحمّـد شـفيق كتـب كلّ واحـدٍ منهما مصحفيـن، والخطّـاط محمّد الشـهريّ(ت١١٥٣هـ) كتـب ثلاثـة مصاحـف.

أمّـا المكثـرون مـن كتابة المصحف مرّاتٍ عـدّة فحدِّث ولا حرج؛ فعلى سـبيل المثال لا الحصـر: الخطّـاط الشـيخ حمد اللـه الأماسـيّ؛ كتب(٤٤)مصحفًا وقيـل(٤٧)، والخطّاط محـي الديـن جـلال زادة(ت٩٨٣هـ) كتب(٩٧)مصحفًـا، والخطّـاط حسـام الديـن خليفة كتب(٨٩)مصحفًـا بخـطّ (النسـخ)، والخطّـاط رجـب بـن مصطفـى خليفة(ت٩٥٨هـ) كتب(٩٣)مصحفًـا، والخطّاط درويش عليّ(١٠٨٦هـ) كتب(٨٨)مصحفًا، والخطّاط رمضان بن إسـماعيل(ت١٠٩١هـ) كتب(٤٠٠) مصحف، والخطّاط عمر بن إسـماعيل(ت١٠٩٧هـ) كتب(١٠)مصاحـف، والخطّـاط عمـر الرسّـام(ت١١٣٠هـ) كتب(٣٠)مصحفًـا، والخطّـاط سـيّد عبـد اللـه أفندي(ت١١٤٤هـ) كتب(٢٤)مصحفًـا، والخطّـاط إبراهيـم طاهـر بـن مصطفى(ت١١٦٧هـ) كتب(٧٠)مصحفًـا، والحافـظ عثمان(ت١٢١٣هـ) كتـب (٢٥) مصحفًـا، والخطـاط إسـماعيل الزهدي(ت١٢٢١هـ) كتب(٤٠)مصحفًـا، والخطـاط أحمد نائلي(ت١٢٢٩هـ) كتب(١٢١)مصحفًـا، والخطـاط جمشـير حافـظ صالح(ت١٢٣٦هـ) كتب(٤٥٤)مصحفًـا.

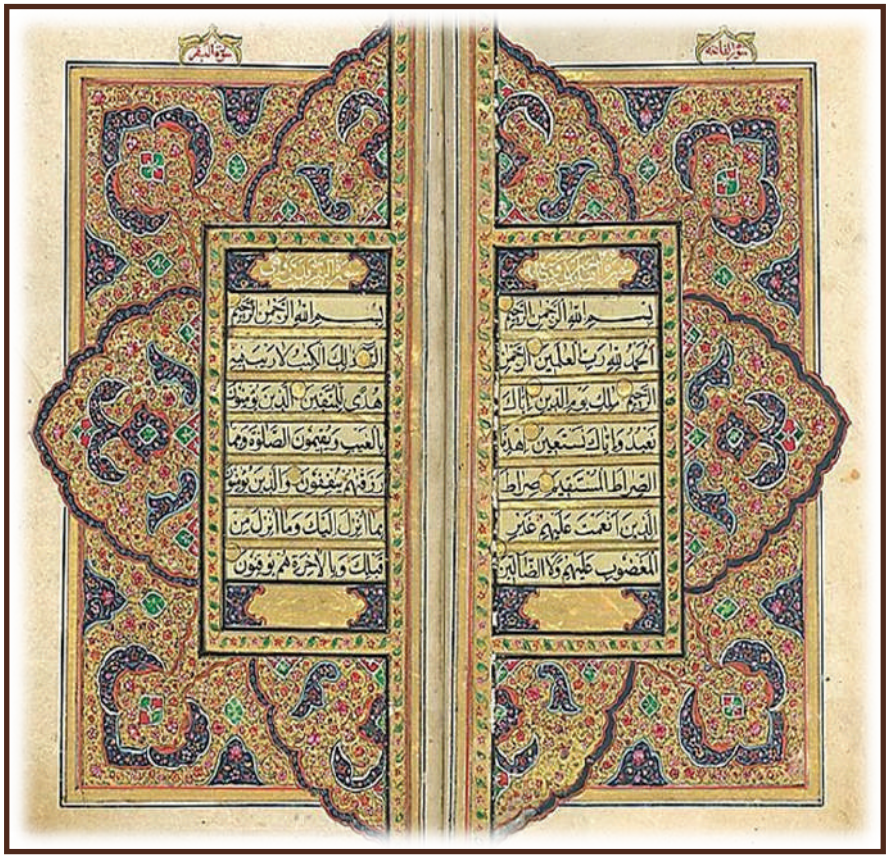

استفاد الخطّاطون العثمانيّون من التقاليد السابقة عليهم، ومن ثَمّ أبدعوا أساليب خاصّةً ومميّزة تُشكّل لنا طريقةً فنّيّة خاصّة، تميّزت عن سابقاتها في كتابة المصحف الشريف، عُرِفت على العموم بـ(الطريقة العثمانيّة)؛ وقد برزت هذه الطريقة من ثنايا طريقة ياقوت في أقلامه الستة، واستطاع أساتذة الخطّ العثمانيّون توليد هذه الطريقة وتطويرها حتى توصّلوا إلى قاعدةٍ جماليّة وفنيّة لخطّ (النسخ)، وجعلوه أساسًا لكتابة النصّ القرآنيّ في المصحف الشريف، وتساعد هذه الطريقة في تحقيق الوضوح التام الذي يسهِّل الوظيفة الأولى المتمثّلة في تيسير تلاوة كتاب الله وحفظه.[1]

(١) ينظر: الخطّ العربيّ عند الأتراك: ٢١٦-٢٢٠ بتصرف واختصار، كتابة المصحف الشريف عند الخطّاطين العثمانيّين.

ثانياً: خطوط المصاحف في المغرب الإسلاميّ:

إذا ما انتقلنا إلى المغرب العربيّ ويُقصَد به هنا الرقعة الجغرافيّة الممتدّة من صحراء برقة الليبيّة إلى نهر الإبرو ببلاد الأندلس، نجد تميّزًا واضحًا وفارقًا في نوع الخطّ المستخدَم في هذا الإقليم من العالم الإسلاميّ عن ذلك المستخدَم والمتداول في بلاد المشرق الإسلاميّ؛ وهو إقليم تميّز بالوحدة المذهبيّة والحضاريّة ذات الخصوصيّة واضحة المعالم، وعليها قامت الحضارة المغربيّة الأندلسيّة التي تفاعلت فيها العناصر العربيّة، والأمازيغيّة، والإفريقيّة، والأوروبيّة بنسبٍ متفاوتة، لكن ظلّت الريادة فيها للثقافة العربيّة الإسلاميّة التي أفادت من الثقافات المذكورة وأغنتها كثيرًا.[١]

ومن أقدم النماذج التي عُثِر عليها من هذا الخطّ يرجع تاريخه إلى ما قبل سنة (٣٠٠هـ)، لكنّ المصادر الأولى اصطلحت على تسميته بـ(الأندلسيّ)، بحسب ما ذكر ابن وحشية في كتابه (شوق المستهام إلى معرفة رموز الأقلام)، كذلك ذكره التوحيديّ فرعًا من فروع الخطّ (الكوفي)، وجعله ابن خلدون أصلًا للخطّ المغربيّ؛ بوصفه واحدًا من ثلاثة أنواع خطّيّة أساسيّة تميزت في زمنه؛ وهي: الأندلسيّ، والإفريقيّ ـ التونسيّ، والقيروانيّ.[٢]

وقد تباينت آراء الدارسين في تأثّر كُتّاب المصاحف في المغرب بـ(الخطّ الكوفيّ العراقيّ)، وتأثُّر الخطّ الأندلسيّ بـ(الخطّ الكوفيّ الشاميّ)؛ إذ ظلّ الخطّ (اليابس) مستعملًا في المصاحف المغربيّة حتى القرن الخامس الهجريّ، ويبدو أنّه كان معروفًا آنذاك عند الورّاقين المغاربة باسم (الكوفيّ)، وأنّ أساليبه وأنواعه كانت مُصنَّفةً؛ فقد ورد في سجلٍّ قديم لمكتبة القيروان مؤرّخ بسنة (٦٩٣هـ) ختمة قرآنيّة في ستين جزءًا، كبيرة الجرم، بخطّ (كوفيّ ريحانيّ)، وهذا هو المعروف عند المؤرِّخين بـ(مصحف الحاضنة) الذي كتبه وذهَّبه وجلَّده عليّ بن أحمد الورّاق القيروانيّ سنة (٤١٠هـ) بـ(الخطّ الكوفيّ القيروانيّ) القريب من شكل المصحف (العُقْبَانيّ)؛ الذي يُعدّ من أوائل المصاحف المغربيّة وأقربها إلى المصحف الإمام خطًّا ورسمًا.

---

(١) ينظر الخطّ المغربيّ تاريخ وواقع وآفاق: عمر أفا ومحمّد المغراويّ: ٢٩.

(٢) ينظر أنواع الخطّ العربيّ المفهوم التاريخيّ والمصطلح الفنّيّ: ٢٦٩.

الخطوط المغربيّة:

يُطلق مصطلح الخطّ المغربيّ أيضًا على الخطوط التي نشأت بالمغرب الأقصى وحافظ عليها أهلها؛ وهي حصيلة التيارات الواردة من المشرق العربيّ عبر القيروان التي أنشأها عقبة بن نافع سنة (٥٠هـ)، وتلك التي انحدرت من الأندلس مع الهجرات المتتالية للأندلسيّين، فاحتضنها أهل المغرب وطوَّروها وتفنَّنوا فيها. وقد مرّ تطوير الخطوط المغربيّة بمراحل ثلاثة:

أولًا: المرحلة القيروانيّة:

مسّ التطوير فيها بالخصوص (الخطّ الكوفيّ)؛ الذي ما زالت النماذج المعروفة بـ(الكوفيّ القيروانيّ) تعكس لنا خصوصيته وتميّزه عن (الكوفيّ المشرقيّ).

لوحة من أقدم المصاحف المغربيّة كُتب بخطّ مغربيّ مبسوط ويرجع تاريخ نسخه إلى ٤٨٣هـ مكتبة جامعة أوبسالا بالسويد، من أول سورة الطور

لوحة بالخطّ الكوفيّ المغربيّ المبكّر، يعود تاريخه إلى آخر القرن الخامس وأول السادس الهجريّ، محفوظ بالمكتبة الوطنيّة بالرباط، ونصّها: (ولا تجعلني مع القوم الكافرين، قال ربّ اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين، إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب) ونلاحظ نقط الإعراب فقط .

صورة للخطّ القيروانيّ المجوّد، ونلاحظ استعمال نقط الإعجام بالصفرة، وعلامات الشكل.

لوحة من أقدم المصاحف المغربيّة تُنسب إلى عقبة بن نافع، وتشمل سور المسد والإخلاص والفلق والناس، ونلاحظ خلوّه من نقط الإعجام واستعمال ضبط الإعراب.

ثانيًا: المرحلة الأندلسيّة:

وفيها تمّ الانتقال إلى الخطّ (اللّين الدقيق) الذي يُستعمل في الكتابة العاديّة؛ فأدّى ذلك إلى ظهور الخطّ (القرطبيّ المبسوط) في حدود القرن الرابع الهجريّ، فأصبحت سمة التدوير غالبةً عليه.

لوحة تمثّل الخطّ الأندلسيّ الغرناطيّ.

لوحة تمثّل الخطّ الأندلسيّ، آخر سورة الواقعة وأوّل سورة الحديد.

ثالثًا: المرحلة المغربيّة:

بعد انتقال الخطّ الأندلسيّ إلى المغرب زمن الموحّدين استمرت عملية تطويره محلّيًا، وظهرت ملامح تميّزه عن الخطّ الأندلسيّ تدريجيًّا، حتّى أصبح يُعرف بـ(خطّ المغاربة).

مع محاولات تيسير الخطّاطين المغاربة ليبوسة الخطّ (الكوفيّ المشرقيّ)، وفي ظلّ صيرورة خطوط إفريقيّة كلّها على الرسم الأندلسيّ بتونس وما إليها بعد انتقال الخطوط الأندلسيّة المدوّرة والتامّة اللّيونة، التي كانت المصاحف الأندلسيّة تُكتَب بها فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريّين.

صفحة من ربعة المنصور المرينيّ.

اسـتقرت أنواع الخطّ المغربيّ منذ العصر المَرِينيّ في بدايات القرن السـابع الهجريّ علـى التصنيف الفنّيّ والوظيفيّ الآتي:

١ـ **الكوفيّ القيروانيّ**: وهو من خطوط المصاحف القديمة المكتوبة على الرَّق.

٢ـ **الثلـث المغربـيّ**: وهـو مـا تُزخـرَف بـه العناويـن، ويُرسَـم عـادةً بحـروف غليظة متداخلـة بعضهـا فـي بعـض، وكثيـرًا مـا يُكتَـب بمـاء الذهـب ويُـزوّق بألـوانٍ وأشـكال مختلفـة، ممّـا يُبـرِز جمـال الخـطّ، ويجعلـه بهجـةً للناظريـن.

٣ـ **الخطّ المبسـوط**: وهو خطّ المصاحف القديمة، وهو أول ما يُعلَّم في الكتاتيب، وسُـمِّي بذلـك؛ لبسـاطته وسـهولة قراءته، وبه طُبِعـت المصاحف المغربيّة الشـريفة في المطبعـة الحجريّة المغربيّة.

٤ـ **الخـطّ المجوهـر**: وهـو أكثـر الخطـوط المغربيّـة اسـتعمالًا، وبـه تُكتَـب الظهائر الملوكيّـة والمراسـيم السـلطانيّة، وتُحرّر به الرسـائل الخاصّة والعامّـة، وبه طُبِعت الكتب بالمطبعـة المحمّديّـة أيـام السـلطان محمّـد بن عبد الرحمـن الرابع.

٥ـ **الخـطّ المُسـنَد أو الزماميّ**: وكان يُسـتخدم في كتابة الوثائـق العدليّة والتقييدات الشخصيّة. [١]

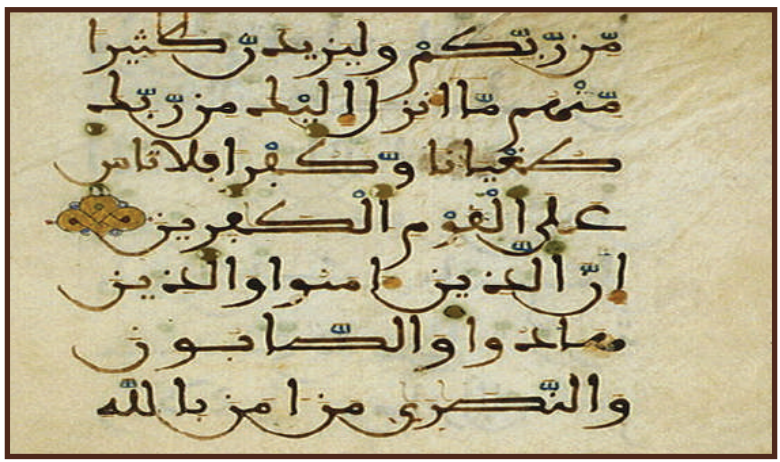

(١) ينظر: خطوط المصاحف إشكاليات التعريف وحدود التصنيف: إدهام محمد حنش: ١٤٥- ١٤٦، تاريخ الوراقة المغربيّة: محمّد المنونيّ: ٤٧، الخطّ المغربيّ تاريخ وواقع وآفاق: ٣٢- ٣٥ .

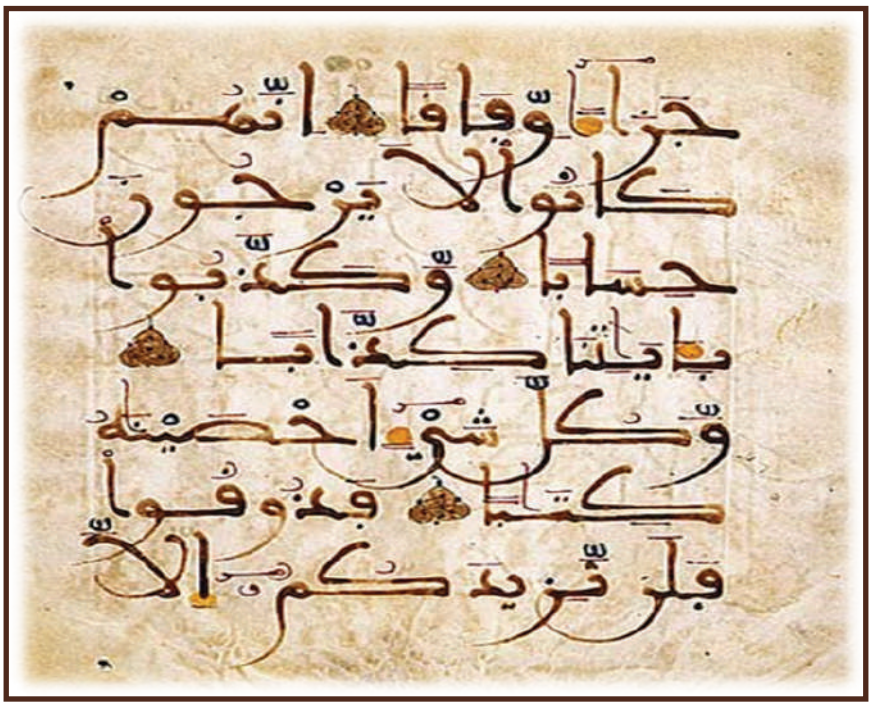

نماذج لمصاحف خطيَّة متنوّعة مكتوبة بالخطّ المغربيّ والأندلسيّ

الخط السودانيّ أو الصحراويّ:

عندما دخل الإسلام غرب إفريقية على يد أهل المغرب في القرن السابع الهجريّ انتشر خطّ متولد من الخطّ المغربيّ في أنحاء السودان الغربيّ، ونشأت مدينة تمبكتو (في جمهورية مالي حاليًا) سنة ٦١٠هـ وصارت المركز العَلَويّ الرابع للمغرب، وإليها يُنسَب ذلك الخطّ الذي سُمِّي بـ(التمبكتي) أو (السودانيّ)، ومنها انتشر هذا الخطّ بين الشعوب الزنجيّة في أواسط أفريقيا من لاغوس بنيجيريا غربًا، وتشاد شرقًا، وكذا غرب السودان بوادي النيل أيام مملكة سنار[١] وسلطنات دارفور وكردفان عن طريق المهاجرين.[٢]

ومازال يُكتَب به في أقصى غرب السودان بمناطق الجنينة ودنقلة على قلة ذلك، وقد انتقل إليهم من وفود الممالك المجاورة لإقليم دارفور مثل التكروريين والمغاربة والمراكشيين الذين يُعرَفون في دارفور بـ (الواحية).[٣]

والخطّ (السودانيّ) يشبه بشكلٍ عامّ الخطّ (الحجازيّ المُربَّع) القديم، ومن المُلاحظ على حروفه الثقل، فلا فوارق مُشاهدة في أوضاعها مفردةً أو مجتمعةً، رأسيةً أو أفقيةً. كما إنّها تخلو من الترويس والتجليف والتشظية[٤]، وعادة ما تنتهي الحروف كما بدأت بسُمْكٍ واحد على مستوى البدايات والنهايات، وهي صفات ناتجة عن ضعف في صناعته؛ بسبب ضعف مهارة كاتبيه، ولعدم كفاءة أقلامهم أيضًا، وهذا ناتج عن استخدام الكاتب أدواتٍ مأخوذة من بيئته المحليّة التي لم يسعَ إلى تطويرها أو استحسان غيرها.

---

(١) المخطوط العربيّ دراسة في أبعاد الزمان والمكان: ٣٠، المصحف المخطوط في السودان: محمّد حسين الفكّيّ: ٧٠.

(٢) مملكة سنار أول دولة إسلامية في السودان قامت سنة ٩١٠ هـ، وذلك بعد خروج المسلمين من الأندلس بثلاثة قرون، وإليها يُنَسب الخطّ السناريّ. ينظر المصحف المخطوط في السودان: ١٣١، ١٣٣.

(٣) المصحف المخطوط في السودان: ٩٩.

(٤) الترويس: بدء الحرف بنقطة بعرض القلم، والتجليف: البدء في كتابة الحرف بسنّ القلم، والتشظية: إنهاء كتابة الحرف بسُمْكٍ دقيق أو رفيع.

ومـن المعلـوم أنّ الفنـون خاضعـة فـي مسـتوى إجادتهـا لمـا هـو متوافـر فـي البيئة الطبيعيـة مـن خامـات، ومـا يوفّره المجتمـع بطبيعته مـن تقنيّات، ولما هو سـائد كذلك مـن ثقافة وأفـكار. [١]

(١) المصحف المخطوط في السودان: ٧٠ -٧١، بتصرف واختصار.

أدوات الكتابة في الغرب الإفريقيّ والسودان الغربيّ، ويلاحظ الألواح الخشبية، وشكل القلم، والمداد الأسود، وفي الصورة نلاحظ خطّ السودان الغربيّ من أحد المطبوعات الحجرية القديمة

خاتـمة

وبعـد هـذه الجولـة الواسـعة فـي البحـث عن المصاحـف الخطّيّـة وتطـوّر خطوطها، والرحلـة معهـا عبـر الزمـان والمـكان، علمنـا مـا لهـذه المصاحـف المخطوطة مـن قيمةٍ علميّـة وتاريخيّـة كبيـرة؛ فهـي الوعاء الذي حفظ لنـا نصّ القرآن الكريـم، كما أنّها مصدر مهـمّ يُعتمـد عليـه في دراسـات الكتابـة العربيّة، كذلك تُعـدّ المصاحف حلقـةٌ مهمّة في دراسـات تاريخ القرآن.

تحكـي لنـا هذه المصاحـف الخطّيّة الأولى قصةَ الحفظ المُوثَّـق لكتاب اللـه عزّ وجلّ عبـر القـرون، وما بذله الصحابة والتابعـون من جهودٍ في الحفاظ على هذا النصّ المُقدَّس؛ عِبـرَ تدوينـه، فكان حفظه في السـطور موازيًـا لحفظه في الصدور، وبهـذه العناية الفائقة ذات الوجهيـن بقـي كتـاب اللـه فـي مأمـنٍ مـن الضيـاع والعبث والتحريـف، ومـا زال هذا الكتـاب الخالـد ينتقـل على هذه الحال مـن الرعاية والعناية جيلًا بعد جيـل، بصورةٍ فريدة و وحيدة تعتمد على المشـافهة والحفظ في الصدور أولًا، ويسـاندها التدوين في السطور، إلـى أن وصلَنـا كامـلًا غير منقوصٍ، محفوظًا من التبديـل والتغيير والتحريف.

وتتجلّـى أهميـة هـذه المصاحـف المخطوطـة بمـا تقدّمـه لنـا مـن معـارف متنوعـةٍ تتعلّـق برسـم المصحـف وضبطـه، إلى جانب المسـائل المتعلّقـة بعلوم القرآن؛ كأسـماء السـور، وعدّ الآي، والتحزيب، وعلامات الوقف والابتداء، والإفادة منها في دراسـة تطوّر الخطـوط (الباليوجرافيـا)، وجماليـات الخطّ (الكاليجرافيـا)، ويمكن أن يُعتَمـد عليها إلى جانـب مـا كتبه علماء الرسـم والقـراءات وعلوم العربيّة في وصف مـا في تلك المصاحف مـن الرسـوم والعلوم، والتوجيـه النحويّ والإعرابـيّ للقراءات.

نتائج الدراسة:

١ـ تُعدّ المصاحف الخطّيّة ـ ولا سـيّما القديمة منها ـ مصدرًا مهمًّا من مصادر معرفة رسـم المصحـف العثمانـيّ وضبطه ونقطـه، ومعرفة المتّفق عليـه والمختلف من

مرسـوم هـذه المصاحـف، كما أنهـا تفيد معرفة قـراءات أهل الأمصـار، وعدِّ الآي الـذي يفيـد معرفـة رؤوس الآيـات، وتقسـيم القـرآن وتحزيبـه، ومعرفـة مواضـع الوقـف والابتداء.

٢ـ تُطلعنا دراسـة المصاحف الخطّيّة القديمة على كثير من ظواهر الكتابة الأولى؛ التي تمكـنّا من معرفة تاريخ الخطّ العربيّ وتطوّره، والمراحل التاريخيّة التي مرّ بها.

٣ـ تمثّـل المصاحـف المخطوطـة منجمًـا لُغويًّـا ثريًّـا؛ لكونهـا أصـولًا علميّـة تسـهم فـي إثـراء الدراسـات اللغويّـة التاريخيّـة للكتابـة العربيّـة؛ فقـد احتفظـت هـذه المصاحـف بصـورٍ هجائيّـة قديمـة لا نجـد لهـا أثـرًا فـي الكتابـة المعاصـرة اليـوم.

٤ـ القيمـة الجمالية والفنية الكبيرة للمصاحـف المخطوطة تتعلّق بالخطوط المتقنة والمجـوّدة التـي كُتِبـت بهـا، وأشـكالها وأنواعهـا، وأنـواع الزخـارف التـي تتصـدّر السـور أو تُزيِّـن حواشـي الصفحات وكيفياتها، وكذلك تُظهـر جماليات أغلفة هذه المصاحـف وأنمـاط تجليدها، وما عليها من زخـارف وتذهيب، كلّ ذلك يفتح بابًا جديـدًا في دراسـات التأريـخ الفنّيّ والأثريّ لهـذه المصاحف.

٥ـ لقـي الخـطّ احترامًـا وتقديـرًا وإجـلالًا فـي العقليّة الجمعيّـة للأمّة الإسـلاميّة على جميـع الأصعـدة العامّـة مـن كافّـة أفـراد الشـعوب الإسـلاميّة، والرسـميّة مـن السـلاطين والخلفـاء ورجـالات الحكـم؛ لعلاقتـه اللصيقـة بالقـرآن الكريـم وكتابة المصحـف الشـريف.

٦ـ إنّ الخطّ شـأنه شـأن سـائر الصناعات، يرتبط بحال الدولة قوة وضعفًا؛ فعندما تأفل شـمس دولةٍ ما فإنّ الخطّ وإتقانه وتعليمه ينتقل إلى الدولة القويّة حينها وهكذا.

٧ـ الأثـر الكبيـر الـذي تلعبـه الظـروف المكانيّـة والمناخيّـة والحالـة الاقتصاديّـة والاجتماعيّة للدول والأقاليم، في تحديد الموادّ المسـتخدمة في الكتابة، ونوعية الأَمِـدَّة والأحبـار وألوان الأصباغ، وطرائق صناعتها؛ ممّا يؤدي إلى اختلاف أشـكال الخـط الواحـد وسـماته مـن بلـدٍ إلى آخر، ومـن عصرٍ إلـى غيره.

٨ ـ إسـهام المـوروث العلمـيّ والفنّيّ الغزير، والتراكميّـة الفنّيّة لمدارس الخطّ الفنّيّة العتيقـة؛ مـن بغداديّـة، وشـاميّة، ومصريّـة وغيرهـا، فـي توفيـر قاعـدةٍ معرفيّـة

واسعة قامت عليها أصول الخطّ العربيّ في كلّ إقليم من أقاليمِ العالم الإسلاميّ، وتميُّز كلٍّ منها بسماتٍ وملامح تتناسب مع التاريخ الفنّيّ للخطّ العربيّ داخل كل إقليم منها؛ كالمدرسة المصريّة، والمغربيّة، والعثمانيّة، والإيرانيّة، وهكذا.

التوصيات:

١ ـ على المتخصّصين في دراسات الخطّ العربيّ وعلوم المخطوطات أن يعتنوا بدراسة خطوط المصاحف في نُسَخِها المتعدّدة الممتدّة عبر الزمان والمكان، وتحديد ميزات كلّ نسخةٍ منها، وإجراء الدراسات المقارنة بين مجموعات المصاحف المختلفة في عصرٍ معين من العصور، أو خطّ بعينه من الخطوط؛ لعلنا نصل في النهاية إلى كتابة تاريخٍ كامل ومُوثَّق إلى حدٍّ كبير.

٢ـ ينبغي على العلماء المشتغلين بالقرآن وعلومه وشؤون المخطوطات أن يزيد اهتمامهم بهذا الكنز المسطور، وإنشاء مركزٍ بحثيّ في الوطن العربيّ يكون من وكده صنعُ قاعدة بياناتٍ للمصاحف الخطّيّة، ويهتمّ بجمع المصاحف المخطوطة حول العالم، أو صورٍ طبق الأصل منها وإتاحتها للباحثين، وإعداد فهارس وصفيّةٍ وإحصائيّة لمخطوطات المصاحف؛ لتسهيل الإفادة منها ؛ لأنّه ممّا يُؤسف عليه أنّ الباحث لا يمكنه أن يطّلع على هذه المصاحف إلّا بشقّ الأنفس فضلًا عن اقتناء نسخٍ مصوّرة منها.

٣ ـ تأسيس موقعٍ جامعٍ على الشابكة العلميّة يعتني بهذا الأمر، يوفر على الباحثين الجهد والوقت والمال، دون أن تُمَسَّ هذه المصاحف بأي سوء، وهو ما يحتاج إلى تضافر جهود كبيرة من قبل المؤسسات المعنية بهذا الأمر العظيم.

٤ـ نشر المصاحف المخطوطة القديمة، وإعادة طباعة نُسخٍ طبق الأصل منها، وذلك بتكليف أصحاب الخبرة في مجالات علوم القرآن والعربيّة والمخطوطات؛ للإشراف على مثل هذه الطبعات، وتقديم دراسات عن هذه المصاحف، وإبراز سمات كلٍّ منها وملامحه.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١. أطلس الخطّ والخطوط: حبيب الله فضائلي، ترجمة: محمد التونجيّ، دار طلاس، دمشق، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢. الأعلام: خير الدين الزركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: أبو بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٤. البدائع الخطّ العربيّ: ناجي زين الدين المصرف، مديرية الثقافة العامة بوزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٥. تاريخ علماء بغداد المُسمَّى: منتخب المختار: أبو المعالي محمد بن رافع السلاميّ (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عباس العزاويّ المحامي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٦. تاريخ الوراقة المغربية، محمد المنونيّ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٧. التبيان شرح موارد الظمآن: أبو محمد عبد الله بن عمر الصنهاجيّ (ت٧٥٠هـ)، تحقيق: عبد الحفيظ محمد نور الهنديّ، رسالة ماجستير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العام الجامعي ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٨. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطيّ البغداديّ (ت٧٢٣هـ)، تصحيح: مصطفى جواد، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

٩. الخطّ العربيّ وإشكالية المصطلح الفنيّ: إدهام محمد حنش، دار النهج للدراسات والتوزيع، حلب، سوريا، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠. الخطّ العربيّ وحدود المصطلح الفنيّ: إدهام محمد حنش، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، سلسلة روافد العدد (٣)، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١١. الخطّ المغربيّ: تاريخ وواقع وآفاق: عمر أفا ومحمد المغراويّ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٢. خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجريّ: محمد بن سعيد شريفي، دار موفم للنشر، الجزائر، ط٢، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٣. دراسة في تطور الكتابات الكوفيّة: إبراهيم جمعة، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

١٤. دليل الحيران في شرح مورد الظمآن (في فني الرسم والضبط): إبراهيم بن أحمد المارغنيّ التونسيّ، دار القرآن، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٥. رحلة الخط العربيّ من المسند إلى الحديث: أحمد شوحان، منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب ـ دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٦. رشف اللَّمى على كشف العَمَى [في علم رسم القرآن وضبطه حسب رواية نافع]: الشيخ محمد العاقب بن سيدي عبد الله بن مايابى اليوسفي الجكنيّ الشنقيطيّ (ت١٣١٢هـ)، تحقيق: محمد ين سيدي محمد مولاي، دار إيلاف، الكويت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م .

١٧. سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، ومعه سفير العالمين: الشيخ علي محمد الضباع، تحقيق: أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، مصر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٨. الفهرس الشامل للتراث العربيّ الإسلامي المخطوط، علوم القرآن [قسم: المصاحف المخطوطة ومخطوطات رسم المصحف]: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمَّان، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٩. الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط: صالح بن إبراهيم الحسن، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٠. الكتابة وفن الخطّ العربيّ، النشأة والتطور: يوسف ذنون، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٢١. المُحكَم في نَقْط المصاحف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: د.عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٢. المخطوط العربيّ دراسة في أبعاد الزمان والمكان: إياد خالد الطبّاع، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١١م.

٢٣. المخطوط العربي: عبد الستار الحلوجيّ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٤. المرجع في علم المخطوط العربيّ: آدم جاسك، ترجمة: مراد تدغوت، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٢٥. المصحف المخطوط في السودان: تصميمه وإخراجه: محمد حسين الفكّيّ، دار القومية العربية للثقافة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٦. معجم مصطلحات الخطّ والخطّاطين: عفيف البهنسيّ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٧. معجم مصطلحات المخطوط العربيّ: قاموس كوديكولوجي: أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، الخزانة الحسنية، الرباط، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٨. المقدّمة (العبر وديوان المبتدأ والخبر): عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار البلخيّ، دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٩. المُيسَّر في علم رسم المصحف وضبطه: غانم قدوري الحمد، إصدارات مركز الدراسات والمعلومات

القرآنية بمعهد الإمام الشاطبيّ، جدَّة، ط٢، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٣٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

ثانياً: المجلات والدوريات

٣١. أنواع الخط العربيّ المفهوم التاريخي والمصطلح الفني، إدهام محمد حنش، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد ٥٩، الجزء ١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٣٢. جغرافية الخط العربيّ وإشكالية الزمان والمكان، محمد حسن إسماعيل، الملحق التراثي لمجلة الرافد الإماراتية، عدد مارس، ٢٠١٤م.

٣٣. حكم الالتزام بقواعد رسم المصحف وضبطه، أحمد خالد شكري، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات، العدد ٣٣، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٣٤. الخط العربيّ عند الأتراك، د.علي آلب أرسلان، ترجمة: سهيل صابان، مجلة دارة الملك عبد العزيز، السنة ٣٣، العدد ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣٥. خطوط المصاحف: إشكاليات التعريف وحدود التصنيف، إدهام محمد حنش، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد ٥٤، الجزء٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٣٦. كتابة المصحف الشريف عند الخطّاطين العثمانيّين: دراسة تاريخية فنية، إدهام محمد حنش، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السنة ٤، العدد ٧، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٣٧. المصاحف المخطوطة: تعريفٌ بها، وبيان قيمتها التاريخية والعلمية والفنية، غانم قدوري الحمد، مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جُدَّة، السنة (٦)، العدد (١٢)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٣٨. مراجع أخرى رجع إليها الباحث للاستزادة ولم ينقل عنها مباشرة:

٣٩. أبو الأسود الدؤلي: عصره ـ حياته ـ آثاره العلمية والأدبية: عليّ النجديّ ناصف، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٤٠. أثر القرآن الكريم في الخطِّ العربيّ: كمال عبد جاسم الجميليّ، بحث منشور بمجلة البحوث والدراسات القرآنية الصادرة عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد ٩، السنة ٥-٦.

٤١. تحسين الخطوط في إيران: ليلى برات زادة، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم، مركز البحوث الثقافية، طهران، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٢. تحفة أولى الألباب في صناعة الخطّ والكتاب: عبد الرحمن بن يوسف بن الصائغ (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: هلال ناجي، دار بو سلامة، تونس، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

٤٣. جماليات الخطِّ العربيّ في الفنون التشكيلية: أيمن فاروق عبد العظيم، منشورات جامعة الطائف،

السعودية، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

٤٤. جماليات الخطّ المغربيّ في التراث المغربيّ، دراسة سيميائية: محمد البندوريّ، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر، مراكش، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

٤٥. الخطّ العربيّ (فعاليات أيام الخط العربيّ ١٩٩٧م): وزارة الثقافة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة بقرطاج، تونس، ١٤٢٢/٢٠٠١م.

٤٦. الخطّ العربيّ من خلال المخطوطات: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٧. الخطّ العربيّ والرقش رؤية فلسفية: بركات محمد مراد، مجلة الذخائر، بيروت، (عدد خاص عن الخط والمخطوط العربي)، العدد ٩، السنة ٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤٨. خطّ النستعليق الجذور التاريخية والخصائص الفنية: نصار محمد منصور، المجلة الأردنية للفنون، المجلد٦، العدد١، ٢٠١٣م.

٤٩. دراسات في تاريخ الخطّ العربيّ منذ بدايته إلى نهاية العصر الأمويّ: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

٥٠. رسالة في الخطّ والقلم: أبو علي محمد بن علي ابن مقلة (ت٣٢٨هـ)، في ضمن: موسوعة تراث الخطّ العربيّ، تحقيق: هلال ناجي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٥١. رسالة في علم الكتابة: أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، تقديم: محمّد بغدادي، مطبوعات صندوق التنمية الثقافية، وزارة الثقافة المصرية، نشرة خاصّة بمناسبة فعاليات ملتقى القاهرة الدولي الثاني لفنّ الخطّ العربيّ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٥٢. رسم المصحف، دراسة لغويّة تاريخيّة: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمَّان، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥٣. روح الخطّ العربيّ: كامل البابا، دار لبنان للطباعة والنشر، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٥٤. المخطوط العربيّ وعلم المخطوطات: تنسيق: أحمد شوقي بنبين، منشورات كلية الآداب بالرباط، ١٤٢٤هـ/١٩٩٤م.

الشيخ ياسين البحرانيّ
وكتابه (المحيط)
عرض وتحليل

Al-Sheikh Yassin Al-Bahrani's Book
(Al-Muheet)
- Presentation & Analysis -

الشيخ محمّد جعفر الإسلاميّ

مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدراسات والتحقيق في النجف الأشرف

العتبة العباسيّة المقدّسة

العراق

Al-Sheikh Muhammad Jafar Al-Islami

Sheikh Altusi centre for studies and review in

Al Najaf Al Ashraf

Al-Abbas holy shrine

Iraq

الملخّص

الشيخ ياسين بن صلاح الدين البلاديّ البحرانيّ من أعلام القرن الثاني عشر الهجريّ، صرف كثيرًا من عمره في التحقيق والتأليف، وصنّف كتبًا كثيرةً، وما وقفنا عليه من مؤلّفاته يبلغ ثلاثين مؤلَّفًا بين كتابٍ ورسالةٍ في مختلف العلوم؛ مثل: علم الكلام والمنطق، والفقه والأصول، والصرف والنحو، و.. ومن الموضوعات التي صرف همّه في التحقيق فيها والتأليف هو علم الرجال.

وكتابه (المحيط) -الّذي هو محل كلامنا في هذا البحث- كتابٌ موسوعيّ رجاليّ مرتّب وفق الترتيب الألفبائيّ للحروف، ولكنّه لم يتم؛ إذ بلغت مباحثه إلى أوّل حرف الشين، وقد ألّفه بشكلٍ تفصيليٍّ، وذكر فيه كلّ ما حصل له أثناء المطالعة والتدقيق في مباحث الرجال؛ من الفوائد والإبداعات التي لم يسبق إليها غيره.

وبعد ملاحظة ميزات كتاب (المحيط) التي ستُذكر في البحث الماثل بين يديك، وتبرزُ في ضوئها أهميّته بينَ الكتب الرجاليّة، نستطيع أن نقول: إنّه من أهمّ الكتب الّتي أُلّفت في علمِ الرجال، وهو للأسف لم يزل مخطوطًا، فلذلك عقدنا العزم على كتابة البحث فيه.

Abstract

Al-Sheikh Yassin bin Salah Al-Din Al-Baladi Al-Bahrani, is one of the great scholars of the twelfth century AH. He spent much of his life investigating and authoring many books in various field such as: theology, logic, jurisprudence, principles of jurisprudence, morphology and syntax, etc. Among the topics that he focused on investigating and writing is biographical evaluation.

His book Al-Muheet - which is the subject of our discussion in this research - is an encyclopedic book in biographical evaluation, which arranges the figures according to the alphabetical order of letters. However, this book is uncompleted, as his investigation reached the beginning of the letter Sheen (ش). In this work the author put forward in detail everything that happened to him during the reading and analysis throughout his research. Which contain benefits and innovations that have not been stated before.

After stating the features of the book that will be mentioned in the research between your hands, and in light of them the importance of this book and the significance of biographical evaluation will become clear. We can say: This book is one of the most important books written in the biographical evolution, yet it is unfortunately still a manuscript and has not been published, so we decided to write a research about it .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فلا يخفى أنّ من أجلّ العلوم قدرًا وأكملها مزيّةً وأرفعها خطرًا العلم بأحوال رواة الأحاديث، وحملَة الأخبار. وتجلّت أهميّته منذ القرن الأوّل؛ فأوّل من اهتمّ بهذا الموضوع هو عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين عليه السلام؛ حيثُ دوّن أسماء الصحابة الذين بايعوه عليه السلام، وشاركوه في حروبه؛ الجمل، وصفّين، والنهروان[١].

واستمرّ هذا العطاء يزداد نموًّا جيلًا بعد جيل بين المحدّثين والرواة؛ حيثُ أدركوا أهميّته وما يترتّب عليه من الفوائد والآثار، ونشاهد في القرن الثاني المؤلّفين في هذا العلم من المحدّثين الكبار؛ مثل: عبد الله بن جبلة، وابن فضال، والحسن بن محبوب الزرّاد[٢].

حتى إذا وصلنا إلى القرن الخامس دُوّنت فيه الأصول الخمسة الرجاليّة: رجال البرقيّ، ورجال النجاشيّ، والرجال، والفهرست، واختيار معرفة الرجال للكشيّ.

واستمر أيضًا جهد المحدّثين وعلماء الرجال في التأليف والتصنيف في هذا العلم؛ بحيث لا يخلو كلّ قرن عن الآثار الرجاليّة؛ مثل: (معالم العلماء)، و(فهرست منتجب الدين)، و(خلاصة الأقوال)، و(إيضاح الاشتباه) للعلّامة الحلّيّ، و(الرجال) لابن داود .. إلى غيرذلك ممّا لا يسعنا هنا التفصيل في ذكر أسمائهم.

---

(١) الفهرست: ١٧٥، رقم ٤٦٧.

(٢) ينظر الفهرست: ٩٦، رقم ١٦٢، الذريعة: ٩٠/١٠.

ومن جملة ما يدلُّ على كثرة أهمّيته عند فقهاء الشيعة أنّهم اعتبروه كمقدّمةٍ للفقه؛ حيث قدّم بعضهم التعرّض لمباحث علم الرجال في كتبهم الفقهيّة، مثل: الشيخ البهائيّ المتوفّى سنة (١٠٣١هـ) ؛ فإنّه ذكر مقدّمةً في كليّات علم الرجال على كتاب (الحبل المتين في إحكام أحكام الدين)، و(مشرق الشمسين وإكسير العبادتين)، وقدّم الشيخ حسن بن زين الدين العامليّ المتوفّى سنة (١٠١١هـ) مباحث كليّات علم الرجال على كتابه الفقهيّ والحديثيّ (منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان).

وكثرت تأليفاتهم وتصنيفاتهم فيما بعد القرن الحادي عشر؛ حتّى ألّفوا مئات الكتب والرسائل الرجاليّة.

ومن حيث أنّه مايزال كم كبير من الآثار الرجاليّة مخطوطًا ولا يُعرف عنها معلومات كثيرة، عقدنا العزم على التعريف بجملةٍ مهمّة منها، ممّا وقفنا عليه.

ومن أهمّ هذه الكتب كتاب (المحيط) للشيخ ياسين بن صلاح الدين البلاديّ البحرانيّ من أعلام القرن الثاني عشر.

ومن المميزات التي تُبرز أهميّة كتاب (المحيط) ومن أجله قمنا بكتابة البحث عنه، وعقدنا العزم على تحقيقه في مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدراسات والتحقيق، هي جهد مؤلّفه الكبير في جمع القرائن في توثيقات الرجال وقوة الرواة؛ مثل: التوثيقات العامة وغير المنصوصة، وشيخوخة الإجازة، ورواية الأجلاء، واعتناؤه بذكر طبقات الرواة، والتدقيق في الأسانيد، وتمييز المشتركات، واهتمامه بتفسير عبارات كتب المتقدمين من أهل الرجال، وضبط أسماء الرجال، واستقصاؤه الأقوال الرجالية، وكثرة مصادره.

وهو مع اشتماله على فوائد كثيرة فاقت الكتب المؤلّفة قبله لم يزل مخطوطًا، وهو قيد التحقيق في مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره.

وهذا البحث يشتمل على مبحثين وخاتمة؛ المبحث الأوّل: حياة المؤلّف وآثاره العلميّة، والمبحث الثاني: التعريف بكتاب (المحيط) ومنهج المؤلّف وميزاته، والخاتمة: نتائج البحث.

المبحث الأوّل: المؤلّف

هو الشيخ ياسين بن صلاح الدين بن عليّ بن ناصر بن عبد عليّ بن خلف بن محمّد بن خميس بن راشد البلاديّ البحرانيّ.[١]

وصفَه الشيخ أحمد بن صالح آل طوق القطيفيّ بـ(قدوة المتأخّرين)[٢]، وقال الشيخ عليّ البحرانيّ: «العالم الفاضل العامل المحقّق الكامل الأمين الشيخ ياسين ابن الشيخ صلاح الدين البلاديّ البحرانيّ، كان رحمه الله تعالى من العلماء الأعلام والفقهاء الكرام، إمامًا في الجمعة والجماعة»[٣]، وقال السيّد محسن الأمين: «كان عالمًا فاضلاً فقيهًا أديبًا محدّثًا رجاليًّا ماهرًا في العربية»[٤].

كان معاصرًا للشيخ سليمان بن عبد الله البحرانيّ المتوفّى سنة (١١٢١هـ)، وللشيخ عبد الله بن صالح السماهيجيّ البحرانيّ المتوفّى سنة (١١٣٥هـ).

أصله من البحرين، وترعرع فيها، وكان إمامًا في الجمعة والجماعة، وانتهت إليه رئاسة القضاء والحسبة الشرعيّة حتّى عصفت بها رياح المصائب؛ فأتلفت دارَه وبعضَ آثارِهِ في ما وقعت بالبحرين، وانتقل منها إلى بلاد فارس وشيراز، وتوطّن في مدينة جويم أبي أحمد من توابع فارس.

في تذكّره لتلك الديار وبُعده عن وطنه والجوار قال:

ليس البعـــــاد عن الأهليـــــن والدار
وإن لقيـــت بهـــا همًّـــا بأضـــرار

(١) ينظر تراجم الرجال: أحمد الحسينيّ: ٢/ ٨٦٦/ ١٦٢٤.

(٢) ينظر رسائل آل طوق القطيفيّ: ٤/ ١٦١.

(٣) أنوار البدرين: ٢٢١.

(٤) أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٨٣.

بل عن منادمة الأحبـــــاب ويحك ما
تــرى ضياعــي عــن الأهليــن والجــار
هــــــذي (أوال) فــــــلا آوي بها وطن
ولا حـــوت لأديـــب لا ولا دار
أرى معالمهـــــا تبكـــــي عوالمها
قــد بُدلــت بعــد ســكن الــدار بالــدار
إنّ الأميـــــر بها مـــــن كان مفخرةً
إنّــي التمســت مــن العشــار أعشــاري
وأمس كنت بدار الحكـــــم يلحظني
حامــي الذمــار عزيــز الجنــد والجــار[1]

قال الشيخ ياسين البحرانيّ: «وهذه المدينة قد سكنتُها بعد خروجنا من الواقعة العظيمة التي حلّت علينا في البحرين مدّة من السنين مع الأهل والبنين، كأنّي في جنّة نعيم مع الحور العين، كان آخرها سنة (١١٤٧هـ)، وقد عزمتُ أن أتّخذها لي دار مقامٍ، إلّا أنّ حوادث الدهور والأيام التي لا تنيم ولا تنام منعتني من ذلك المرام، والأمر للملك العلّام»[2].

لم نقف على سنة ولادته، ولا على سنة وفاته إلّا أنّه يظهر من كتب التراجم أنّه كان حيًّا في سنة (١١٤٧هـ).[3]

مشايخه:

وله من الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزيّ البحرانيّ المتوفّى سنة (١١٢١هـ)

(١) أنوار البدرين: ٢٢٣.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٢٨٣.

(٣) ينظر: ترجمته في: أنوار البدرين: ٢٢١- ٢٢٣، وأعيان الشيعة: ١٠/ ٢٨٢-٢٨٤، والأعلام: الزركليّ: ١٨/ ١٣٠، موسوعة طبقات الفقهاء: ١٢/ ٤٣٠- ٤٣١، تراجم الرجال: ٢/ ٨٦٦.

إجازةٌ، ذَكَرَها في المقدّمة الرابعة عشرة من كتاب (معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه)[١]، ومن الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجيّ المتوفّى سنة (١١٣٥هـ) إجازة؛ ذكرها في آخر كتاب (منية الممارسين في جواب مسائل مولانا الشيخ ياسين)[٢]، وهي مطبوعة في مجلّة كتاب شيعة بعنوان (إجازة السماهيجيّ للشيخ ياسين البلاديّ المنتقاة من منية الممارسين) في العددين(٧و٨) سنة ١٣٩٢هـ.ش، ص(٥٥٧-٦١٠)، و(منية الممارسين) كتبها الشيخ السماهيجيّ في أجوبة مسائل الشيخ ياسين البحرانيّ، وقال في المقدّمة: «إنّي كنتُ أحقَّ بسؤاله، والأحرى بأن أكون من جملة تلامذته ورجاله، لا من أشكاله وأمثاله».[٣]

تلامذته والراوون عنه:

تخرّج عليه الشيخ محمّد بن سعيد المقابيّ البحرانيّ المتوفّى سنة (١١٢١هـ)[٤]، وأخذ عنه السيّد نصر اللّه بن الحسين الفائزيّ الحائريّ الإجازة في سنة (١١٤٥هـ).

كتبه وآثاره:

خلّف الشيخ ياسين بن صلاح الدين البحرانيّ آثارًا متعدّدة في مختلف العلوم؛ فألّف في اللغة ولاسيما في النحو، والفقه، والأصول، والرجال، والحديث، وغيرها، وندرج هنا هذه الكتب بحسب المجال الذي كُتبت فيه؛ وهي:

أولاً: الكتب اللغويّة:

١. حاشية على شرح القطر في علم النحو.

ذكره الشيخ ياسين وقال: «هو أوّل ما وقع منّي من التصنيف، وخرج منّي من

(١) ينظر معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه: ٨٧-٨٨.

(٢) ينظر أنوار البدرين: ٢٢٣.

(٣) مجلة كتاب شيعة (٧و٨): ٥٧٢.

(٤) ينظر مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين: ٢/ ٢٩٧.

التأليف في وقت الصغر وأيام الضجر، وكان ذلك يومًا فيومًا، ودرسًا فدرسًا على ترتيب القراءة فيه لدى بعضِ الأعزّاء».[١]

٢. حاشية على شرح الخلاصة .

وهي حاشية على شرح (الخلاصة) المشهورة كالألفية لابن مصنّفها بدر الدين من أوّله إلى آخره على تلك الطريقة أيضًا، لكنّها بلغت الغاية في الحسن.[٢]

٣. حاشية على البهجة المرضيّة.

وهي حاشية على شرح جلال الدين السيوطيّ على ألفيّة ابن مالك الذي سمّاه (البهجة المرضيّة).

ذكره الشيخ ياسين البحرانيّ وقال: «قد غيّرنا فيها وبدّلنا أبياتًا من الألفيّة بعد إيراد الاعتراض على الأبياتِ الأولى؛ تبيينًا لما هو أحسنُ منها سالمًا من ذلك».[٣]

٤. حاشية على الوافية.

وهي حاشية على شرح الكافية الحاجبيّة لعبد الرحمن الجاميّ الذي سمّاه بـ(الوافية)، وكانت في الحقيقة شافية وافية مشتملة على تدقيقات عجيبة، وتوجيهات غريبة.[٤]

٥. حواشٍ متفرّقة على شرح الشيخ حسين بن معين الدين الميبذيّ لكافيةً ابن الحاجب.

قال منها: «لكنّها لم تكمل على الترتيب».[٥]

---

(١) معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه: ٥.

(٢) ينظر معين النبيه: ٥.

(٣) معين النبيه: ٦.

(٤) ينظر معين النبيه: ٦.

(٥) معين النبيه: ٦.

وهـذه الكتـب - أي: حاشـية علـى شـرح القطـر، وحاشـية الوافيـة، وحاشـية علـى الخلاصـة، وحاشـية علـى البهجـة المرضيّـة، وحـواشٍ متفرّقة على شـرح الكافية- حسـبَ مـا قـال- قـد تلفت فـي الواقعة الّتـي خرّبـت الديار، وواقعـت الـدار ببلادِنـا البحرين.[١]

٦. الدراية في النحو.

وهـو كتـاب فـي النحـوِ؛ قـال المؤلّـف فـي تعريفـه: «عملنـاه لبعـضِ الأعـزّاء درسًـا فدرسًـا».[٢]

٧. الفوائد النحويّة.

ذكره الشـيخ الطهرانيّ، والسـيّد محسـن الأمين وعَنوَنَاه بـ(الفوائد النحويّة)[٣]، ولكنّ الشـيخ علـيّ البحرانـيّ ذكـره بـعنوان (الفوائـد العربيّـة)، وقال فـي تعريفـه: «متن جيد مليـح أكبـر مـن (الكافيـة). وله حواشٍ كثيـرة على الفوائـد المذكورة بمنزلة الشـرح».[٤]

٨. حواشي كتاب الفوائد .

ذكـره السـيّد محسـن الأمين وقـال: «ذكرهمـا - أي: الفوائد وحواشـيها- فـي (الروضة العليّة) أيضًا، وقال في إجازته للسـيّد نصر الله الحائريّ التي كتبها سـنة (١١٤٥ هـ): «إنّ فيـه مسـائلَ لم تُذكـر في غيره مع اختصار، قال: وكتبتُ عليه حواشـي كالشـرح عليه».[٥]

٩. حواشٍ على شرح الكافية.

قـال السـيّد أحمـد الحسـينيّ الأشـكوريّ: «كتـب نسـخة من شـرح الكافيـة وأتمّها في السـادس عشـر من جمادى الأولى سـنة (١١١٣هـ)، وقابلَها على نسـخة الشـيخ عليّ بن

(١) ينظر معين النبيه: ٦.

(٢) معين النبيه: ٧.

(٣) ينظر الذريعة: ١٦/ ٣٦٢، أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٣.

(٤) أنوار البدرين: ٢٢٣.

(٥) أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٣.

الحسن البلاديّ، وكتب عليها تعاليق مفيدة منه ومن غيره».[١]

١٠. الروضة العليّة في شرح الألفيّة .

ذكره الدكتور إميل بديع يعقوب في موسوعة علوم اللغة العربية [٢]، وذكره الشيخ عليّ البحرانيّ في (أنوار البدرين) قائلًا: «صنّفه لابنه الشيخ عليّ في شيراز بعد ما عصفت على بلاد البحرين رياح المصائب والحدثان، وخرج منها الشيخ ياسين بن صلاح الدين خاليًا من الطارف والتلاد، وقال في مقدّمة الكتاب بعد الخطبة المشتملة على الحمد والثناء والصلاة على سيّد الأنبياء وآله الأئمّة الأمناء عليهم السلام: أمّا بعد، فالعبد المسكين ياسين بن صلاح الدين عفي عنهما آمين يقول: إنّ ربي وله المنّةُ عليّ حيثُ نجّاني من غمرات وأهوال ومصائب وزلزال؛ لأنّي ممّن كنتُ في قلب هذه الهَلكة والحين، وتلك الطامّة الواقعة على أهل البحرين؛ التي لم يقع مثلها في الأزمانِ كلا ولا، ولم تكن غير كربلاء فيا لها من مصيبة قد شربتها، ومن رزيّة قد تجرّعتُها، ثمّ إني لم أتحسر على ما فات عليّ من المال، ولا ما تلف عليّ من الحال، بل أتذكر ضرب الرماح المُريقة لدمي، وملاطمة السيوف المُبرية لأعضائي وأعظمي، فلم أزل أسلّي النفسَ عن ذكرها، وأشغلها بالتسلّي عن غيرها.

وكيف تسلو، وقد ترامتني بعدها أيدي الغربات، وتعاورتني أيدي الكربات، حتى ألقتني نون الآونة والأقدار، وقذفتني تحت يقطين الدار ؛ دار العلم والكمال (شيراز)، صانها الله من الزلزال، خاليًا من الطارف والتلاد، ليس معي أصل أطالعه، ولا كتاب أراجعه، فخشيت أن يفوت مني ما كان معلومًا، ويعسر عليّ ما كان لديّ مفهومًا ...

إلى أن قال: وكان لدي الولد الأعزّ عليّ، على علم النحو ولهان، لم يزل يلحّ عليّ على كتاب يقرؤه، وشرح يُديره ويراه، لا جرم جزمت أن أعلّق له شرحًا على ألفيّة

(١) تراجم الرجال٢: ٨٦٦/ ١٦٢٤.

(٢) ينظر موسوعة علوم اللغة العربية ٩: ٤٦٩.

ابـن مالـك؛ أهـذّب فيهـا المطالـب، وأوضّـح منها المسـالك ... إلـى آخر كلامـه زِيد في علوٍّ مقامه».[١]

كمـا قـال أيضًـا: هـو مـن أحسـنِ الشـروحِ علـى الألفيـة، مجلّد كبيـر بقدر شـرح ابن الناظـم وكثيـرًا مـا يعتـرض عليـه فيه.[٢]

و كانـت نسـخةٌ مـن هـذا الشـرح عنـدَ السـيّد محسـن الأميـن، وقـد ذكـر مواصفات النسـخة هكـذا: «عندنـا منـه نسـخة منقولـة عـن خـطّ المؤلّـف؛ وجدناهـا فـي بعـض مكتبـات جبـل عامـل. وأولـه: الحمـد لله الذي تمّـت كلمته صدقًـا وعدلًا، وظهـرت آيات وجـوده قـولًا وفعـلًا. وآخره: فرغ على يد مؤلّفه العبد المسـكين ياسـين بـن صلاح الدين بـن علـيّ بـن ناصـر البحرانيّ فـي بلدة (جويم أبـي أحمد) من توابع فارس منتصف شـهر جمـادى الأولـى (١١٣٤هـ). والنسـخة منقولـة عن خطّ المؤلّف بخطّ رجـلٍ عامليّ طُمس اسـمه فيهـا فلـم يُعرف؛ قال في آخرها: وكان الفراغ من مشـقّة مشـقه نهـار الاثنين قُبيل الظهر أول يومٍ من شـهر شـعبان المبارك من شـهور سـنة (١١٩٢) في قرية (طيرفلسـيه) علـى يـد مالكـه الفقير، وهنـا ذهب اسـم الكاتب».

ثـمّ قـال: «وكانـت غالـب كتابتـه فـي حـال الحمّـى، والحمـد للـه وحـده وصلـى الله علـى مـن لا نبـيّ بعـده وآلـه وأصحابـه المتأدّبيـن بآدابـه ... بلـغ مقابلة على يـد محرّره فـي أوقـات متعـدّدة آخرهـا قبيـل الظهـر مـن نهـار الأربعـاء رابع شـهر صفر الخير سـنة ١١٩٤هـ».[٣]

وقـال أيضًـا: «وفـي هـذا الاسـم مـا ينبـئ عـن ضعـف معرفـة المؤلّـف؛ فالروضـة لا توصـف بالعلـوّ».[٤]

(١) أنوار البدرين: ٢٢١-٢٢٢.

(٢) ينظر أنوار البدرين: ٢٢٢- ٢٢٣.

(٣) أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٣.

(٤) أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٣.

واتّهمه أيضًا بعدم معرفته للقواعد النحويّة عند ذكر كتابه (لآلي التحرير) في المنطق قائلًا: «ذكره في هامش (الروضة العليّة) فقال: قد جمع لقواعده - أي: المنطق- وأشار إلى كثيرٍ من زوائده بأوجز عبارة وأبين إشارة. ولا يخفى أنّ قوله: (قد جمع لقواعده) لحنٌ؛ فلامُ التقوية لاتدخل المفعول المتأخر فأين معرفته بالعربية وتأليفه فيها؟!»[١]

١١. السيف الصارم في الردّ على ابن الناظم.

هو شرح على شرح ابن ناظم الألفية، وأكثَرَ فيه من الردِّ والاعتراضِ. ونقل أنّ بعضَ تلامذته كتب كتابًا في الانتصار لابن الناظم سمّاه (السيف السنين في الردّ على مولانا الشيخ ياسين)، فلما وقف الشيخ عليه قال له: «لِمَ لا قلت: في رقبة ياسين»[٢]

وذكر له السيّد محسن الأمين اسمًا آخر: (الحسام الصارم في الردّ على ابن الناظم) وقال في صفته: «ذكره في هامش الروضة أيضًا، وقال: عجيب في انتظامه، متناه في انسجامه، لم يُسبق في فنّه بنظيرٍ».[٣]

وعابه السيّد محسن الأمين على تسميته؛ فقال: «وأقول: ابن الناظم متميّز بين علماء النحو، وشرحُهُ على ألفيّة والدِهِ أحسن شروحها، فماذا عسى أن يردّ عليه فيه، وإن ردّ فأصاب في ردّه -إذ العصمة لأهلها- فلا يستحق ردّه أن يُسمّى (الحسام الصارم)، ولا يليق بكتابٍ يردّ فيه على نحويّ؛ إنّما يحسن هذا الاسم لو كان الكتاب ردًّا على دهريّ، أو ملحد، أو نحو ذلك .على أنّ بعض المعاصرين قال: رأيته وليس بشيء»[٤]

١٢. حواشٍ متفرّقة على شرح صلاح الدين الصفديّ للاميّة العجم[٥].

(١) أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٨٣.

(٢) أنوار البدرين: ٢٢٣.

(٣) أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٤.

(٤) أعيان الشيعة: ١٠ /٢٨٤.

(٥) ينظر معين النبيه: ٧.

١٣. حواشٍ متفرّقة على شرحي سعد الدين التفتازانيّ للتلخيص المطوّل والمختصر[١].

١٤. حواشي شرح الشافية للنظّام النيسابوريّ .

ذكره السيّد محسن الأمين وقال: «ذكره في الروضة العليّة أيضًا»[٢]، وقال المؤلّف في وصفه: «قد اشتمل على أبحاثٍ دقيقة وتعليلات»[٣]

١٥. كتاب العوامل.

وهو مرتّبٌ على نهج غريب على منبع وأسس ومبانٍ،[٤] ذكره السيّد محسن الأمين بقوله: «قال في إجازته المذكورة للسيّد نصر الله: إنّه على نهجٍ غريب»[٥]

ثانيًا: الكتب الفقهيّة والأصوليّة:

١٦. حاشية على شرح الزبدة للفاضل الجواد.

ذكره السيّد محسن الأمين قائلًا: «ذكره المؤلّف في إجازته للسيّد نصر الله الحائريّ»[٦].

وقال المؤلّف في وصفه: «حاشية على شرح الشيخ محمّد الجواد الكاظميّ لـ(زبدة الأصول) لشيخنا البهائيّ، من أوّله إلى آخرِه بعد أن كتبت هذا الشرح بيدي، ولم نترك كلمةً واحدة في الأصل إلّا أظهرتُ ما المراد منها؛ فهي كالشرح له، أو أكبر منه حجمًا».[٧]

---

(١) ينظر معين النبيه: ٧.

(٢) أعيان الشيعة: ١٠ /٢٨٣.

(٣) معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه: ٧.

(٤) ينظر الذريعة: ١٥/ ٣٦٠.

(٥) أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٣.

(٦) أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٨٣.

(٧) معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه: ٧.

١٧. رسالة في صلاة الجمعة.

وهذه الرسالة مشتملة على عدّةِ شبهات وردود بشأن صلاة الجمعة، بقيت منها نسخة محفوظة في مكتبة العلّامة الطباطبائيّ (دانشكده پزشكى شيراز) تحت الرقم (٦٩٤).[١]

ثالثًا: الكتب الكلاميّة والمنطقيّة:

١٨. حاشية على شرح العقائد النسفيّة[٢].

١٩. لآلئ البحرين في علم المنطق.

وهي منظومة في علم المنطق وله شرح لبعض أبياتها[٣]، ذكره السيّد محسن الأمين بقوله: «ذكره في هامش (الروضة العليّة) فقال: قد جمع لقواعده - أي: المنطق- وأشار إلى كثيرٍ من زوائده بأوجز عبارة وأبين إشارة».[٤]

وقال المؤلّف في وصفه: «كتاب لئالي البحرين في علم المنطق بلغ الأقصى في حسن العبارة، وكثرة المسائل بأقلّ إشارة شُرحت، سمّيناه(اعتماد المنطقيّين)، ونظمتُ منه بعضًا، نسألُ الله التوفيق للإتمام بمحمّدٍ وآله الكرام».[٥]

٢٠. النور في علم الكلام.

ذكره السيّد محسن الأمين قائلًا: «ذكرها في هامش (الروضة العليّة) فقال: قد أخرجتُ بتوفيق الله رسالةً في علم الكلام بأوجز عبارة، وأخصر إشارة، ذكرنا فيها ما نعتقده وقام لدي دليله، سمّيناها بـ(النور)، عملناها في بلدة (بردستان) حرسها الله

(١) ينظر دوازده رساله فقهى درباره نماز جمعه از روزگار صفوي: ٩٥.

(٢) ينظر أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٨٣.

(٣) ينظر الذريعة: ١٨/ ٢٥٨.

(٤) أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٣.

(٥) معين النبيه: ٧.

مـن طـوارق الحدثان»[١]

وقـال المؤلّـف فـي وصفـه: «مختصـر عملنـاه إجابـةً لالتمـاس الأعـزّ محمّـد رفيـع البردسـتانيّ».[٢]

٢١. التحفة الواصلة في شرح حديث: (الشقيُّ مَن شَقِيَ في بطنِ أُمّه).

ذكره السـيّد محسـن الأمين بقوله: «ذكرها في هامش (الروضة العليّة) وقال: عملناها في بلدة (شـيراز) بالتِماسِ أحد السـادة، ولم يذكرها المعاصر في مؤلّفاتِ الشـيعة»[٣].

وقـال فـي إجازتـه الّتـي كتبهـا للسـيّد نصـر اللـه الحائـريّ سـنة (١١٤٥ هـ) مـا لفظه: «أوردت فيـه عشـرة أدلّـة لـم ينتبـه لها غيـري»[٤]

رابعًا: الكتب الحديثيّة والرجاليّة:

٢٢. إجازة للسيّد نصر الله الحائريّ الشهيد في سنة (١١٤٥هـ).

اسـتجاز منـه بعـد عودتـه من الحجِّ مـن طريقِ البحرين سـنة (١١٤٤ هـ)، متوسـطة، تاريخهـا أول ربيـع الأول سـنة (١١٤٥هــ)، (أوّلها: الحمد لله العليـم)، أحال فيها تفصيل الطـرق إلـى الإجـازة الكبيـرة عـن شـيخه السـماهيجيّ، وذكـر طريقًـا واحـدًا مـن طريـق المحمّدين عن شـيخه الآخر الشـيخ محمّد بن يوسـف البحرانيّ، ثمّ ذكر تفصيل تصانيف نفسـه إلى التاريـخ المذكور.[٥]

٢٣. معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه.

ألّفه الشـيخ ياسـين بن صلاح الدين البحرانيّ في ٦ شـهر رمضان من سـنة (١١٤٥هـ)،

(١) أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٣.

(٢) معين النبيه: ٧.

(٣) أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٨٣.

(٤) الذريعة: ١٣/ ٢٠٠.

(٥) ينظر الذريعة: ١/ ٢٦٣.

ويشتمل على أربع عشرة مقدّمةً في قواعد علوم الحديث ودرايته، ومطلبين في مشايخ الصدوق مرتّبين على الحروف، وفي الرواة الواقعة في طرق الصدوق مرتّبًا على الحروف أيضًا.

وقال الشيخ عليّ البحرانيّ في تعريفه: «مجلّد حسن، وكثير من المتأخّرين عنه ينقلون منه»[١]

أوله: (الحمد لله المطّلع على السرائر، العالم بما تخفيه القلوب وتُضمره الضمائر، سبحانه هو الله الذي لا إله إلّا هو الأول والآخر).

آخره: (ضعيف بإهمال موسى بن عمران وعليّ وأبيه، وبما في الحسين بن يزيد، وعلى هذا نختم ما نحن نريده ونرجو من الله مزيده).

بقيت منه نسخ خطّيّة؛ وهي:

١. النسخة المحفوظة في مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ المرقّمة (٢٥٥٠)؛ كتبها عليّ بن حسين بن محمّد بن يوسف بن عليّ بن عبد الله بن عليّ بن عليّ بن حسين بن كنبار نعيميّ بلاديّ بحرانيّ في ٥ جمادى الأولى من سنة (١١٩٢هـ) عن نسخةٍ بخطّ المؤلّف.

٢. النسخة المحفوظة في مكتبة مركز إحياء التراث الإسلاميّ المرقّمة (١٠١)، وهي مصوّرة النسخة الأولى.

٣. النسخة المحفوظة في مكتبة جامعة طهران المرقّمة (٤٠٧٨-ف).

٤. النسخة المحفوظة في مكتبة سماحة العلّامة الشيخ سليمان المدنيّ البحرانيّ،[٢] وقال السيّد محسن الأمين: «وجدنا منه نسخة في (بهار) من قرى همذان، نُقلت عن خطّ المصنّف، وجدناها في مكتبة الشيخ رضا البهاريّ حين دعانا إلى منزله في تلك القرية في طريقنا إلى المشهد المقدّس سنة (١٣٥٣هـ)،

(١) أنوار البدرين: ٢٢٢.

(٢) ينظر معين النبيه: ٨.

ووجدنا في مسودّة الكتاب أنّ له (معين النبيه في رجال من لا يحضره الفقيه) ألّفه سنة (١٠٥٠هـ) في بلدة (أوال)؛ وُجد منه نسخة في مكتبة البرلمان بطهران وصل فيها إلى أول حرف الشين.

والذي ذكرناه أوّلًا وجدناه بخطّنا في مسوّدة الكتاب، والمذكور ثانيًا وجدناه بخطّ غيرنا ممّن كان معنا حين كنا ندخل مكتبة البرلمان ونُملي عليه ما ننقله منها، فالمذكور أولًا في تاريخ الفراغ منه أنّه سنة (١١٢٥) هو الصواب؛ لأنّه منقولٌ عن خطّه، ومعتضد بتأريخ إجازته للحائريّ، كما مَرَّ، والمذكور ثانيًا أنّه سنة (١٠٥٠هـ) الظاهر أنّه خطأ، وربما كان صوابه (١١٥٠)، فيكون تاريخًا للنسخة لا للتأليف، أو للفراغ من آخر جزء، والأول للفراغ ممّا قبله، والله أعلم»[١].

هذا، والظاهر أنّه اشتُبه على السيّد محسن الأمين؛ فإنّ كتاب الشيخ ياسين بن صلاح الدين الذي يكون إلى أول حرف الشين هو كتابه (المحيط)، و نسخة منه في مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ.

وطُبع كتاب (معين النبيه) بتحقيق محمّد عيسى آل مكباس وبمقابلته على نسختين؛ إحداهما محفوظة في مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ المرقّمة (٢٥٥٠)، والأخرى في مكتبة سماحة العلّامة الشيخ سليمان المدنيّ البحرانيّ[٢] في سنة (١٤٢٢هـ).

ووقفنا بعد مطالعته ومقارنته بكتاب (المحيط) على أنّ عباراتِه في التعريف بالرجال وترجمتهم أخصرُ من كتاب (المحيط) جدًّا؛ فإنّه كثيرًا ما اقتصر فيه على ذكر ما يدلُّ على التوثيق والتضعيف من دون إشارة إلى ترجمة أزيد منهما مع ذكره آراء الفقهاء، في حين ذكرها بشكلٍ تفصيليٍّ في كتاب (المحيط).

وهو نفسُهُ قالَ في مقدّمةِ كتاب (معين النبيه): «.. واقتصرتُ على قدر ما

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٢٨٣.

(٢) ينظر معين النبيه: ٨.

يتعرّفُ به الحال؛ حذرًا ممّا يوجِبُ السآمة والملال، فجاء بحمد الله هذا الكتاب متكفّلًا بذلك كلّه، ومحيطًا بجنسِه وفصلِه بعد أن أتعبتُ به جهدي، وأنفقت فيه عدّي وكدّي..»[١].

فهو مثلًا لم يذكر في أبان بن عثمان الأحمر البجليّ في (المعين) من الآراء عدا توثيقه، وذكَر بعض الأقوال فيه بشكلٍ مختصر[٢]، في حين أنّه يفصّلُ الكلام فيه في (المحيط)، ويذكر آراء متضاربة في توثيقه وتضعيفه من الفقهاء، وذكرَ عباراتهم في تضعيفه من الكتب الفقهيّة، وردّ عليهم بثمانية ردود.

ورتّب كتابه (معين النبيه) على مقدّمات ومطلبين.

والمقدّمات: هي أربع عشرة مقدّمة في كلّياتِ علم الرجال ودراية الحديث: الأولى: في معنى الحديث[٣]، الثانية: في تنويع الحديث[٤]، الثالثة: في تقسيم الحديث إلى المتواتر والآحاد[٥]، الرابعة: في مدار التوثيق والتضعيف[٦]، الخامسة: في الكتب الأربعة[٧]، السادسة: في حجيّة كلّ ما في الكتب الأربعة وعدمها[٨]، السابعة: في بيان حال الصدوق[٩]، الثامنة: في كنى النبيّ، والأئمّة، وألقابهم عليهم السلام[١٠]، التاسعة: في بيان الفِرق الّتي يُنسب إليها رواة الشيعة[١١]، العاشرة: في الألفاظ المستعملة في الجرح والتعديل في هذا الاصطلاح

(١) ينظر معين النبيه: ١١.
(٢) ينظر معين النبيه: ٩١-٩٢.
(٣) ينظر معين النبيه: ١١-١٢.
(٤) ينظر معين النبيه: ١٢- ٢٥.
(٥) ينظر معين النبيه ٢٥-٢٨.
(٦) ينظر معين النبيه: ٢٨- ٤١.
(٧) ينظر معين النبيه: ٤١-٥٢.
(٨) ينظر معين النبيه: ٥٢- ٥٧.
(٩) ينظر معين النبيه: ٥٧-٦٣.
(١٠) ينظر معين النبيه: ٦٣- ٦٦.
(١١) ينظر معين النبيه: ٦٦- ٧٢.

الجديد[١]، الحادية عشرة: في بيان ما أسند الصدوق في (الفقيه) إلى جملةٍ من الرجال[٢]، الثانية عشرة: في بيان أصحاب الإجماع[٣]، الثالثة عشرة: في بيان ألفاظ ترد في كلام أهل الرواية والدراية[٤]، الرابعة عشرة: في طرق المصنّف إلى الصدوق[٥].

وفي هذه المقدّمات فوائد كثيرة يطّلع عليها المطالع، ولا مجال لذكرها هنا.

والمطلبان: **الأوّل:** في الرجال الّذين روى الثقة الجليل الصدوق المصنّف في كتاب (من لا يحضره الفقيه) عنهم[٦]. **والثاني:** في بيان طرق المصنّف وصحّتها، وحسنها، وغيرهما على حسب ما جرت عليه طريقة المتأخّرين[٧].

٢٤. المحيط.

والتعريف به يأتي مفصّلًا في المبحث الآتي.

٢٥. رسالة في حديث: الوصيّة نصف الإيمان.

ذكرها السيّد محسن الأمين بقوله: «ذكرها في هامش (الروضة العليّة) وقال: ذكرنا فيها كلامًا مع الشيخ إبراهيم بن الحسن بن جمهور»[٨].

٢٦. رسالة في عدم اعتبار قول علماء الرجال؛ لكثرة أغلاطهم.

ذكرها السيّد محسن الأمين، وقال في الاعتراض عليها: «وهذا القول بظاهره من

---

(١) ينظر معين النبيه: ٧٢-٧١.

(٢) ينظر معين النبيه: ٧٢- ٧٦.

(٣) ينظر معين النبيه: ٧٦- ٨٠.

(٤) ينظر معين النبيه: ٨٠- ٨٧.

(٥) ينظر معين النبيه: ٨٧-٨٨.

(٦) ينظر معين النبيه: ٩٠.

(٧) ينظر معين النبيه: ٣٢٤.

(٨) أعيان الشيعة ١٠:/ ٢٨٣-٢٨٤.

جملة الأغلاط؛ فأقوالُ علماء الرجال لا مناص عن العمل بها، وكون بعضها قد اشتمل على غلطٍ لا يُوجب ترك ما لا غلط فيه، وكون جميعها كذلك واضح البطلان، والأغلاط التي وقعت من علماء الرجال محصورةٌ معروفةٌ، وباقي أقوالهم ممحّصة مهذّبة من كلِّ دنس»[١].

وليس هذا الاعتراض واردًا على الشيخ ياسين البحرانيّ؛ لأنّه أثبت ما يُورد على الرجاليّين في بعض كلماتهم من السهو، أو السقط، أو التهافت، بحسب ما فصّله في المقدّمة الرابعة من كتابه (معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه).[٢]

وهو يعتمد كثيرًا على كلمات علماء الرجال من المتقدّمين إذا لم تكن غلطًا، أو متناقضةً، وتكون القرائن مؤيِّدة لها في كتابيه: (معين النبيه)، و(المحيط).

وذكرها أيضًا العلّامَةُ الطهرانيّ في (الذريعة)، وقال في التعريف بها: «ابتدأ فيها بتهجين تقسيم الأخبار إلى الأربعة: الصحيح، الحسن، الموثّق، والضعيف، ثمّ بعدم التعويل على أقوال أئمّة الرجال والتنقيد عليهم»[٣].

وتنويع الحديث وفق القسمة الرباعيّة خالفه بعض من تأخّر عن العلّامة المبدع؛ بسبب أنّه لم يكن مصطلحًا عند القدماء من أصحاب الحديث فاخترعه المتأخرون.

علوم متفرّقة:

٢٧. المجموع.

قال السيّد محسن الأمين في وصفه: «الكتاب الذي يظهر أنّ اسمه (المجموع)، أو

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٢٨٤.

(٢) ينظر معين النبيه: ٣٤-٣٩.

(٣) الذريعة ١٥: ٢٣٤.

نحو ذلك، وأنّه أربع مجلدات أو أكثر؛ الذي أشار إليه في كلامه السابق بقوله: (وقد ذكرتها في المجلد الرابع من المجموع). وقد بقيت له مؤلّفات أُخر ذكرها في هامش (الروضة العليّة) لم نتمكّن من قراءة أسمائها؛ لأنّ خطّها مطموس . وقال في آخر كلامه: إنّ مؤلّفاته نيّف وعشرون».[١]

٢٨. منية الممارسين في جواب مسائل مولانا الشيخ ياسين.

هذه رسالة لما يزيد على تسعين مسألةً من مشكلات العلوم في علومٍ شتّى، أرسلها إلى العالم العامل المحدّث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجيّ البحرانيّ، وأجاب عنها جوابًا شافيًا كافيًا في مجلّد كبير، وفي آخرها أجاز له؛ لطلبها منه.[٢] وذكرها أيضًا العلاّمة الطهرانيّ والسيّد محسن الأمين.[٣]

وأثنى الشيخ عليّ البحرانيّ على هذا الكتاب بقوله: «وهو عندنا، وهو أحسن مصنّفاته».[٤]

٢٩. الكشكول.

ذكره العلاّمة الطهرانيّ في (الذريعة) بقوله: « رأيته عند الشيخ حسين القديحيّ»[٥]

٣٠. السديد في شرح كلمة التوحيد.

ذكره العلاّمة الطهرانيّ في (الذريعة) بقوله: « إنّ فيه ذكر جميع ما يتعلّق بها من جميع العلوم».[٦]

---

(١) أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٨٤.

(٢) ينظر أنوار البدرين: ٢٢٣.

(٣) ينظر: الذريعة: ٢/ ٩٤، أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٨٤.

(٤) أنوار البدرين: ٢٢٣.

(٥) الذريعة: ١٨/ ٨١.

(٦) الذريعة: ١٧/ ٢١٠.

المبحث الثاني: كتاب المحيط

كتاب (المحيط) الذي سيكون محور هذا المبحث ألّفه الشيخ ياسين بن صلاح الدين البلاديّ البحرانيّ بعدَ تأليفِ كتاب (معين النبيه في رجال من لا يحضره الفقيه)؛ إذ ذكره في مقدّمتِهِ على (المحيطِ).

ويقولُ في سَبَبِ تأليفه: « إنّه قبلَ هذه الأيّامِ الضريرةِ والأوقات الشرّيرة قد وفّقني الله تعالى لتأليف بعضِ الكتب العلميّة المفيدة، وجمع شيءٍ من الرسائل المتفرّقة السديدة، وكان من جملة تلك الكتب كتابٌ عملناه في بيانِ أحوالِ الرجالِ الأثبات، بل مطلق المصنّفين للأُصول والكتب والرواة، لكنّه كان مقصورًا على ما ذكره الثقة الصدوقُ المبرورُ في كتابِهِ الكبير المشهور بـ(معين النبيه في رجال من لا يحضره الفقيه)، فأعجب في أمره، وشاع لجلالته وحسنه بذكره، فألحَّ عليّ جملة ممّن رآه، وجمّ غفير حيثُ لم يَرَوا مثله ولا شرواه، أن أعمل لهم كتابًا كبيرًا يشتمل على جميع الرجال، ويكون على ذلك الطرز والمثالِ، ويحيط ذكرًا بالمذكورين من الرواة والمصنّفين.

وإنّي أعتذر لهم وأُبدي الأعذار، وأُظهر لهم وجوهَ التأخير وأسباب القرار، فيهيج بهم من ذلك غرام الاشتياق، ويشتعل من زند المدافعة نارُ الاحتراق، وكم حاولت في التسلية بالإشارة بالإقناع بهذه الكتب المصنّفة المتداولة في أصقاع الأصقاع، فأجاب بأنّها غيرُ كافيةٍ، ولا مقنعة، ولا وافية؛ فإمّا مختصرٌ قليلٌ، أو ما فيه غنىً عن ذلك التطويل مَعَ قلّةِ فائدة التحصيل، أو ذو الأغلاط العديدة، والزوائد، والتكرارات غير المفيدة، فألتمس المهلة للخلسة من الزمان، والانتظار للرقدة من غيبة العيان، فإن أجابوا زمانًا أعادوا بعده، وزادوا في الجدّ جدّه، وجهده.

هذا مع ما نحن فيه من المشاقّ، والمحن التي لا تُطاق؛ ممّا لم يصدر مثلها على الأوّلين، ولم تحضر ببال أحدٍ من العاقلين، وتفصيلها مُحال بيقين.

وبالإجمال أنا في (أوال) فيما بعدَ المائة والأربعين من السنين، فإن كنتُ خبيرًا، فاسأل به خبيرًا، فلمّا بقينا والبلايا تترادف، والمصائب تتعاكف، والمظالم تتعاقم، وأمواجها تتلاطم، بكينا بالسجوم على العلوم، والتجأنا إلى الحيّ القيّوم، فخطر لي في الحال أنّي إن بقيتُ على هذا الحال لم يكن منّي ما ينفع، ولم يبق بعدي ما يسمع، وما ذاك إلّا الحسرة الكبرى، والخسارة في الأُخرى، وذلك في السنة الخمسين من السنين، فاتّخذت من فوري زاوية الوحدة، وردمت الباب من الداخل عن الداخل والسدة، وبقيت مدّةً من الزمان في عمل ما التمس أُولئك الإخوان؛ قربةً لله المنّان، وطاعةً للرحمن، فجاء بحمد الله على وَفق ما أمّلوه، وفوق ما سألوه؛ قد احتوى من التحقيق الحقيق على من لم يحوه كتاب في هذا الباب، واشتمل على التوضيح الوضيح والتدقيق الأنيق ما لم تره لدى عبعابٍ ولا عباب من سؤال وجواب، فليقرّ به الطالبون، وينتفع به الراغبون»[١].

اسم الكتاب:

واسمُ الكتابِ على ما سمّاهُ في المقدّمةِ: (المحيط)، أو (البسيط)؛ حيثُ قال: «وسمّيته بـ(المحيط)، وإن شئت (الكتاب البسيط)، وقد رتّبتُه...»[٢] ولذا عرّفوه في كتب التراجم بـ(المحيط)، أو (البسيط في الرجال) المعروف برجال الشيخ ياسين البحراني)[٣]، وعنونه أيضًا العلاّمة الطهرانيّ في (الذريعة) بـ(رجال الشيخ ياسين)»[٤].

مكان التأليف وزمانه:

حسب ما قاله المؤلّفُ في مقدّمة الكتاب فإنّ مكان التأليف كان في (أوال)؛[٥] و(أوال): بالضمّ - ويروى بالفتح- جزيرة يُحيط بها البحر بناحية البحرين، فيها نخل

(١) المحيط: ١.

(٢) المحيط: ١.

(٣) أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٨٣.

(٤) ينظر الذريعة: ١٠ / ١٥٩.

(٥) ينظر المحيط: ١.

كثير وليمون وبساتين. قال توبة بن الحمير:

مِن النّاعبات المشـــــي نَعبًـــــا، كأنّما
يُنَـــاطُ بجـــذعٍ مـــن أوال جريرهـــا[١]

وأشار المؤلّف إلى إقامته فيها بقوله:

هَـــــذي (أُوال) فـــــلا آوي بِها وَطَن
وَلَا حَـــوَت لأديـــــــــبٍ لَا وَلَا دَار[٢]

وزمان تأليفه كان فيما بعد سنة ألف ومائة وأربعين؛ وقد صرّح بزمانِ التأليف أيضًا في المقدّمة: «فيما بعد المائة والأربعين من السنين».[٣]

نُسخه:

بقيت منه نسخة يتيمة محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، وهي تقع في ٢٦٠ صفحةً، في كلّ صفحة ٣٠ سطرًا، وهي الّتي اعتمدنا عليها في هذا البحث.

منهج المؤلّف في كتاب (المحيط) وميزاته:

رتّب المؤلّف مطالب كتابه على وفق الترتيب الألفبائي للحروف، وذكر أسماء الرجال الموثّقين وغير الموثّقين، وذكر الأدلّة على توثيقهم وتضعيفهم مَعَ ما كان في ترجمتهم، من غير التوثيق والتضعيف من الطبقة، وتمييز المشتركات، وضبط الأسماء و..إلخ.

لكنّه لم يُتم الكتاب، فاقتصرت مباحثه على آخر حرف (السين) وأول حرف (الشين)، وكان آخر من ترجم له هو سهل، جدّ أبي عليّ محمّد بن محمّد بن همام.[٤]

(١) ينظر معجم البلدان: ياقوت الحمويّ: ١/ ٢٧٤ (أوال).
(٢) ينظر أنوار البدرين: ٢٢٢.
(٣) المحيط: ١.
(٤) ينظر المحيط: ١٣٠.

منهجه في التوثيق والتضعيف:

بما أنّ علم الرجال هو العلم الذي يُبحث فيه عن أحوال الرواة من حيث اتصافهم بالعدل أو الوثاقة، و الضعف أوالقدح، لذلك تكون أغلب أبحاثه دائرة مدار التوثيق والتضعيف، ومبتنيةً على كيفيّة إثبات التوثيق والتضعيف.

ولذلك يصح لنا أن نقول: إنّ أهمَّ شيء في التحقيقات الرجاليّة هي المنهجيّة في إثبات التوثيق أو تضعيف الرواة.

ومن أهمّ الطرق لإثبات الوثاقة أو ضعف الرواة هي تصريح علماء الرجال المتقدّمين بالتوثيق أو التضعيف، والشيخ ياسين تبعًا لكثير من الرجاليّين يعتمد في مسألة التوثيق والتضعيف على نصوص الكتب الرجاليّة للمتقدّمين؛ مثل: النجاشيّ، والشيخ، والكشيّ، والبرقيّ، وابن طاوس، والعلّامة، وغيرهم.

إلّا أنّه وإن اعتنى في تحقيقاته بنصوص الرجاليّين، ولكن ليس مداره على كتبهم ونصوصهم على الإطلاق؛ لأنّه يرى أحوال أولئك الرجال مضطربة من كلام كلٍّ على كلام الآخر[١]، وظفر بالتتبّع على أغلاطٍ كثيرة من جانب المتقدّمين؛ مثل: عليّ بن الحسن بن فضال، وأورد كثيرًا من أغلاطه في تراجم الرواة في المقدّمة الرابعة من كتابه (معين النبيه)[٢]. ثمّ قال بعده: «فإذا كان هذا حقيقة حالهم كيف يُعتمد على مجرّد مقالهم في صحة الحديث وضعفه؛ اللذَين هما العمدة في أخذ الحديث وحذفه، فليس العمدة بعد ذلك في ذلك إلّا الرجوع إلى القرائن والأمارات المفيدة؛ للاطلاع على أحوال أولئك الرواة»[٣].

وهو لا يلتزم أيضًا في تقييم الأحاديث بالتنويع الرباعيّ فيها الذي أبدعه ابن طاوس، وهو قال -تبعًا للشيخ البهائيّ-: إنّه كان عند القدماء من المحدّثين مصطلحان:

(١) ينظر معين النبيه: ٢٨.

(٢) ينظر معين النبيه: ٣٤- ٣٩.

(٣) معين النبيه: ٣٩.

صحيح وضعيف[١].. ولذا يصحّ لنا أن نعبّر عن منهج الشيخ ياسين في الحديث والرجال بمنهج الوثوق الصدوريّ.

التوثيقات العامّة:

شيخوخة الإجازة:

اشتُهر في الكتب الرجاليّة أنّ قسمًا من مشايخ الإجازة الذين يُجيزون رواية أصلٍ أو كتاب لغيرهم، غيرُ موصوفين في كتب الرجال بالوثاقة، وقالوا: إنّ مشايخ الإجازة مستغنون عن التوثيق[٢]. ومنهم من يعدّونها دليلاً على حسن الراوي[٣]، ومنهم من لا يعتبرون لها أيّ دلالة[٤].

وذُكرت أيضًا لمعرفة مشايخ الإجازة طرقٌ مختلفة[٥]، ولكن العمدة المتّفق عليها في طريق معرفة كون الراوي من مشايخ الإجازة تنصيصُ أهل الرجال على ترجمة الراوي.

والشيخ ياسين بن صلاح الدين البحرانيّ أخذ هذا الدليل من الأدلّة على التوثيق واستدلّ به على توثيق بعض الرجال، وتمسّك في معرفة مشايخ الإجازة بنصوص أهل الرجال؛ منهم: أحمد بن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد؛ الذي ليس له ذكرٌ في كتب الرجال، إذ قال في ترجمته: «أحمد بن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد أبو الحسن: نقل عنه المفيد كثيرًا والشيخ في كتابَي الأخبار يُؤثِر طريقه على غيره، وليس

(١) ينظر معين النبيه: ١٣-٢٥.

(٢) قال الشهيد الثاني: إنّ مشايخ الإجازة لا يحتاجون إلى التنصيص على تزكيتهم و عن بعض المحقّقين إنّ عادة المصنّفين عدم توثيق الشّيوخ (ينظر مفاتيح الأصول: ٣٧٣)

(٣) قال الوحيد البهبهانيّ في تعليقته على منهج المقال: «كون الرجل من مشايخ الإجازة: والمتعارف عدّه من أسباب المدح، وربما يظهر من جدّي (ره) دلالته على الوثاقة». (تعليقة الوحيد البهبهانيّ على منهج المقال: ٢٥)

(٤) مثل السيّد الخوئيّ في معجم رجال الحديث: ١/ ٧٢-٧٣.

(٥) ينظر الرسائل الرجاليّة: ١٤٥- ١٤٨.

لـه ذكـر فـي كتب الرجـال إلّا أنّـه من المشـايخ المعتَبريـن»،[١] ثـم ذكر عبـارات العلاّمة المجلسـيّ، والشـيخ البهائيّ، والميرزا الإسـترآباديّ في أنّه من مشـايخ الإجازة، ويسـتدلّ بها علـى وثاقته[٢].

وقـال فـي ترجمـة أحمـد بـن نصر بـن سـعيد الباهلـيّ المعـروف بابـن أبي هراسـة: «يُسـتدلّ علـى وثاقتـه بأنّه شـيخ إجـازة التلعكبـريّ».[٣]

وبعـد ذكـر ترجمـة جعفـر بن محمّد بن عبد الله بن موسـى بن جعفـر بن محمّد بن علـيّ بـن الحسـين بن عليّ بن أبي طالب العلويّ الحسـينيّ الموسـويّ المصـريّ، وجعفر بـن محمّـد بـن إبراهيـم بـن محمّـد بـن موسـى بـن علـيّ بن الحسـين بـن عليّ بـن أبي طالـب الخيبـريّ اللّذَيـن لـم يرد فيهما نصّ توثيـق صريحٌ قال: «والأظهر أنّهما من مشـايخ الإجـازة، والطريـق من جهتهمـا صحيح، لغنائهم عـن التوثيق»[٤].

رواية الأجلّاء والإكثار:

روايـة الأجـلّاء عـن أشـخاص والإكثـار منهـم إحـدى الطـرق التـي تُعتبـر فـي إثبـات التوثيـق، وعـرّف بعـض المتأخريـن الإكثارَ هو أن يُكثـر الثقة الجليل مـن المتقدّمين عن شـيخٍ ليـس لـه ذكرٌ فـي كتـب الرجال.

وفصّلـه الشـيخ حسـن العاملـيّ فـي الفائـدة التاسـعة من مقدّمـة (منتقـى الجمان)، وجعلـه دليـلًا علـى عـدم مجهوليّةِ الرجـال الذين ليس لهـم ذكرٌ في كتب الرجـال، وقال: «يـروي المتقدّمـون مـن علمائنا رضي الله عنهم عن جماعةٍ من مشـايخهم الذين يظهر من حالهم الاعتنـاء بشـأنهم وليـس لهم ذكر في كتب الرجـال، والبناء على الظاهـر يقتضي إدخالهم فـي قسـم المجهوليـن، ويُشـكَل بـأنّ قرائـن الأحـوال شـاهدة ببُعد اتّخـاذ أولئـك الأجلّاء

(١) المحيط: ٢٢.

(٢) ينظر المحيط: ٢٢.

(٣) المحيط: ٢٦.

(٤) المحيط: ٥٥.

الرجـلَ الضعيـفَ أو المجهـولَ شـيخًا يُكثرون الروايـة عنه، ويُظهـرون الاعتناء به».[١]

ثـمّ عـدّ منهـم بعـض الـرواة؛ مثـل: ابـن أبـي الجيـد، وأحمـد بـن محمّـد بـن يحيـى العطّـار، وأحمـد بـن محمّـد بـن الحسـن بـن الوليـد، ومحمّد بـن علـيّ بـن ماجيلويه.[٢]

ومـن الرجاليّيـن مـن يعتبـرُ الإكثـارَ دليـلًا علـى حسـن الـراوي[٣]، ومنهم مـن يعدّه دليـلًا علـى اعتمـاد الـراوي ووثاقتـه[٤]، ومنهم من يعـدّه دليلاً إذا كان كثيـر من رواياته مُفتيًـا بها.[٥]

والشـيخ ياسـين بـن صـلاح الديـن أخـذه دليـلًا على عـدمِ ضعفِ الـراوي وقوّتـه فيما إذا تعـارض التوثيـق بالتضعيـف؛ مثـل: أبان بن عثمـان الأحمر البجليّ؛ فإنّـه بعد أن ذكر الأقـوال فـي ضعفه الناشـئ من عدم الإيمان وفسـاد مذهبه[٦] والـردّ عليها، قال في إثبات توثيقـه: «واعتمـاد جملـةٍ مـن الفضـلاء علـى روايتهم عنه؛ كابـن أبي عميـر، وكأحمد بن محمّـد بـن أبي نصر، وجميـل بن دراج، وصفوان بن يحيى، وفضالـة بن أيوب، روى عنه أيضًـا أحمـد بـن عبـد الله العـروق، وجعفر بن بشـير، والحسـن بن علـيّ الوشّـاء، وعليّ بـن الحكـم، والقاسـم بـن محمّـد الجوهـريّ، ومحسـن بـن محمّـد، وأحمـد بن الحسـن الميثمـيّ، والنضـر بـن شـعيب، ومحمّـد بـن الوليـد الجـزّار، ومحمّـد بـن الوليـد شـباب

(١) منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان: ١: ٣٩.

(٢) ينظر منتقى الجمان: ١/ ٤١.

(٣) ينظر منتهى المقال في أحوال الرجال: ١/ ٩٩.

(٤) ينظر منتهى المقال في أحوال الرجال: ٦/ ٣٧٤.

(٥) ينظر منتهى المقال في أحوال الرجال: ٦/ ٣٧٤. وعدّ الوحيد البهبهانيّ الإكثار من أهل البيت عليهم السلام أيضًا دليلًا على كون الراوي من أصحابنا إذا دلَّ من قبلُ دليلٌ على أنّه من العامّة؛ كأن يروي عن الأئمة عليهم السلام على وجهٍ يظهر منه أخذهم رواة لا حججًا؛ كأن يقول: عن جعفر عن أبيه عن آبائه عن عليّ أو عن الرسول (صلوات الله عليهم)؛ فإنّه مظنّة عدم كونه منهم. (ينظر تعليقة على منهج المقال: ٣٤)

(٦) ذكرَ أصحابُ الرجال أنّ أبان بن عثمان الأحمر البجليّ ناووسيٌّ. (ينظر: اختيار الرجال: ٢/ ٦٤٠/ الرقم٦٦٠، ورجال ابن داود: ٣٠/الرقم٦)

الصيرفيّ، وأحمد بن الحسن بن سعيد بن عثمان، والسنديّ بن محمّد، والعباس بن عامر، وجعفر بن محمّد بن حكيم، وجعفر بن سماعة، وفضالة بن أيوب»[١].

ومثل: داود بن الحصين الأسديّ الذي طعن فيه ابن عقدة وتوقف فيه العلامة في (الخلاصة)، وقال المؤلّف بعد ذكر هذه الأقوال بتوثيقه وقال: «..ولعلّ منشأها- في القول بضعفه- إنّما هو كلام ابن عقدة؛ وهو غير ملتفتٍ إليه في الطعن على مَن وثّقه الأجلّاء، واعتمدوا على روايته؛ كصفوان بن يحيى، وابن أبي نصر البزنطيّ، وغيرهما»[٢].

ويعدّه أيضًا دليلًا على حسن الرجل الذي لم يرد فيه ذمٌّ؛ مثل: الحسين بن سيف بن عميرة النخعيّ؛ إذ يقول في ترجمته: «وحيث كان الحسين من ذوي التصانيف، ولم يذكر فيه أحدٌ ذمًّا، وأبوه وأخوه من أهل بيتٍ صلحاء ومن الثقات، واعتماد الأجلّاء المعتَبرين على روايته؛ كعليّ بن الحكم، وإبراهيم بن هاشم، ومحمّد بن خالد، وأحمد بن محمّد بن عيسى، وأمثالهم، فهو ممّن يُعتقد فيه الأمانة، وتلك أمارة على حسن حاله، فالحديث من قبله حسن، فتأمّل»[٣].

ومثل: حمزة بن حمران بن أعين الشيبانيّ؛ الذي هو من أصحاب الصادق عليه السلام وروى عنه صفوان بن يحيى، وابن سماعة، وعبد الله بن بكير، وابن أبي عمير، وجميل، ويقول المؤلّف: «..ثمّ اعتماد هؤلاء الأجلّاء عليه، وجعلهم إياه الواسطة بينهم وبين المعصوم، ممّا يُورث حسنَ الظنّ به مع كونه من أهل التصانيف، وسالمًا من الطعن»[٤].

التوثيقات الواردة عن العامّة:

الشيخ ياسين بن صلاح الدين لا يَعتبرُ توثيقات العامّة لأصحابنا الإماميّة من الأدلّة

(١) المحيط: ٤.
(٢) المحيط: ٩٨- ٩٩.
(٣) المحيط: ٧٩.
(٤) المحيط: ٩١.

على التوثيق؛ خلافًا لبعض الرجاليّين من الشيعة الذين يعتبرونها دليلًا على وثاقة من لا يرد فيه توثيق من علماء الشيعة الرجاليّين؛ مثل الشيخ البهائيّ؛ إذ قال في توثيق ابن عقدة وهو زيديّ: «ابن عقدة الزيديّ فلا يُعتمد على توثيقه، ولا يُحتاج إلى ما أُجيب به من أنّ توثيق غير الإماميّ له مقبول، إلّا أنّ الفضل ما تشهد به الأعداء، بخلاف جرحه له».[١] والسرّ في عدم اعتبار الجرح هو أنّ معايير الجرح عندهم مختلفة عن علماء الشيعة في الرجال؛ فإنّهم كثيرًا ما يحكمون بجرح الراوي بمجرد كونه من الشيعة، أو يَعتقد بما لا يرضاه علماء العامّة.

وقال الشيخ ياسين بن صلاح الدين في الردّ عليه في ترجمة الحكم بن الحكيم أبي خلاد الصيرفيّ: «إنّ هذا الجواب منظور من وجوه: الأوّل: إنّ الفاسق الغير [كذا] الإماميّ لا يُقبل قوله مطلقًا؛ وإلّا يُقبل مطلقًا، والاحتجاج بأنّ الفضل ما تشهد به الأعداء كلام شعريّ. الثاني: إنّ توثيق الراوي أصل يُنشأ عليه فروعٌ، فلو قُبل فيه قُبل في فرعه، ولم يُقبل الثالث: إنّه لم يصرّح بكون الحكم إماميًّا حتّى يقول كلام أعدائه فيه، وإنّما عُلم ذلك من توثيقه. فليُتأمّل»[٢].

هذا، ولكن يُستشفّ من استشهاده في تراجم كثير من الرواة بقول الرجاليّين من العامّة، وعدم ذكر شيءٍ في ردّه، والاقتصار عليه، اعتماده على توثيقات بعض العلماء من العامّة المتشدّدين على الشيعة؛ **منها:** الاعتماد على توثيقات ابن حجر في كتابه (التقريب)؛ مثل: قوله في توثيق الحارث بن قيس الجعفيّ: «وفي تقريب ابن حجر: ابن قيس الجعفيّ الكوفيّ ثقة قُتل بصفّين وقيل مات بعد عليّ عليه السلام[٣]، وقوله في أرقم بن شرحبيل: « وقال ابن حجر في تقريبه: ابن شرحبيل الأوديّ الكوفيّ ثقة»[٤]، وقوله في إسماعيل بن أبان بن إسحاق الورّاق الذي لم يرد في توثيقٍ من النجاشيّ ولا الطوسيّ: «قال ابن حجر في تقريبه: إسماعيل بن أبان الورّاق الأزديّ أبو إسحاق وأبو

(١) المحيط: ٨٧.

(٢) المحيط: ٨٧.

(٣) المحيط: ٦٠.

(٤) المحيط: ٢٨.

إبراهيم كوفيّ ثقة تكلّم فيه المتشيّع مات سنة ست عشرة ومائتين»[١].

ومثل ذلك في إسماعيل بن أُميّة زين العابدين[٢]، و أيّوب بن أبي تميمة كيسان السجستانيّ العنبريّ البصريّ[٣].

ومنها: اعتمادُه على توثيقات (مختصر الذهبيّ)؛ مثل قوله في إسماعيل بن أُميّة زين العابدين: «وفي مختصر الذهبيّ: ابن أُميّة بن عمرو بن سعيد الأمويّ ثقةٌ، له نحوٌ من ستّين حديثًا»[٤]، وينظر نظيره في جبلة بن عطية يكنّى أبا عرقا[٥]، وجعفر بن أياس أبي بشير النصريّ[٦]، وجعفر بن زياد الأحمر أبي عبدالله الكوفيّ[٧]، جعفر بن سليمان الضبعيّ[٨]، إبراهيم بن يزيد النخعيّ[٩]، وأجلح بن عبدالله أبي أحنحة الكنديّ[١٠].

ذكر طبقات الرواة:

التدقيق في الأسانيد وطبقات الرواة من أهمِّ الواجبات الملقاة على الباحث الرجاليّ؛ إذ به يقدر تمييز الأسانيد المرسلة بحذف الوسائط، وتمييز المشتركات بين الموثّقين والضعفاء.

ولذا اهتمّ كثيرٌ من المحدِّثين والخبراء في علم الرجال بتأليف كتبٍ تختصّ بذكر

(١) المحيط: ٣٢.
(٢) ينظر المحيط: ٣٣.
(٣) ينظر المحيط: ٤٠.
(٤) المحيط: ٣٣.
(٥) ينظر المحيط: ٥١.
(٦) ينظر المحيط: ٥٣.
(٧) ينظر المحيط: ٥٣.
(٨) ينظر المحيط: ٥٣.
(٩) ينظر المحيط: ١١.
(١٠) ينظر المحيط: ١١.

الرواة، و بتعيين طبقاتهم؛ مثل: الشيخ بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثيّ (المتوفّى سنة ١٠٣٠هـ)[١]، والعلاّمة محمّد تقيّ المجلسيّ[٢]، والشيخ عبد اللطيف الجامعيّ[٣]، وشيخ العراقين الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ (المتوفّى سنة ١٢٨٦هـ)[٤]، والسيّد عليّ أصغر ابن السيّد شفيع الموسويّ الجابلقيّ البروجرديّ (المتوفّى سنة ١٣١٣هـ)[٥]، والسيّد هادي الخراسانيّ البجستانيّ الحائريّ[٦]، وأخيرًا استفرغ وسعه وأجاد في التأليف فيه الحاج آقا حسين البروجرديّ (المتوفّى سنة ١٣٨١هـ). وسمّى كتابه بـ(تجريد أسانيد الكافي تجريد أسانيد التهذيب).[٧]

وللتدقيق في طبقات الرواة أهميّة في تمييز المشتركات، وعلاج المشكلات والمعضلات، وكشف الأخطاء التي وردت في المصادر الحديثيّة والرجاليّة.

فشيخنا المؤلّف أيضًا أدرك أهميّة هذا الأمر في علم الرجال، واهتمّ في كتابه (المحيط) بتعيين طبقات الرجال الذي لا يُعلم إلّا بكثرةِ مطالعةِ الكتب الحديثيّة والرجاليّة، والرجوع إليها، وملاحظة القرائن والشواهد.

وعلى سبيل المثال نذكر بعضَ الأمثلة من (المحيط):

نقل في ترجمة الحسن بن خالد بن محمّد البرقيّ أخي محمّد بن خالد البرقيّ أنّ ابن شهر آشوب ذكر له في (معالم العلماء) كتابَ تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، وردّ عليه بأنّ طبقته تدلُّ على أنّ هذا الكتاب ليس له؛ وقال في ذلك: «إنّه إذا كان أخا محمّد، فهو من أصحاب الرضا عليه السلام لا العسكريّ عليه السلام، ولم يُذكر أنّه عاش إلى

(١) ينظر الذريعة: ١٥/ ١٤٩.
(٢) ينظر الذريعة: ١٥/ ١٤٨.
(٣) ينظر الذريعة: ١٥/ ١٤٩.
(٤) ينظر الذريعة: ١٥/ ١٤٩.
(٥) ينظر الذريعة: ١٠/ ١٣٧.
(٦) ينظر الذريعة: ١٠/ ١٥٨.
(٧) ينظر الذريعة: ١٥/١٤٩.

ذلك الوقت»[١].

تمييز المشتركات:

من المسلّم به أنّ الأسماء المشتركة في علم الرجال كثيرةٌ جدًّا، وأهمّيّة تمييزها ممّا لا تخفى على أحد؛ لأنّها مشتركة بين ثقة يُركن إليه وضعيف تُردّ روايته، ولكن كتب المتقدّمين من أصحاب الرجال فاقدة لهذا الموضوع؛ إذ إنّهم يذكرون الأسماء بالآباء والأجداد من دون أن يذكروا ما يُميَّز به المشترك عن غيره، وذلك أتعب الأصحاب المتأخّرون نفوسَهم الشريفة في تمييزها، وقال الأردبيليُّ في مقدّمة (جامع الرواة): «الحمد لله الذي زيّن قلوبنا بمعرفة الثقاة والعدول ...، ووفّقنا لتقييد المطلقات وتمييز المشتركات من متشابهي الحال، وصلى الله على محمّدٍ ..»[٢].

وعمد الرجاليّون إلى تأسيس فرعٍ آخر أسموه بـ(تمييز المشتركات) وألّفوا فيها وصنّفوا، والشيخ فخر الدين بن محمّد عليّ بن طريح الرماحيّ (المتوفّى سنة ١٠٨٥هـ) خصّ الباب الثاني عشر من كتابه (جامع المقال فيما يتعلّقُ بأحوال الحديث والرجال وتمييز المشتركات منهم)، وفصّل لتمييز المشتركات والقول فيها.[٣] وشرح تلميذه المولى محمّد أمين بن محمّد عليّ بن فرج الله الكاظميّ الباب الثاني عشر من كتاب أستاذه، وسمّاه بـ(هداية المحدّثين)،[٤] وهي من أهمّ الكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع، واعتنى بنقله كثيرٌ من علماءِ الرجال؛ مثل الشيخ أبي عليّ الحائريّ، والمامقانيّ، والشيخ محمّد طه نجف، ويُعبَّر عنه بـ(مشتركات الكاظميّ).

---

(١) المحيط: ٦٥- ٦٦. وينظر أيضًا ما قاله في ترجمة الحسن بن الحكم الخيريّ. المحيط: ٦٤.

(٢) جامع الرواة: ٣/١.

(٣) ينظر الذريعة: ٥/ ٧٣-٧٤

(٤) ينظر الذريعة: ١٣/ ١٧٢. ومنها أيضًا: (رسالة في تمييز المشتركات من أسماء الرواة) للسيّد محمّد باقر حجت الإسلام الشفتيّ الأصفهانيّ (المتوفّى سنة ١٢٦٠هـ). و(مرقاة الثقات في تمييز المشتركات) للسيّد عليّ البجستانيّ الخراسانيّ (١٢٩٧-١٣٨٦هـ) ينظر أعيان الشيعة: ٣٦٨/٨.

مـن المعاييـر والقرائـن التـي اسـتفاد مؤلّـف (المحيـط) منهـا لتمييـز الاتحـاد عـن الاشـتراك:

١. اتّحاد النسبة والوصف.
٢. اتّحاد الراوي: وذلك فيما إذا اتّحد الذي يروي عنهما.
٣. الاتحاد في المروي عنه: وذلك فيما إذا كان المروي عنه في العنوانين واحد.
٤. الاتّحاد في وقتِ الموت.
٥. عدم ذكر شيء في شيء منهما ممّا ينافي الآخر.
٦. اتّحادهما في التوثيق

وكثيـرًا ما يخالف الشـيخ ياسـين آراء الرجاليّيـن في الاتّحاد والاشـتراك؛ منهم: الميرزا الأسـترآباديّ؛ فإنّـه يقـول فـي الـردّ عليـه فـي ترجمـة آدم بـن عبد اللـه القمـيّ: «آدم بن عبداللـه بـن سـعد الأشـعريّ القمّيّ (البرقيّ) وهو غيـر المتقدّم البتّـة؛ لأنّ هذا يروي عن زكريـا بـن آدم عن الرضا عليه السلام وعنه الحسـين بن عبيد الله القمّـيّ، كما في (عيون الأخبار) والمتقـدّم مـن أصحـاب الصـادق عليه السلام، وتوهّـم الميـرزا الاتّحـاد؛ وهـو كما تـرى بعيد عن السـداد، وهذا جـدّ آدم بن إسـحاق المتقدّم».[1]

تفسير عبارات كتب المتقدّمين:

كمـا أنّ لـكلِّ علـم مصطلحـاتٍ تختـصّ بذلك العلـمِ، ولا يعرفُها إلّا مـن طالَعه، وأجاد النظـر فيـه، كذلـك لعلـم الرجـال مصطلحـاتٌ اسـتُخدمت في مصنّفـات هـذا العلم، ولا يعرفهـا، ولا يقـدر علـى تعريفهـا وتعيين المـراد منها إلّا أهـل الخبرة الذين أجـادوا فيها، وأغرقـوا، وأكثروا.

وأضـف إلى ذلك أنّه بسـبب بُعـدِ عهدنا عن القرون الأولى الّتـي دُوّنت فيها المصادر الرجاليّـة الرئيسـة، صـار فهـمُ بعـض الألفـاظ والكلمـات التـي ذُكـرت في تعريـف الرواة

(١) المحيط: ٢.

ووصف كتبهم ومصنّفاتهم صعبًا؛ يحتاج إلى كثرةِ الممارسة مَعَ كلماتهم وكتبِهم.

فمثلًا قال في تفسير عبارة: (كان علوًّا في الوقتِ) في ترجمة أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزّاز المعروف بابن عبدون: «..وقوله: (كان علوًّا في الوقت) الظاهر أنّ المراد به أنّه رفيعُ الشأنِ في وقته، ويُريد به القرشيّ على الأظهر، وما احتُمل من أنّ معناه: رفيع الإسناد، فلا معنى له، أو أنّه بالغَين المعجمة فأبعد من الأول. وقال الحاوي: لا نعرف معناه؛ وهو اعتراف منه على نفسه»[١]، وهذا المعنى للعلوِّ في الوقت مخالفٌ لما قاله الشيخ حسن العامليّ في (منتقى الجمان) [٢]، ومن تبعه[٣]؛ من أنّه وصفٌ لابن عبدون، وهو عندهم بمعنى: رفيع الإسناد، ومخالفٌ أيضًا لما قاله بعضهم الآخر؛ من أنّه بالغَين المعجمة، وهو الظاهرُ من الشيخ عبد النبيّ الجزائريّ في بعض المواضع من الحاوي.[٤]

ذكرُ الرجال الذين لم يذكرهم الأسترآباديّ:

الميرزا محمّد بن عليّ بن إبراهيم الأسترآباديّ (المتوفّى سنة ١٠٢٨هـ) رجاليّ كبير، وفذٌّ في تحقيق المطالب في الرجال، جمع عناوين الرجال وتراجمهم مرتِّبًا إيّاها على ترتيب الحروف في كتابَيه: (منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال) المعروف بـ(الرجال الكبير)، و(تلخيص المقال) المعروف بـ(الرجال الوسيط).

وهذان الكتابان صارا بعده من المراجع والمصادر المهمّة للعلماء والفقهاء في تحقيقاتهم الرجاليّة؛ لذا اعتنى بشرحهما والحاشية عليهما كثيرٌ من العلماء، ومن أهمّ هذه الشروح وأشهرها: تعليقة العلّامة المجدّد الوحيد البهبهانيّ عليه.

وهو مع بذلِ جهده واستفراغ وسعه قد يغفل عن بعض العناوين؛ كما قد يغفل

(١) المحيط: ٢٠.

(٢) ينظر منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان: ١/ ٢٠٣.

(٣) ينظر الفوائد الرجاليّة: ٢/ ١٢.

(٤) ينظر سماء المقال في أحوال الرجال: ٢/ ٢٧٦.

عنها الرجاليّون الآخرون. ويوجد فيه توثيق لبعض الرجال المذكورين فيه وغير المذكورين، أو مدحهم، أو سبب قوة قولهم، ولم ينتبه لها علماء الرجال في الرجال، أو انتبهوا ولكن في غير ترجمته، فلم يتفطّن إليها القوم، كما صرّح به الوحيد البهبهانيّ في مقدّمة تعليقته على (منهج المقال) وعدّه علّةً في تأليف التعليقة عليه[١].

و الشيخ ياسين بن صلاح الدين البحرانيّ ممّن اطّلع على هذا الأمر، وربما هو أوّلُ شخصٍ يُصرِّح به بعد الميرزا الأسترآباديّ.

وقال في المقدّمة: «وقد اتّفق لنا ذكرُ رجالٍ كثيرة لم يذكرهم الميرزا محمّد بن عليّ بن إبراهيم الأسترآباديّ في كتابيه، وفّقنا الله تعالى للوقوفِ عليهم وعلى أحوالهم من أماكنَ متعدّدة ومحالّ متبدّدة، وقد جعلت العلامة لذلك أن يُكتبَ بالسوادِ بالقلم المتين، وعليه خطُّ الأحمر ليَستبينَ، وتُكتب قبله واو بالحمرة؛ ليزداد بذلك ظهورًا وخبرة»[٢].

ومن الملاحظ أنّ بعضَ الرجال الذين لم يُذكَروا في كتابَي الأسترآباديّ إنّما هو لأجل أنّ هذا البعض لم يكن إماميًّا، فلم يُوجد في أسانيد رواياتنا مثل: أحمد بن عبد الملك المؤذّن الذي ذكره في (المحيط)[٣]؛ فإنّه عامّيّ ذكره لأوّل مرة ابن شهرآشوب في (معالم العلماء)؛ لأنّ له كتاب (الأربعين) في فضائل الزهراء سلام الله عليها[٤]، ولم يذكره المتقدّمون، والمتأخّرون، ولا الأسترآباديّ؛ لعدم ذكره في أسانيدنا.

أو لأنّه لم يُعَنون في كتب المتقدّمين والمتأخّرين من أصحاب الرجال، فلم يُعَنْونه أيضًا الأسترآباديّ، ومثل هذا كثير؛ مثل: أحمد بن محمّد بن إسحاق الدينوريّ[٥] الذي

(١) ينظر تعليقة على منهج المقال: ١.
(٢) المحيط: ٢.
(٣) ينظر المحيط: ٢٠.
(٤) ينظر معالم العلماء: ٦١.
(٥) ينظر المحيط: ٢٢.

هـو مـن مشـايخ الصـدوق، وقـال الصـدوق فيـه: «هو مـن أصحـاب الحديـث»،[١] ومثله أيضًـا: أحمـد بـن محمّـد بـن الحسـن بن السـكن القرشـيّ البردعـيّ[٢]، وأحمد بـن محمّد بـن الحسـن بـن سـهل[٣]، وأحمد بـن محمّد بن خاقـان النهـديّ[٤]، وأحمد بـن محمّد بن السقر.[٥]

ومـن العناوين التي أضافها الشـيخ ياسـين البحرانيّ من هو مذكـورٌ في كتب الرجال، ولكـن عنوانـه لا يناسـب، والأصـحّ غيـره؛ مثـل: إبراهيم بـن أبي بكـر محمّد بـن الربيع، يُكنّـى بأبـي بكر بن أبي السـمال بن سـمعان بن هبيرة بن سـاحق بن بحيـر بن عمير بن أسـامة بـن نصيـر بـن قعين بـن الحراث بن تغلبة بـن داود بن أسـد بن حرثمة.

وقـال متّصـلًا بهـذا العنـوان: «وإبراهيـم بـن أبـي بكـر محمّـد بن عبـد الله النجاشـيّ المعـروف بابـن أبـي السـمال... وهـو المتقـدّم؛ إلّا أنّـه بهذا النسـب أصـحّ»[٦].

ضبط أسماء الرجال:

ضبـط العناويـن، وأسـماء الـرواة، وألقابهـم، وكناهـم، مـن المشـاكل التـي تواجـه المحقّقيـن، ولأهمّيتـه نجـد غيـر واحـدٍ من علماء الرجـال صرفوا همّهم فـي تأليف كتب ورسـائل مسـتقلّة لضبط أسـماء الرواة وألقابهم؛ ومنها: (إيضاح الاشـتباه) للعلّامة الحلّيّ، و(رسـالة فـي ضبـط أسـماء الرجـال)، أو (ضوابط الأسـماء) للشـيخ فخر الديـن الطريحيّ (المتوفّـى سـنة ١٠٨٥هـ) [٧]، و(أضبـط المقـال في ضبط أسـماء الرجال) للشـيخ حسـن زادة الآمليّ.

---

(١) ينظر كتاب من لا يحضره الفقيه: ٦٨.

(٢) ينظر المحيط: ٢٢.

(٣) ينظر المحيط: ٢٢.

(٤) ينظر المحيط: ٢٢.

(٥) ينظر المحيط: ٢٤.

(٦) المحيط: ٤.

(٧) ينظر الذريعة: ١٥/ ١١٩.

ومؤلّف (المحيط) أيضًا أدرك أهمّيته ولم يغفل عنه؛ ففي أكثر الرواة بعد ذكر الأقوال في ترجمة الراوي من حيث الوثاقة والضعف يبادر إلى ضبط اسمه ولقبه.

وفي هذا المجال استفاد من المصادر المختلفة - هي أعمّ من المصادر الرجاليّة وغير الرجاليّة - وأكثر استفادته من كتاب (إيضاح الاشتباه) للعلّامة الحلّيّ، ثمّ رجال ابن داود، وكذلك يأخذ عن المصادر اللغويّة، ومصادر الرجال للعامّة؛ مثل ما قاله في ضبط عنوان إسماعيل بن زياد السكونيّ عن كتاب (مختصر التهذيب): «وفي (مختصر الذهبيّ): ابن زياد. ويُقال: ابن أبي زياد قاضي الموصل»[١]. ومثله في جوذان [٢].

وعن تقريب ابن حجر؛ إذ ينقل عنه في ضبط أسماء: حكيم بن سعد الحنفيّ[٣]، و أحمد بن حرمي السدوسيّ[٤]، أُسامة بن شريك الثعلبيّ[٥]، إسماعيل بن رياح الكوفيّ[٦]، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السديّ[٧]، ثابت بن أسلم البنانيّ القرشيّ تابعيّ سمع أنس[٨]، و..غيرهم.

وبما أنّه كان في شيراز، وقضى شطرًا من عمره الشريف فيها، نجده يضبط بعض الكلمات التي أصلها فارسيّ، ويوضّح معناها؛ مثل: النوبختيّ، وهو بعد أن ينقل كلمات العلّامة في (الإيضاح) من أنّه بضمّ النون وضمِّ الباء، يقول: «والأظهر فتح النون وفتح الباء، ومعناه: جديد البخت»[٩].

(١) المحيط: ٣٣.
(٢) ينظر المحيط: ٥٨.
(٣) ينظر المحيط: ٨٧.
(٤) ينظر المحيط: ٢٧.
(٥) ينظر المحيط: ٢٨.
(٦) ينظر المحيط: ٣٣.
(٧) ينظر المحيط: ٣٣.
(٨) ينظر المحيط: ٤٨.
(٩) المحيط: ٧٤.

ويقولُ أيضًا في ترجمة إسماعيل بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت: «بفتح الباء، وهو أعجميٌّ مركّب من (نو) يعني: جديد؛ أي: جديد البخت، فالذي ينبغي فتح النون والباء، إلّا أنّه قد غُيّر عند التركيب».[١]

ومثل: بهرام جور؛ فإنّه بعد أن ينقلَ عن (الإيضاح) من أنّه بالياء تحتها نقطتان، والجيم المضمومة والراء، أخيرًا يشرح معناه ويقول: «مُعرّب (كور)، ومعناه: حمار الوحش».[٢]

جودة نظره ودقّة فكره:

من أهمِّ الميزات الموجودة في كتاب (المحيط) الإبداعات والتحليلات التي حصل عليها بكثرة التدقيق والمطالعة في النصوص الحديثيّة والرجاليّة؛ ولذا نرى أنّه حينما ينقل عن الرجاليّين أو الفقهاء قولًا غير صحيح يُورد عليه إشكالاتٍ عديدةً؛ مثلًا: ينقل في ترجمة أبان بن عثمان الأحمر البجليّ عن فخر المحقّقين عدمَ قبول روايته؛ لفسقه الناشئ عن عدم الإيمان؛ لأنّه كان ناووسيًا، ثمّ يذكر وجوهًا ثمانية في الردّ على فخر المحقّقين، ويُثبت قبولَ روايته من الوجوه المختلفة التي لم نرَ مثلها في الكتب الرجاليّة.[٣]

وينقل عن ابن شهر آشوب كتابًا للحسن بن خالد بن محمّد البرقيّ باسم (تفسير الإمام العسكريّ)؛ وقال في ردّه وجوهًا ثلاثة، وفصّل فيها[٤]، وعلى حسب اطلاعي القاصر لم يَسبق إلى فهمه أحدٌ من الرجاليّين المعاصرين له.[٥]

ومثل ذلك أورده على (الفهرست) في عنوان: الحسن بن حمزة أبي محمّد

(١) المحيط: ٣٥.

(٢) المحيط: ٨١.

(٣) ينظر المحيط: ٣- ٤.

(٤) ينظر المحيط: ٦٥- ٦٦.

(٥) ينظر بعض الأقوال والآراء في الكتاب المنسوب إلى الحسن بن خالد بن محمّد البرقيّ في أعيان الشيعة: ٥/ ٦٢.

الطبـريّ: «أخبرنـا بجميـع كتبـه ورواياتـه جماعة مـن أصحابنا؛ منهـم: الشـيخ المفيد أبو عبـد اللـه محمّـد بـن محمّـد بن النعمان، والحسـين بـن عبيد اللـه، وأحمد بـن عبدون، عـن أبـي محمّد الحسـن بن حمزة العلويّ، سـماعًا منه وإجازةً في سَـنَةِ سـتّ وخمسـين وثلاثمائـة»[١].

ثـمّ يعيّـنُ متعلّـقَ قوله: «في سـنة سـتّ وخمسـين وثلاث مائـة» فيقـول: « إنّ قوله فـي (الفهرسـت): (فـي سـنةِ سـتّ وخمسـين) متعلّـقٌ بقولـه: (سـماعًا وإجـازةً)؛ وهـو تاريـخُ لقـاءِ شـيوخِنا لـه، كما ذكـره النجاشـيّ، لا بقوله: أخبرنـا، كما توهمـه؛ فإنّ ذلك مـن أظهـرِ الأغـلاط؛ لما ذكر أنّ مولد الشـيخ رحمه الله كان سـنةَ خمسٍ وثمانيـن وثلاثمائة، فكيـف يمكـنُ إخبارُهـم لـه؟!»[٢]. ثـمّ يذكـر بعضًـا مِـن توهُّـمِ أهـلِ الرجال في تفسـير هـذه العبارة.

ومـا مَـرَّ ليـس إلّا كأمثلـة، ويسـتطيع المطالع لهذا الكتـاب والباحث فـي علم الرجال أن يقـف علـى أمثلـةٍ كثيرةٍ أخرى، ويطّلع على ميزاته التـي لا تتوفّر في غير هذا الكتاب.

مصادر المحيط من كتب الشيعة:

إنّ ملاحظـةَ المصـادر التـي يعتمدها كتابٌ ما تُعـدّ أداةً لتقييمه، ومـن المعاييرِ التي تُمكّننـا مـن إعطـاء حكـمٍ فيه، أو بيـان قيمته العلميـة، فهل تكون لهذا الكتـابِ ميزة من هـذا الجانب أم لا؟

فنقـول: بعـد مطالعـة الكتـاب والتركيـز علـى هـذا الجانـب وَقَفنـا علـى أنّ المؤلّـف أكثـرَ مـن مراجعة المصـادر التي اعتمدها، ومـن التحقيق فيها ولمختلـف العلوم، وأجاد الاسـتقراء فيهـا أيضًا.

فهـو فـي علـم الرجـال أخذ عن جميـع الكتـب الموجودة عنـد القدامـى، وأكثر كتب المتأخّريـن مـن الشـيعة، ورمـز للكتـب الكثيـرة المنقولـة منها؛ مثـل (جش) للنجاشـيّ،

(١) الفهرست: ١٠٤/ ١٩٥.

(٢) المحيط: ٦٤.

و(كش) للكشيّ وغيرها، وهذا الأمر متداولٌ بين علماء الرجال المتأخّرين، ويبدو أنّ أوّل من بادر إلى هذا العمل هو ابن داود الحلّيّ في رجاله، وتبعه من تأخّر عنه.

والكتب الرجاليّة الشيعيّة التي نقل عنها، واستفاد منها هي:

١. رجال البرقيّ (المتوفّى سنة ٢٧٤ هـ) رمز له (قي).

٢. رجال ابن الغضائريّ (المتوفّى في القرن الخامس الهجريّ) رمز له (غض).

٣. فهرست النجاشيّ (المتوفّى سنة ٤٥٠هـ) رمز له (جش).

٤. فهرست الشيخ الطوسيّ (المتوفّى سنة ٤٦٠هـ) رمز له (ست).

٥. رجال الشيخ الطوسيّ(المتوفّى سنة ٤٦٠هـ). رمز لأصحاب الرسول ﷺ من كتاب الشيخ (ل)، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام (عب)، وللحسن عليه السلام (سن)، وللحسين عليه السلام (سين)، ولزين العابدين عليه السلام (دين)، وللباقر عليه السلام (قر)، وللصادق عليه السلام (الصدوق)، وللكاظم عليه السلام (ظم)، وللرضا عليه السلام (ضا)، وللجواد عليه السلام (جد)، ولعليّ الهادي عليه السلام (دي)، وللحسن العسكريّ عليه السلام (ري)، ولمن لم يروِ عن أحد من الأئمّة عليهم السلام (لم).

٦. اختيار الرجال للشيخ الطوسيّ(المتوفّى سنة ٤٦٠هـ) رمز له (كش).

٧. معالم العلماء لابن شهر آشوب السرويّ المازندرانيّ (المتوفّى سنة ٥٨٨هـ) رمز له (معا). ونقل عنه المؤلّف في بعض المواضع ما هو متفاوتٌ عن نسختنا من (معالم العلماء)؛ مثل عبارة: «أحمد بن محمّد بن حمزة الطايفانيّ، له (روضة المتهجّد ونزهة المتعبّد)»[١]؛ فإنّها في (المحيط) وردت هكذا: «أحمد بن محمّد بن حمزة الطالقانيّ، له (روضة التهجّد) و(نزهة التعبد) معا»[٢] ومن المحتمل جدًّا أن يكونَ عنده نسخةٌ من (معالم العلماء)، وفيها زوائد على نسختنا.

٨. فهرست الشيعة في الرجال الموجودين في زمن الشيخ ومن بعده، لمنتجب

(١) معالم العلماء: ٦١/ ١٢١.

(٢) المحيط: ٢٢.

الديـن الـرازيّ (المتوفّى سـنة ٥٨٥هـ) رمـز له (عه).

٩. خلاصـة الأقـوال للعلّامـة الحلّـيّ (المتوفّـى سـنة ٧٢٦هــ) رمـز لـه (صـه)، و يسـتفيد منـه كثيـرًا، وينقـل عنـه فـي مواضـع عـدّة، و فـي بعـض المـوارد يستشـكل عليـه، ويُشـير إلـى تهافتاتـه؛ مثـل: مـا نُقـل عنـه فـي الاعتمـاد على أحمـد بـن إسـماعيل بـن عبدالله أبـي عليّ البجلـيّ الذي لم يرد فيـه توثيق ولا مـدح، واستُشـكل عليـه بأنّ هـذا القول إنّما يناسِـبُ من يقـولُ بأصالة العدالة، والعلّامـةُ لا يعتقـد بهـا.[١]

١٠. إيضاح الاشتباه للعلّامة الحلّيّ(المتوفّى سنة ٧٢٦هـ) رمز له (ضح).

١١. رجـال ابـن داود(المتوفّـى سـنة ٧٤٠هــ) رمـز لـه (د)، وبمـا أنّ رجـال ابـن داود لـم يُعتبـر مصـدرًا مسـتقلًّا، بـل ينقـلُ فـي ذيـل عناويـن الـرواة مـا يرتبـط بهـم عـن المصـادر القديمـة فـي الرجـال؛ مثـل: رجـال النجاشـيّ، والرجال، وفهرسـت الطوسـيّ، واختيـار الرجال للكشـيّ وغيرها، لذلك لم ينقل عنـه المؤلّف أيضًا من دون مراجعـة مصـادره، بـل يراجـع مصـادر ابـن داود، وإذا لم يكن فيهـا ما نقله عنها يصـرّح بأنّـه لا يُلتفـت إليـه؛ مثـل ما قال في الحسـين بن الحسـن بـن أبان الـذي نقـل ابـن داود عن الطوسـيّ وثاقتَهُ فـي ذيل ترجمة محمّد بـن أورمة: «أنّه ليـس التوثيـق فـي مصدر ابـن داود ولـم يُلتفـت إليه».[٢]

والشـيخ ياسـين بـن صـلاح الديـن نقـل أكثـر مطالب هـذه الكتـب المرمـوز إليها بتلـك العلامـات، إن لـم نقُـل كلّهـا، ونقَـلَ أيضًـا عـن مصـادر أخـرى فـي مواضـع عديـدة؛ وهي:

(الرواشح السماويّة) للسيّد محمّد باقر بن محمّد ميرداماد (المتوفّى سنة١٠٤١هـ)، ونقـل عنـه في مواضع عـدّة؛ منها؛ في ترجمة إسـماعيل بن أبي زياد السـكونيّ[٣]،

(١) ينظر المحيط:١٣.

(٢) المحيط: ٧٧.

(٣) ينظر المحيط: ٣٣.

والحسين بن أبي العلاء الخفّاف[١]، خالد بن عبدالله بن سدير[٢].

(نقد الرجال) للسيّد مصطفى بن الحسين الحسينيّ الرشتيّ (من أعلام القرن الحادي عشر الهجريّ)، ونقل عنه كثيرًا، ويعبّر عنه بـ(كتاب المصطفى)؛ كما في ترجمة الحسن بن عبد الصمد بن محمّد بن عبيد الله الأشعريّ [٣]، وترجمة الحسين بن عبد ربه[٤].

(حاوي الأقوال في معرفة الرجال) للشيخ عبد النبيّ الجزائريّ (المتوفّى سنة ١٠٢١هـ)، نقل عنه في مواضع عدّة، واستشكل على آرائه الرجاليّة؛ مثل ما قال في داود بن الحصين: «قال في (الحاوي): (لا منافاة بينَ حكم الشيخ بأنّه واقفيّ وبين قول (جش): إنّه ثقة، وإن كان خلاف المتبادر عند الإطلاق). ولا يخفى ما فيه؛ فإنّ الشيءَ إنّما يُحملُ على المتبادر منه، والمعروف من طريقة (جش)، والمعهود من سيرته أنّه لا يُطلقُ التوثيقَ إلّا على العدلِ الإماميِّ، والأظهر أن يُقال: إنّ الواقفيّةَ فيه لم تثبت عنده».[٥]

ويُنظر أيضًا ما قاله في الاعتراض على ما نقله عن (الحاوي) في تفسير عبارة: (كان علوًّا في الوقت)؛ في ترجمة أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزاز المعروف بـ(ابن عبدون)[٦] .

(منهج المقال وتلخيص المقال) للميرزا محمّد بن عليّ بن إبراهيم الأسترآباديّ (المتوفّى سنة ١٠٢٨هـ)، والمؤلّف ينقل عنه كثيرًا، ويعبّر في النقل عنه بـ(الميرزا). وفي كثيرٍ من المواضع لم ينقل فقط، ويستشكل على آرائه؛

(١) ينظر المحيط: ٧٥.

(٢) ينظر المحيط: ٩٥.

(٣) ينظر المحيط: ٦٨.

(٤) ينظر المحيط: ٨٠

(٥) المحيط: ٩٨.

(٦) ينظر المحيط: ٢٠. وينظر أيضًا النقل عن الحاوي في ترجمة الحسين بن الحسن بن أبان. المحيط: ٧٧.

مثل: الإشكالات التي أُوردت في تمييز المشتركات، نحو ما ذكرنا في تمييز المشتركات في كتاب (المحيط)، ومثل الجواب عن الإشكال الذي أورده الميرزا الأسترآباديّ في إبراهيم بن رجا الجحدريّ من التناقض في روايته في وصف العسكريّ عليه السلام وطبقته؛ فقال: «ويمكن الجواب بجواز وصفه له من جهة ما علم من أحواله من آبائه، وإن كان قبل وجودِه، فتأمّل»،[١] ومثل ما استشكل على نقل الأسترآباديّ عن ابن داود في توثيق الحسين بن الحسن بن أبان من أنّه ليس التوثيق في مصدر ابن داود - وهو رجال الطوسيّ- ولم يلتفت إليه.[٢]

مصادره الرجاليّة من العامّة:

مؤلّف (المحيط) لم يقتصر فيه على النقل من المصادر الشيعيّة فحسب، بل أخذ عن مصادر العامّة ممّن فيه ذكر أو نقطة هامّة ومفيدة في أحوال الرواة؛ ومن هذه المصادر:

١- **تقريب ابن حجر:** نقل عنه في توثيق الحارث بن قيس الجعفيّ[٣]، وفي أرقم ابن شرحبيل[٤]، وإسماعيل بن أبان بن إسحاق الورّاق[٥]، وفي ضبط أسماء الرجال وتراجمهم كثيرًا؛ منها: أزداد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله[٦]، وأُسامة بن شريك الثعلبيّ[٧]، وإسماعيل بن أبي زياد السكونيّ[٨]، وإسماعيل بن

(١) المحيط: ٥.
(٢) ينظر المحيط: ٧٧.
(٣) ينظر المحيط: ٦٠.
(٤) ينظر المحيط: ٢٨.
(٥) ينظر المحيط: ٣٢.
(٦) ينظر المحيط: ٢٨.
(٧) ينظر المحيط: ٢٩.
(٨) ينظر المحيط: ٣٣.

أبي فديك[١]، وإسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب[٢]، وبكر بن خنيس[٣]، وتَلِيْد بن سليمان أبو إدريس المحاربيّ.[٤]

٢- **مختصر التهذيب:** وينقل عنه لضبط أسماء الرجال؛ مثل إسماعيل بن أبي زياد السكونيّ؛ إذ يقول: «وفي مختصر الذهبيّ ابن زياد، ويُقال بن أبي زياد قاضي الموصل».[٤] وفي تراجم الرواة؛ مثل: ثابت بن أسلم البنانيّ القرشيّ[٦]، وثعلبة بن صغير أبو عبدالله[٧]، وحبيب بن أرطاة النخعيّ[٨] وغيرهم.

الكتب الحديثيّة:

اعتنى المؤلّف كثيرًا بالرجوع إلى الكتب الحديثيّة، واستفاد من أكثر كتب المتقدّمين الحديثيّة؛ ومنها:

١. **(الغيبة)** لابن أبي زينب النعمانيّ (المتوفّى سنة ٣٨٠هـ)؛ إذ ذكر توثيقه لابن عقدة الكوفيّ في ترجمته، ونقل عنه: «هذا الرجل ممّا لا يطعن عليه في الثقة».[٩]

٢. **(عيون أخبار الرضا**عليه السلام**)** لمحمّد بن عليّ بن بابويه(المتوفّى سنة ٣٨١هـ)[١٠].

---

(١) ينظر المحيط: ٣٣.
(٢) ينظر المحيط: ٣٥.
(٣) ينظر المحيط: ٤٦.
(٤) ينظر المحيط: ٤٨.
(٤) المحيط: ٣٣.
(٦) ينظر المحيط: ٤٨.
(٧) ينظر المحيط: ٤٩.
(٨) ينظر المحيط: ٦١.
(٩) المحيط: ٢٣.
(١٠) المحيط: ٢٣، ١٢٥- ١٢٦.

٣. **(الأمالي)**[١] لمحمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ (المتوفّى سنة ٣٨١هـ)، أخذ عنه في الرجال الذين لم يرد ذكرٌ لهم في المصادر الرجاليّة؛ مثل: أحمد بن الصقر الصائغ.[٢]

٤. **(الخصال)** لمحمّد بن عليّ بن بابويه (المتوفّى سنة ٣٨١هـ)[٣].

٥. **(علل الشرائع)** لمحمّد بن عليّ بن بابويه (المتوفّى سنة ٣٨١هـ) [٤].

٦. **(إكمال الدين وإتمام النعمة)** لمحمّد بن عليّ بن بابويه (المتوفّى سنة ٣٨١هـ)[٥].

وفي بعض الموارد يراجع لأخذ عنوان الراوي الذي لم يُذكر في الكتب الرجاليّة؛ مثل: أحمد بن محمّد بن إسحاق الدينوريّ الذي صرّح في (كمال الدين وإتمام النعمة) بأنّه من أصحاب الحديث.[٦]

٧. **(تهذيب الأحكام)** للشيخ محمّد بن جعفر بن الحسن الطوسيّ (المتوفّى سنة٤٦٠هـ)، وقد أكثر الشيخ ياسين بن صلاح الدين النقل عنه في (المحيط)، وذكر أحاديثه وأسنادَه في كثيرٍ من تراجم الرواة[٧]. و يعنون رجالاً ليس لهم

---

(١) ينظر المحيط: نقل عن (الحسن بن عليّ بن أبي عثمان): ٦٩، (أحمد بن إسحاق المازرانيّ): ١٤، (أحمد بن الحسن بن أحمد النيسابوريّ الخزاعيّ): ١٥، ١٧، ٢٩.

(٢) ينظر المحيط: ١٧. بحسب اطلاعنا لم يُعَنْون (أحمد بن الصقر) أحدٌ قبلَ الشيخ ياسين بن صلاح الدين، بل ذكره بعده أبو عليّ الحائريّ في (منتهى المقال في أحوال الرجال): ١/ ٣٢٩. ونقل عنه السيّد عليّ البروجرديّ في (طرائف المقال): ١/ ١٥٩.

(٣) ينظر المحيط: ٢٩،٣٨، ٥٢.

(٤) ينظر المحيط: (أحمد بن إسحاق المازرانيّ): ١٤.

(٥) ينظر المحيط: (إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ): ٢٩، (حيان بن السرّاج) ٩٣، (سعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعريّ القمّيّ): ١١٧.

(٦) ينظر: المحيط: ٢٢، كمال الدين وتمام النعمة: ٦٨.

(٧) ينظر المحيط: (إبراهيم بن عثمان): ٨، (أحمد بن الحسين بن عبد الملك): ١٦، (أحمد بن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد): ٢٢، (أحمد بن محمّد بن الربيع الأقرع الكنديّ): ٢٣، (أحمد بن محمّد بن عيسى بن عبدالله بن سعد بن مالك بن الأحوص بن السائب بن مالك بن عامر

ذكر في كتب الرجال، وإنّما هو أخذها عن (التهذيب) فحسب؛ مثل: سلم مولى عليّ بن يقطين.[١]

٨. **(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار)** للشيخ محمّد بن جعفر بن الحسن الطوسيّ (المتوفّى سنة ٤٦٠هـ)، نقل عنه في موضعٍ واحد؛ في ترجمة زكار بن الحسن الدينوريّ[٢].

٩. **(منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان)** للشيخ حسن بن زين الدين العامليّ (المتوفّى سنة ١٠١٠هـ)، وحيث أنّ للشيخ حسن العامليّ تحليلات عديدة وإبداعات كثيرة في علم الرجال لم يُسبق إلى فهمها وذكرها غيره، وجاء أكثرها في كتابه (منتقى الجمان)؛ لذلك نقل عنه من كتابه هذا في (المحيط) كثيرًا من آرائه الرجاليّة[٣]، وفي بعض الموارد يُورد عليه بعض الإشكالات؛ مثل ما استشكل عليه بأنّ الوكالة لا تقتضي الوثاقة، في ترجمة حسين بن عبد ربه.[٤]

مصادره الكلاميّة:

إنّ بعض المصطلحات المذكورة في كتب الرجال مصطلحات كلاميّة وعقائديّة،

الأشعر): ٢٥، (إسماعيل بن إسحاق بن أبان الورّاق): ٣٣، (إسماعيل بن عبد الله البجليّ): ٣٥، (بكر بن محمّد الأزديّ): ٤٦، (بُنَان بن محمّد بن عيسى): ٤٧، (الجراح المدائنيّ): ٥٢، (جرير بن عبد الله)، (جعفر بن إبراهيم الجعفريّ الهاشميّ المدنيّ) ٥٣، (جعفر بن أحمد بن أيّوب السمرقنديّ)، (جعفر بن محمّد بن يونس الأحول الصيرفيّ) ٥٦، (حبيب بن المعلل المدائنيّ الخثعميّ) ٦١، (حرّ بن الحسن الطحّان) ٦٣ ، (حريز بن عبد الله السجستانيّ): ٦٣، (الحسن بن حمّاد بن عديس): ٦٩،(سلم مولى عليّ بن يقطين): ١٢٣.

(١) ينظر المحيط: ١٢٣. وعَنونه أيضًا معاصره الملاّ محمّد عليّ الأردبيليّ في (جامع الرواة): ١/ ٣٧١، ولا نعرف أيّهما المُقدّم في ذكره.

(٢) ينظر المحيط: ١٠٧.

(٣) ينظر المحيط: (جميل بن صالح الأسديّ): ٥٨، (الحسن بن عليّ بن يقطين بن موسى): ٧٢، (الحسين بن عبد ربّه): ٨٠، (حمّاد بن عثمان ذو الناب): ٨٩.

(٤) ينظر المحيط: ٨٠.

وللوقوف على معانيها ينبغي مراجعة الكتب الكلاميّة وكتب الفِرق والنظر فيها؛ ومن جملة هذه المصطلحات: (الغلو)، و(الغليانيّة)، و(التفويض)، و(الناووسيّة)، و(البتريّة) وغيرها.

ولهذا لم يغفل الشيخ ياسين بن صلاح الدين عن هذه المصادر وأهميّتها، وقام بمراجعتها لتوضيح المصطلحات الكلاميّة في كثيرٍ من الموارد .

وعلى سبيل المثال: حينما يذكر ترجمة آدم بن محمّد القلانسيّ بقوله: «قيل: إنّه كان يقول بالتفويض» يُفسّر معنى: التفويض من (**شرح المواقف**) ويقول: «والمفوّضة على ما في (شرح المواقف) قوم قالوا: إنّ الله خلق محمّدًا وفوّض إليه خلقَ الدنيا، فهو الخلاف لما فيها. وقيل: فوّض ذلك إلى عليّ عليه السلام»[١].

مصادره اللغويّة:

أفاد المؤلّف من المصادر اللغويّة في تراجم الرواة وضبط أسمائهم؛ مثل:

١- (**الصحاح**) لإسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (المتوفّى سنة ٣٩٣هـ)، نقل عنه في ضبط أسماء الرواة؛ مثل ما نقل عنه في ترجمة الحصين بن المنذر، ونقل عنه في ضبط وتفسير أسماء القبائل؛ مثل ما نقل في ترجمة أبان بن عبد الملك الثقفيّ: «وثقيف كأمير: أبو قبيلة من هوازن، وهو ثقفيّ محرّكة قال في الصحاح»[٢].

٢- (**القاموس المحيط**) للفيروز آباديّ (المتوفّى سنة ٨١٧هـ)، أكثرَ المؤلّفُ النقل عنه في تراجم كثيرٍ من الرواة، فينقل عنه في ضبط أسماء الرواة؛ مثل ما في الحسين الأرّجانيّ[٣] وآخرين، وينقل عنه أيضًا في تفسير أسماء القبائل؛ كما

---

(١) المحيط: ٢.

(٢) المحيط: ٨٤. وينظر الصحاح: ٤/ ١٣٣٤ (ثقف).

(٣) ينظر المحيط: ٧٦-٧٧، والقاموس المحيط: ١/ ١٩٠ (الرج).

في الحسين بن نوف الناغطيّ[١]، والحصن بن جندب[٢]

٣- (**مجمع البحرين**) للطريحيّ (المتوفّى سنة ١٠٨٥هـ)، أفاد منه في شرح الروايات الواردة في الرواة؛ مثل ما ورد في ترجمة أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ: «.. لقد حدّثني به قبل الحيرة بعشر سنين ...قال في مجمع البحرين: «أي: قبل الغيبة؛ يعني: غيبة الإمام عليه السلام أو موت العسكريّ»[٣].

مصادره الفقهيّة:

يأخذ مؤلّف (المحيط) آراء الفقهاء في توثيق الرجال وتضعيفهم وأدلّتهم على التوثيق والتضعيف من مصادرهم الفقهيّة، وينقل عن مصادر عدّة ليس هنا مجال ذكرها كلّها، ونذكر بعضًا من التي أكثر عنها في النقل؛ وهي:

١. (**المعتبر**) للمحقّق الحلّيّ (المتوفّى سنة ٦٧٦هـ)؛ ينقل عنه في كثيرٍ من المواضع؛ منها ما في ترجمة أبان بن عثمان الأحمر البجليّ: «فقال المحقّق في (المعتبر) في صلاة الجنازة، وفي أوصاف المستحقّين من الزكاة، وفي الشرائع في الحدود، أنّ في أبان ضعفًا. وقال العلّامة في لف: إنّه ناووسيّ[٤]»[٥].

٢. (**منتهى المطلب**) للعلّامة الحلّيّ (المتوفّى سنة ٧٢٦هـ) ينقل عنه في عدّة مواضع؛ منها ما في ترجمة إسحاق بن جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجليّ[٦]، والحسن بن عليّ بن النعمان[٧]، و الحسين بن أبي العلا الخفّاف[٨].

---

(١) ينظر: المحيط: ٨٤، والقاموس المحيط: ٣٨٩/٢ (نعط).

(٢) ينظر المحيط: ٨٥، والقاموس المحيط: ٤٩/١ (جنب).

(٣) المحيط: ٢٣، و ينظر مجمع البحرين: ٢٨١/٣ (حير).

(٤) مختلف الشيعة: ٣/ ١٤٣.

(٥) المحيط: ٢.

(٦) ينظر المحيط: ٣٠.

(٧) ينظر المحيط: ٧٢.

(٨) ينظر المحيط: ٧٥.

٣. (**غاية المراد في شرح نكت الإرشاد**) للشهيد الأول (المتوفّى سنة ٧٨٦هـ)؛ مثل ما ينقل عنه في ترجمة خليد بن أوفى أبي الربيع الشاميّ العنزيّ[١].

٤. (**مسالك الأفهام**) لزين الدين الجبعيّ العامليّ الشهيد الثاني(المتوفّى سنة ٩٦٥هـ)؛ مثل ما ينقل عنه في أبان بن عثمان الأحمر البجليّ[٢]، و ما ينقل عنه في ترجمة خليد بن أوفى أبي الربيع الشاميّ العنزيّ[٣].

٥. (**الحبل المتين في إحكام أحكام الدين**) للشيخ البهائيّ (المتوفّى سنة ١٠٣٠هـ)؛ مثل ما ينقل عنه في الحسن بن عليّ بن النعمان[٤]، وينقل عنه في ترجمة أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار[٥].

٦. (**مدارك الأحكام**) للسيّد محمّد الموسويّ العامليّ (المتوفّى سنة ١٠٠٩هـ)؛ مثل ما نقل عنه في ترجمة بُنَان بن محمّد بن عيسى[٦]، ونقل عنه في ترجمة أحمد بن محمد بن يحيى العطّار[٧].

وكثيرًا ما يستشكل على ما ينقل من الفقهاء من النصوص؛ لما فيها من التناقض، والسهو، وغيرهما، وذلك بعد ما ينقل الآراء الرجاليّة للفقهاء من كتبهم الفقهيّة؛ نحو ما نقل عن (مدارك الأحكام) للسيّد محمّد العامليّ (المتوفّى ١٠٠٩هـ)، و(الحبل المتين) للشيخ البهائيّ (المتوفّى سنة ١٠٣٠) في ترجمة أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار؛ حيث ضعّفاه في هذين الكتابين، واستشكل عليهما بقوله: «فلا يُلتفت إلى ما ذكره في (المدارك) في مبحث الكرّ، وتبعه عليه البهائيّ في (الحبل) من أنّه مجهول»[٨].

(١) ينظر المحيط: ٩٧ .
(٢) ينظر المحيط: ٢.
(٣) ينظر المحيط: ٩٧ .
(٤) ينظر المحيط ٧٢.
(٥) ينظر المحيط: ٢٦ .
(٦) ينظر المحيط: ٤٧ .
(٧) ينظر المحيط: ٢٦ .
(٨) المحيط: ٢٦.

شروح الكتب الحديثيّة:

١- **(استقصاء الاعتبار في شرح الاستبصار)** للشيخ محمّد بن الحسن (المتوفّى سنة ١٠٣٠هـ)، ينقل عنه الشيخ ياسين، ويستشكل عليه في بعض الموارد؛ مثل ما نقل عن الشيخ محمّد بن الحسن في (شرح الاستبصار) في ترجمة ابن عبدون: «قال الشيخ محمّد بن الحسن في (شرح الاستبصار): عدم ذكر التوثيق له -على ما فهمتُه من الوالد قدّس سرّه- إنّما هو لأنّ عادةَ المصنّفين في الرجال عدمُ توثيقِ شيوخِهم.

وأقول: فيه نظرٌ؛ لأنّ الشيخ والنجاشيّ صرَّحا بتوثيقِ شيخهما المفيد، والنجاشيّ شيخه أحمد بن عليّ بن نوح، بل صرّح الشيخ بتوثيق تلميذه تقيّ بن نجم، كما ستسمع»[١].

٢- **(حاشية الشيخ البهائيّ على كتاب (من لا يحضره الفقيه)**؛ مثل ما نقل عنه في ترجمة أحمد بن محمّد بن الحسن بن وليد.[٢]

مصادر أخرى:

١- **(طبقات الشعراء)** لعبد الله بن محمّد ابن المعتزّ العباسيّ (المتوفّى سنة ٢٩٦هـ)؛ نقل عنه في تراجم عدّة رجال؛ مثل: إسماعيل بن محمّد الحميري[٣].

٢- **(ربيع الأبرار)** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (المتوفّى سنة ٥٣٨هـ)؛ نقل عنه في ترجمة خزيمة بن ثابت الأنصاريّ[٤].

(١) المحيط: ٢٠.

(٢) ينظر المحيط: ٢٢.

(٣) ينظر المحيط: ٣٧.

(٤) ينظر المحيط: ٩٦.

الخاتمة: نتائج البحث

وفي الختام نقول: يظهر ممّا مرّ أنّ الشيخ ياسين بن صلاح الدين البلاديّ البحرانيّ من أعلامِ القرن الثاني عشر، اعتنى بعلم الرجال، وصرف همّته في المطالعة، والتدقيق في مباحث هذا العلم، وحصل على فوائد جمّة، وإبداعات لم يسبق إليها غيره.

وألّف كتابين في الرجال هما: كتاب (معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه)، و(المحيط).

وبما أنّ بناءَ المصنّف في (معين النبيه) على الاختصار لذلك لم يُبيّن كلّ ما حصل عليه؛ فألّف كتاب (المحيط)، وذكر فيه مطالبه بشكلٍ تفصيليّ.

فكتاب (المحيط) لا ينحصر في ذكر العناوين، والنصوص الرجاليّة، ونقل الآراء؛ فإنّه - وإن كان في جمعها وتأليفها أيضًا فوائد-، إلّا أنّ المؤلّف لم يقتصر عليها، بل سعى، واجتهد، وأضاف فوائد أخرى لن يقف عليها الباحث الرجاليّ بدون مراجعتها.

ومن أهمّ هذه الفوائد جمعُ القرائنِ والشواهد في إثبات الوثاقة، أو ضعف الرواة، علاوة على النصوص الرجاليّة والتحقيقات المذكورة في كتب من تقدّم عليه؛ فهو وإن كان قد استفاد ممّن تقدّم عليه، إلّا أنّه يذكرُ كثيرًا المشاكل والمعاضل التي وردت في كلامهم ويسعى في حلّها.

وبما أنّ ذكر طبقات الرواة وملاحظتها هامٌّ جدًّا، وله سهم كبير في حلّ المعاضل الرجاليّة، لذلك لم يغفل عنها المؤلّف في (المحيط)، وعيّنها في كلّ ما له دخلٌ في التحقيق الرجاليّ. وعيّن أيضًا الأسماء المشتركة التي بدون تعيينها يصعب على الفقيه تمييز من يثق به ويركن إليه، ومن يردّ روايته.

من الميزات الأخرى لهذا الكتاب الشريف تفسير عبارات أهل الرجال وتبيينها، وضبط أسماء الرجال، مَعَ دقّته في المباحث الّتي لا يقدر على فهمها إلّا مَن أكثر في

مطالعتها وأجاد النظر فيها.

وعلى هذا نقول: إنّ (كتاب) المحيط للشيخ ياسين البحرانيّ في علم الرجال من المؤلّفات التي لا يستطيع الباحث الرجاليّ في تحقيقاته أن يغضَّ النظر عنه، ولا بدّ له أن يراجعه، وينظر في إبداعاته وتحليلاته.

ملحق بالبحث

صور أولى نسخة كتاب
المحيط وآخرها

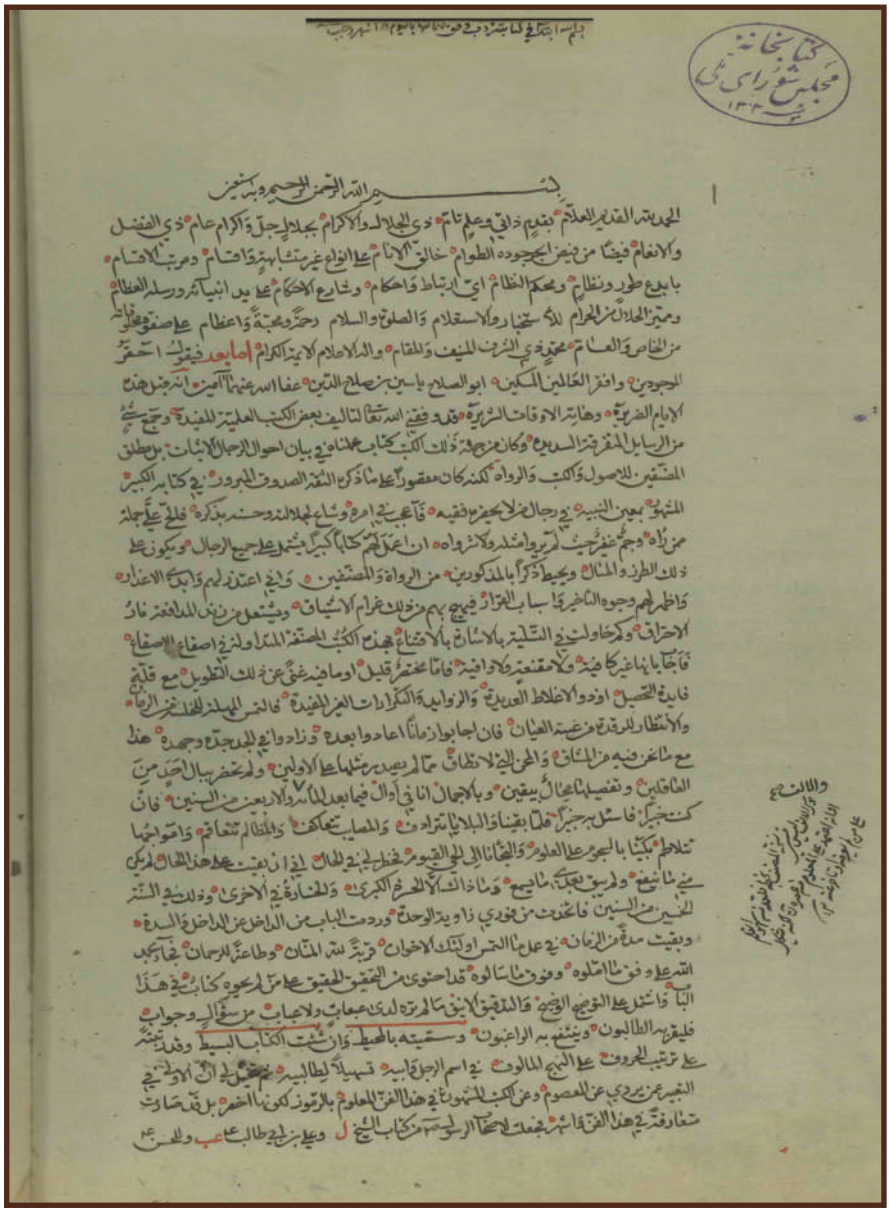

صورة أول نسخة كتاب (المحيط)

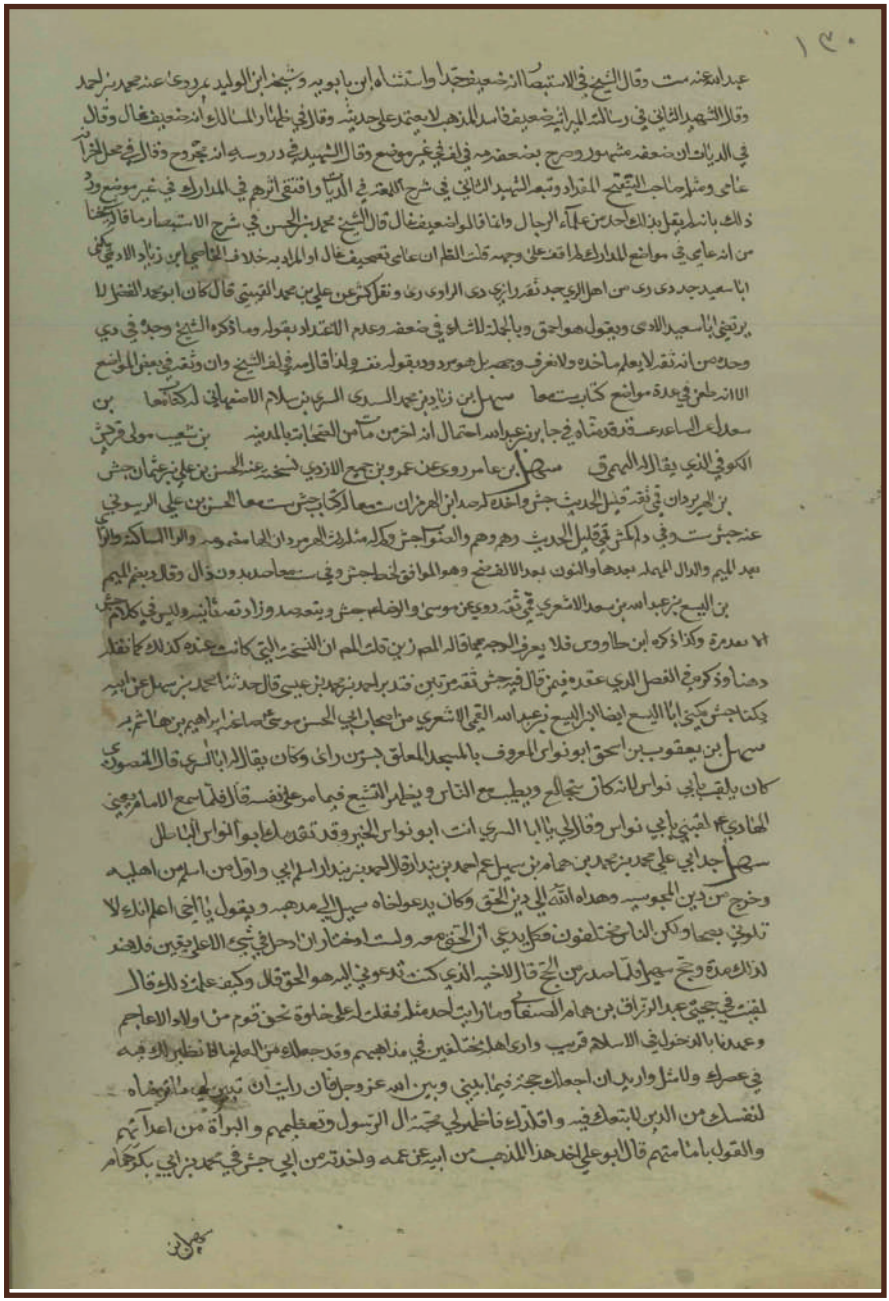

صورة آخر نسخة كتاب (المحيط)

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطة

١. المحيط: الشيخ ياسين بن صلاح الدين البلاديّ البحرانيّ (من أعلام القرن الثاني عشر الهجريّ)، المخطوط المحفوظ في مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ بطهران.

ثانياً: المطبوعة

٢. اختيار الرجال: الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ، تحقيق: السيّد مهدي الرجائيّ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤هـ.

٣. أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين(ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٤. أنوار البدرين: الشيخ عليّ البحرانيّ (ت١٣٤٠هـ)، تحقيق: محمّد عليّ محمّد رضا الطبسيّ، مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٧هـ.

٥. تراجم الرجال: السيّد أحمد الحسينيّ الأشكوريّ، مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤١٤هـ.

٦. تعليقة على منهج المقال: محمّد باقر الوحيد البهبهانيّ(ت ١٢٠٥هـ). طبعة قديمة.

٧. دوازده رساله فقهى درباره نماز جمعه از روزگار صفوى: رسول جعفريان، انصاريان، قم، ١٤٢٣هـ.

٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ(ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٩. رجال ابن داود: تقي الدين الحسن بن عليّ بن داود الحلّيّ، (ت بعد ٧٠٧هـ)، تحقيق: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم، منشورات مطبعة الحيدريّة،١٣٩٢هـ.

١٠. رسائل آل طوق القطيفيّ: الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح القطيفيّ (ت١٢٤٥هـ)، تحقيق ونشر: شركة دار المصطفى (صلى الله عليه وآله) لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١١. الرسائل الرجاليّة: أبو المعالي محمّد بن محمّد إبراهيم الكلباسيّ(ت١٣١٥هـ)، تحقيق: محمّد حسين الدرايتيّ، دار الحديث، قم، ١٤٢٢هـ.

١٢. سماء المقال في أحوال الرجال: أبو الهدى الكلباسيّ(ت ١٣٥٦هـ)، تحقيق: السيّد محمّد الحسينيّ القزوينيّ، مؤسسة وليّ العصر للدراسات الإسلاميّة، قمّ المقدّسة.

١٣. الفهرست: أبو جعفر محمّد بن حسن الطوسيّ(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيوميّ، مؤسسة نشر الفقاهة، قمّ.

١٤. الفوائد الرجاليّة: محمّد باقر الوحيد البهبهانيّ (ت ١٢٠٥هـ)، طبعة قديمة.

١٥. كتاب من لا يحضره الفقيه: الشيخ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ المعروف بـ(الصدوق) (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، قمّ.

١٦. مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين(ت ١٣٩٩هـ)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٧. معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ، (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٨. معجم رجال الحديث: السيّد أبو القاسم الخوئيّ(ت ١٤١٣هـ)، ط٥، ١٤١٣هـ.

١٩. معين النبيه في بيان رجال من لا يحضره الفقيه: الشيخ ياسين بن صلاح الدين البلاديّ البحرانيّ (من أعلام القرن الثاني عشر الهجريّ)، تحقيق: محمّد عيسى آل مكباس، المحقّق، ١٤٢٢هـ.

٢٠. مفاتيح الأصول: السيّد محمّد الطباطبائيّ الحائريّ (ت١٢٤٢هـ). طبعة قديمة.

٢١. منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان: الحسن بن زين الدين العامليّ الشهيد الثاني (ت ١٠١١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٠٦هـ.

٢٢. منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان: الحسن بن زين الدين العامليّ الشهيد الثاني (ت ١٠١١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، جامعة المدرسين في الحوزة العلميّة بقمّ المشرّفة، ١٣٦٢ش.

٢٣. منتهى المقال في أحوال الرجال: الشيخ محمّد بن إسماعيل المازندرانيّ الحائريّ (ت ١٢١٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٦هـ.

٢٤. موسوعة طبقات الفقهاء: اللجنة العلميّة في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إشراف: العلّامة الفقيه جعفر السبحانيّ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قمّ، ١٤١٨هـ.

٢٥. موسوعة علوم اللغة العربية: إعداد: الأستاذ الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثالثاً: المجلات والدوريات

٢٦. إجازة السماهيجيّ للشيخ ياسين البلاديّ: عبد الله بن صالح السماهيجيّ البحرانيّ (ت١١٣٥هـ)، تعليق: العلّامة السيّد محمّد صادق بحر العلوم (ت١٣٩٩هـ)، تحقيق: محمّد كاظم المحموديّ، مجلّة كتاب شيعة، العددان ٧و٨/١٣٩٢هـ.ش، صفحات: ٥٥٧-٦١٠.

السيّـد عـليّ نقي النّقويّ وجُهوده المَبذولة في حِفظ التّراث نَسخًا، ومُقابلةً، وتَرجمة

Al-Sayed Ali Naqi ~ Al-Naqwi's efforts in preserving scientific heritage (Copying, Collating, and Translating)

منيف فيّاض

مركز إحياء التراث- العتبة العباسيّة المقدّسة

العراق

Muneef Fayadh

Heritage Revival Center - Al- Abbas Holy Shrine

Iraq

الملخّص

كان لحِفظ التراث العلميّ وإحيائه أهميةٌ بالغةٌ؛ تمثلت في دوره الفاعل في نشوء الحضارات وقيام الأُمم؛ إذ إنّ تراث كلّ أُمّةٍ هو هويتها الشخصيّة، وموروثها العلميّ والفكريّ والأدبيّ، الذي منه تستمد قوّتها على الصعيد المعنويّ، فهو رابط لحاضرها بماضيها، ومصدر قوتها في المستقبل، كما أنّ بحِفظه إحياء لآثار الأنبياء والأوصياء والحكماء، واقتطافًا لثمرةِ أفكارِ العلماءِ والفقهاءِ والمفكّرين والأدباء.

ومن الصور الأولى المهمّة لحِفظ هذا التراث الأصيل: النَّسْخ، والمُقابلة، والتّرجمة؛ إذ إنّ لكلّ واحدة منها دورًا مهمًّا في إحيائه والمحافظة عليه.

هذا، وكان لعلماء الشيعة الإماميّة الدور البارز في حِفظ التراث العلميّ لأسلافهم رضي الله عنهم؛ ففي كلّ قرنٍ تقوم منهم طائفة، تنهض بأعباء العِلم وأمور والدين، فتُشمّر عن ساعد الجدّ مسطّرةً أقلامهم أسفارًا من العِلم نسخًا، ونشرًا، وشرحًا، وترجمةً، وتلخيصًا، ونقدًا، وتعليقًا على ما جادت به يراع عُلماء السلف في العلوم المختلفة.

فبَرز من جملة أولئك الأعلام في القرن الرابع عشر الهجريّ، العالم الفقيه، والأديب الخطيب، السيّد عليّ نقيّ النقويّ اللكهنويّ الهنديّ(ت١٤٠٨هـ)؛ إذ يعدّ رحمه الله أنموذجًا من جهابذة العلماء المجدّين في حِفظ التراث الإسلاميّ ونشره.

وها نحن نُسلّط الضوء في هذا البحث على موجَزٍ من سيرته، وما قام به مِن إنجازاتٍ في مجال النَّسْخ، والمُقابلة، والتّرجمة للكتب والرسائل العلميّة، فجاء بحثنا في ثلاثة مباحث وخاتمة، كالآتي:

١- المبحث الأوّل: سيرة السيّد عليّ نقيّ النقويّ في سطور.

٢- المبحث الثاني: النَّسْخ، والمُقابلة، والتّرجمة، في اللغة والاصطلاح.

٣- المبحث الثالث: الجُهود المبذولة للسّيد النقويّ في النَّسْخ، والمُقابلة، والتَّرجمة.

٤- الخاتمة: وفيها أهمّ ما توصّل إليه الباحث من نتائج.

كما قُمنا بوضع فهارس في آخر البحث للمصادر والمراجع، والمواضيع.

Abstract

Preserving and reviving scientific heritage is of great importance, as it plays an effective role in the emergence of civilizations and the rise of nations. This goes back to the fact that every nation's heritage is its personal identity, and its scientific, intellectual and literary legacy, from which it derives its strength at the moral level. Verily, it is a link between its present and past, and the source of its future strength. By preserving them the knowledge of the prophets, guardians, wise men, and the ideas of scholars, jurists and intellectuals are preserved.

Among the important steps in preserving such significant heritage is by copying, collating, and translating, as each of them has an important role in its revival and preservation.

The scholars of the Shia school of thought have a prominent role in preserving the scientific heritage of their lineages. In every generation, a sect rises from them, carrying the burdens of science and religion matters, and dedicating their lives in coping, publishing, explaining, translating, summarizing, criticizing, and commenting on various sciences passed down to them.

Among those prominent figures in the fourteenth century AH, was the scholar and writer Al-Khatib Al-Sayed Ali Naqi Al-Naqawi Al-Hindi (d.1408 AH). He stood out from among those figures in the fourteenth century AH, as he is considered to be an example among the pious scholars in preserving and distributing the Islamic heritage.

We shed light in this research on a summary of his biography, and his achievements in the field of copying, collating, and translating books and scientific studies. Our research came in three topics and a conclusion, as follows:

1- The first topic: The biography of Al-Sayed Ali Naqi al-Naqwi in brief.

2- The second topic: copying, interviewing, and translation, in the Arabic language and the meaning of the term.

3- The third topic: the efforts made by Al-Sayed Al-Naqwi in copying, collating, and translating.

I have also added indexes at the end of the search for sources, references, and topics.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيّبين الطاهرين المعصومين، وبعد:

فإنّ لحِفظ التراث العلميّ وإحيائه أهميةً بالغةً؛ وذلك عبر دوره الفاعل في تأسيس الحضارات واستنهاض الأمم؛ لأنّ تراث كلّ أمّة هو هُويتها الشخصيّة، وموروثها العلميّ والفكريّ والأدبيّ الذي منه تستمد قوّتها على الصعيد المعنويّ؛ فهو رابط لحاضرها بماضيها، ومصدر قوتها في المستقبل، كما أنّ بحِفظه إحياء لآثار الأنبياء والأوصياء والحكماء، واقتطافًا لثمرةِ أفكارِ العلماءِ، والفقهاءِ، والمفكّرين، والأدباء.

وكان لعلماء الشيعة الإماميّة الدور البارز في حِفظ التراث العلميّ لأسلافهم رضي الله عنهم؛ ففي كلّ قرنٍ تقوم منهم طائفة، تنهض بأعباء العِلم والدين، فتُشمّر عن ساعد الجدّ مسطّرة أقلامهم أسفارًا من العِلم نسخًا، ونشرًا، وشرحًا، وترجمةً، وتلخيصًا، ونقدًا، وتعليقًا على ما جادت به يراع عُلماء السلف في العلوم المختلفة، منتهجين في ذلك سبيل مَن سبقهم مِن القدماء في إحياء تراث مَن سبقوهم.

وإنّ مِن صور حِفظ هذا التراث الأصيل النَّسْخَ، والمُقابلةَ، والتّرجمةَ؛ إذ لكلّ واحدة منها دورٌ مهمٌّ في إحيائه- المتمثّل بالكتب والرسائل في مختلف فنون العلم- والمحافظة عليه.

هذا، وسنتعرّف في بحثنا هذا على أحدى الشخصيّات العلميّة مِن علماء الإماميّة في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجريّ، مسلّطين الضوء على ما قامت به مِن إنجازاتٍ في مجال النَّسْخ، والمُقابلة، والتّرجمة للكتب والرسائل العلميّة، ألا وهو العالم الفقيه، والأديب الخطيب، السيّد عليّ نقي النقويّ اللكهنويّ الهنديّ(ت١٤٠٨هـ)، من

جهابـذة العلمـاء المجدّيـن؛ إذ يُعدّ رحمه الله أنموذجًا يُحتذى في حِفظ التراث الإسـلاميّ.

هذا، وقد قُمنا بتقسيم بحثنا إلى ثلاثة مباحث وخاتمة، كالآتي:

المبحث الأوّل: سيرة السيّد عليّ نقي النقويّ في سطور.

المبحث الثاني: النَّسْخ، والمُقابلة، والتّرجمة، في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: الجُهود المبذولة للسّيد النقويَ في النَّسْخ، والمُقابلة، والتَّرجمة.

الخاتمـة: وتـمّ التوصّـل فيها إلى جملة من النتائج عن شـخصيّة السـيّد النقويّ وتراثه العلمـيّ وجهوده في نسـخ التراث ومقابلته.

كما قُمنا بوضع فهارس في آخر البحث للمصادر والمراجع، والمواضيع.

هـذا، ونشـير إلـى أنّ الـذي سـطّرناه ليـس على نحـو الكمـال؛ إذ لعلّ هناك مـا فاتنا ذكره ولم يحضــرنا، إلّا أنّ الميسور لا يَسقط بالمعسور، سائلين من الله تعالى التوفيق، ببركـة النبيّ وآلـه الطاهرين، والحمد للـه ربِّ العالمين.

المبحث الأوّل
سيرة السيّد النقويّ في سطور

اسمه ونسبه:

هو السيّد عليّ نقي ابن مُمتاز العلماء الثاني السيّد أبي الحسن- عليّ الهادي- ابن سيّد العلماء الثاني السيّد محمّد إبراهيم ابن مُمتاز العلماء السيّد محمّد تقيّ ابن سيّد العلماء السيّد حسين ابن العلّامة المجتهد الكبير السيّد دلدار عليّ بن محمّد معين بن عبد الهادي بن إبراهيم بن طالب بن مصطفى بن محمود بن إبراهيم بن جلال الدين بن زكريا بن جعفر بن تاج الدين بن نصير الدين ابن عليم الدين بن عَلم الدين بن شرف الدين بن نجم الدين بن عليّ بن أبي عليّ بن أبي يعلى محمّد بن أبي طالب حمزة بن محمّد بن الطاهر بن جعفر - ويُدعى(أبا كُرَّين)[1] - ابن الإمام عليّ النقيّ الهادي عليه السلام[2].

فنسبه ينتهي بثمانٍ وعشرين واسطة إلى الإمام الهمام عليّ النقيّ الهادي عليه السلام.

ألقابه:

أُشتهر السيّد عليّ نقي النقويّ رحمه الله بِعدّة ألقاب؛ منها: (النقويّ) نسبة إلى جدّه

(١) في عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب: ابن عِنبة: ٢/ ٣٣ هامش١ مانصّه: «دُعي بـ(أبي كُرَّين) لأنّ الكُر- بالضمّ- مكيالٌ لأهل العراق، وهو عندهم ستّون قفيزًا؛ فـ(كُرّين) مائة وعشرون قفيزًا بعدد أولاده».

(٢) ينظر: عمدة الطالب: ٢/ ٣٣، أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٣٢١/٢رقم ١٤٣٢، مصفى المقال: آغا بزرك الطهرانيّ: ٣٤٣، السيرة الذاتيّة للسيّد المترجَم له (خ): ٢.

الأعلى الإمام عليّ بن محمّد الهادي النقي عليهما السلام، ومنها: (سيّد العلماء)؛ لقبّه بهذا اللّقب والده السيّد أبو الحسن النقويّ رحمه الله[١]؛ لنبوغه وغزارة عِلمه؛ إذ كان مُتميّزًا بين أقرانه من العلماء[٢]، ومنها: (فَخر المُحقّقين)؛ لقبّه بهذا اللّقب السيّد سبط حسين اللكهنويّ[٣] في إجازته للسيّد النقويّ رحمه الله مُصرّحًا له فيها باجتهاده[٤].

ولديه رحمه الله ألقاب علميّة أخرى، حصل عليها من المدارس والجامعات التي تخرج مِنها- بحسب قواعدها-؛ هي: (سند الأفاضل)، و(صدر الأفاضل)، و(الفاضل)، و(مُمتاز الأفاضل)، و(العالِم)، و(فاضل الأدب)[٥].

ولادته:

وُلد رحمه الله يوم (٢٦) من شهر رجب الحرام سنة (١٣٢٣هـ)[٦] في بلدة (لكهنو) عاصمة العِلم والتشيّع في بلاد الهند؛ إذ تُعدّ أكبر مدينة شيعيّة في الهند، وهي عاصمة (يوپي)، إحدى مقاطعات الهند، وأكبر جمهوريّة فيها؛ إذ يبلغ تعداد سكّانها أكثر من مائة مليون نسمة، وفيها قامت دولةٌ شيعيّة لعِدة قرون؛ وهي دولة (أود) - في شرق الهند-، وتعدّ رابع الدول الشيعيّة؛ والثلاث الأُخر هي: العادل شاهيّة، والقطب شاهيّة، والنظام شاهيّة، وقد أُقيمت هذه الدول الثلاث

(١) ينظر ترجمته في: أوراق الذهب: محمد عباس الموسويّ: ٣٩٧، أعيان الشيعة: ٣٢١/٢رقم ١٤٣٢، تراجم مشاهير علماء الهند: عليّ النقويّ: ٣٠٥رقم٢٩

(٢) ينظر: إجازات الرواية والاجتهاد: عليّ النقويّ: ٣٨٩، تاريخ القزوينيّ: جودت القزوينيّ: ١٣٣/١٩.

(٣) ينظر ترجمته في: نقباء البشر: آغا بزرك الطهرانيّ: ٨٠٨/٢ رقم١٣١٥، أقرب المجازات: ٤٥٧.. وغيرها.

(٤) ينظر إجازات الرواية والاجتهاد: ٣٨٦.

(٥) ينظر: السيرة الذاتيّة للسيّد المترجَم له(خ): ٤، أقرب المجازات- المقدّمة: ٢٠.

(٦) وجاء في كتاب شعراء الغري: الشيخ عليّ الخاقانيّ: ٤٣٩/٦، والدرر البهيّة في تراجم علماء الإمامية: محمّد صادق بحر العلوم: ٥٠٦/١، والمسلسلات: المرعشيّ: ٤٤٤/٢، وأوراق الذهب: ٤٠٠ أنّه وُلد سنة (١٣٢٥هـ)، وقولهم هذا ليس على نحو الدقة، والصواب ما أثبتناه؛ لأنّه بقلم السيّد المترجَم له نفسه.

في (الدكن) جنوب الهند[١].

رحلاته وأسفاره:

كانت للسيّد المترجَم له رحمه الله رحلاتٌ عديدة إلى مختلف البلدان، إلّا أنّ الذي عثرنا عليه من رحلاته - عِبر تتبعنا للمصادر التي تناولت ترجمته- نَزرٌ قليل، فإليك أخي القارئ الكريم بعض هذه الرحلات، وهي مرتّبة حسب التسلسل الزمني:

رحلته الأولى إلى النجف الأشرف سنة (١٣٢٧هـ):

كانت الرحلة الأولى للسيّد عليّ نقي النقويّ رحمه الله للنجف الأشرف منذ نعومة أظفاره؛ فقد جاء به والده رحمه الله إلى النجف الأشرف وهو ابن ثلاث سنين، وبقي فيها (٥) سنوات، فكانت نشأته في جوار باب مدينة العلم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

رحلته راجعًا إلى الهند (لكهنو) سنة (١٣٣٢هـ):

ثمّ رجع السيّد عليّ النقويّ مع والده رحمه الله إلى بلده الهند (لكنهو) في صفر سنة (١٣٣٢هـ)[٣]، وبقي بها حتّى سنة (١٣٤٥هـ)[٤]؛ أي: (١٣) سنة.

رحلته الثانية إلى النجف سنة (١٣٤٥هـ):

ولمّا كان السيّد عليّ النقويّ رحمه الله قد أنهى الدروس السطحيّة إلى (الرسائل) و(المكاسب) في تلك البلاد- أي الهند-، وأدّى الامتحانات، ساعده التوفيق الإلهيّ على المهاجرة إلى النجف الأشرف، وكان عمره آنذاك (٢١) عامًا، فزمّ ركاب السفر،

---

(١) ينظر: مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين: ٥/١، السيرة الذاتيّة للسيّد المترجَم له (خ): ٢، الكلينيّ والكافي: عبد الرسول الغفّار: ١٠٥-١٠٦.

(٢) ينظر: السيرة الذاتيّة للسيّد المترجَم له (خ): ٢، تاريخ القزوينيّ: ١٣٣/١٩.

(٣) ينظر السيرة الذاتيّة للسيّد المترجَم له (خ): ٣.

(٤) ينظر تاريخ القزوينيّ: ١٣٣/١٩.

وشدّ رحال الطلب، وخرج من بلده مُودّعًا الأهل والإخوان ليلة الأحد (٣) شعبان سنة (١٣٤٥هـ)، ووصل إلى النجف الأشرف بعد التشرّف بزيارة مشاهد الكاظمين والعسكريّين عليهم السلام، ومشهدي الطّف على صاحبيهما السلام، يوم الثلاثاء (٢٦) من الشهر نفسه.

وكانت عطلة عامّة في الأبحاث؛ لأجل قُرب شهر رمضان، فبقي السيّد النقويّ في النجف الأشرف، وفي شهر رمضان ألّف رسالته (كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب)، وقد جعلها الله سبحانه مرضيّةً عند الناس جميعًا، وسَببًا لمعرفة الناس به[١].

رحلته إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام أواخر ربيع الأوّل سنة (١٣٥٠هـ):

تشرّف السيّد عليّ النقويّ رحمه الله بزيارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وكان ذلك في أواخر ربيع الأوّل سنة (١٣٥٠هـ)، وقد زار رحمه الله في أثناء سفره هذا مع بعض أصحابه الأفاضل من مدرسة قمّ، المستشفى التي أسّسها الشيخ عبد الكريم اليزديّ[٢] في قمّ المشرّفة، ويصف السيّد النقويّ رحمه الله هذه المستشفى مبيّنًا بعض هيكليّة بنائِه، قائلًا ما هذا نصّه: «فدخلنا من الباب وإذا بباحةٍ واسعة في وسطها روض خصيب، وحواليه غرف نظيفة، فيها سررٌ مرفوعة عليها من دخل المستشفى من المرضى، وهناك رجال يقومون لهم بالتمريض»[٣].

وزار أيضًا في سفره هذا مدينة (آباد ملاير) من بلاد إيران، حين رجوعه من زيارة مشهد الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وقد التقى فيها بالسيّد عَلَم الهدى بن شمس الدين ابن الأمير عليّ محمّد النقويّ الكابليّ[٤] في داره هناك، يوم السبت (٢٧) من جمادى الأُولى سنة (١٣٥٠هـ)[٥].

---

(١) ينظر: السيرة الذاتيّة للسيّد المترجَم له (خ): ٥، تاريخ القزوينيّ: ١٣٦/١٩.

(٢) ينظر ترجمته في: معارف الرجال: محمّد حرز الدين: ٦٥/٢ رقم٢٣٢، نقباء البشر: ١١٥٨/٣رقم١٦٩٢.

(٣) أقرب المجازات: ٤٥٠- ٤٥١.

(٤) ينظر ترجمته في: نقباء البشر: ١٢٧٥/٣رقم ١٧٩٣.

(٥) ينظر أقرب المجازات: ٤٥٢.

هذا، وقد أرّخ السيّد النقويّ لتأريخ انصرافه من زيارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام في هذه السنة، وذكر ذلك في قصيدةٍ مُؤلّفةً من (٥٢) بيتًا، قائلًا: «قُلتُ عند منصرفي من زيارة مشهد الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا - صلوات الله عليه - في طوس من بلاد إيران، في جمادى الأخرى سنة (١٣٥٠هـ)..»[١] إلخ.

رحلته إلى الهند (لكهنو)- الثانية- راجعًا سنة (١٣٥٠هـ):

ثمّ غادر السيّد النقويّ رحمه الله مدينة النجف الأشرف في (١٧) من شعبان سنة (١٣٥٠هـ) - بعد أن نال رتبة الاجتهاد -، راكبًا القطار إلى البصرة، فمكث فيها ما زاد على (١٠) أيّام، ثمّ ركب الباخرة يوم السبت (٣٠) من شعبان، راجعًا إلى الهند (لكهنو)، فوصل إلى (كراچي) يوم الخميس (٥) من شهر رمضان، ثمّ انتهى به السير إلى (لكهنو) في (١٠) من شهر رمضان[٢]، فأحرز بها مكانةً مرموقةً في المجتمع العلميّ الدينيّ، وحلَّ فيها عالمًا وموجّهًا؛ لما سبق من شهرته العلميّة، ولمكانة آبائه الذين كانوا من أعاظم علماء الهند، ومراجع التقليد فيها، فاشتغل بالتدريس والتأليف، والتصنيف، وإمامة الجماعة، إلى أن هاجر من مدينته، ليختار الغربة حتّى آخر عمره؛ بسبب الأوضاع التي حدثت إثر حادث تأليف كتاب (شهيد إنسانيت)[٣] [٤].

وقد أرّخ السيّد النقويّ لتاريخ هجرته في سنة رجوعه إلى الهند؛ ذكر ذلك في

(١) ديوان نظم الشّتات من القصائد والأراجيز وسائر الأبيات (خ): صورة ١٣٣.

(٢) ينظر: الكشكول (المجموعة الثانية)(خ) رقم١٠٧ من مكتبة السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم، مشاهير علماء الهند- المقدّمة، السيّد عليّ النقويّ: ٤٢.

(٣) هو كتاب باللغة الأردويّة يتناول بيان سيرة الإمام الحسين عليه السلام من الوجهة التاريخيّة بين المسلمين، طُبع في (لكهنو) من قبل إدارة التذكار الحسينيّ بعد تأليفه؛ بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرنًا على كارثة الطف في سنة (١٣٦١هـ)، وخرج في (٧١٢) صفحة. (ينظر الذريعة: ١٤/ ٢٦٣ رقم ٢٥٠٢)

(٤) ينظر: المسلسلات:٤٤٤/٢، معجم رجال الفكر والأدب في النجف: كاظم الفتلاويّ:١٣٠٠/٣، المفصّل في تراجم الأعلام: أحمد الحسينيّ: ٤/ ٢٩٤، تاريخ القزوينيّ: ١٣٣/١٩.

ديوانـه، قائـلًا: «قُلـتُ مُخمّسًـا لقصيـدة شـاعر أهـل البيـت السـيّد إسـماعيل الحِميـريّ -رضـوان اللـه عليـه -، وكان تمام التخميـس على الباخرة المتوجّهة مـن البصرة إلى الهند يـوم الأربعـاء الرابـع من شـهر رمضان سـنة (١٣٥٠هـ)..»[١] إلخ.

رحلته إلى النجف الأشرف - الثالثة- سنة (١٣٦٩هـ):

وفـي سـنة (١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) جـاء السـيّد النقـويّ رحمه الله إلـى العـراق، زائـرًا لمدينة النجـف علـى وجه الخصوص؛ لرغبته الالتقاء بالعلماء والشـخصيّات المرموقة في الحوزة العلميّة[٢].

وقـد أرّخ السـيّد النّقـويّ تاريـخ هـذا الرحلـة فـي تاريخ نظمـه للأبيات الشـعريّة في شـأن المختار الثقفيّ رحمه الله(ت ٦٧هـ)، حين تشـرّف بالقدوم إلى النجف الأشـرف، وهذا نـصّ قولـه بهـذا الشـأن فـي ديوانـه المخطـوط: «قُلـتُ فـي الثنـاء علـى المختار بـن أبي عبيـدة الثقفـيّ - علـى مقتـرح الأخ العلّامـة الأوردباديّ[٣] - عند تشـرّفي بالنجف الأشـرف فـي ربيع الثاني سـنة (١٣٦٩هـ)..»[٤] إلخ.

رحلته إلى دولة الإمارات سنة (١٤٠٣هـ):

وفـي سـنة (١٤٠٣هـ) سـافر السـيّد علـيّ النقـويّ رحمه الله مُتوجّهًـا إلى دولـة الإمارات؛ ففي هذه السـنة قَصد السـيّد جَودت القزوينيّ[٥] صاحب كتاب (تاريخ القزوينيّ) مدينةَ (عليگره)فـي الهند؛ لزيارة السـيّد النقويّ رحمه الله في شـهر صفـر، إلّا أنّه لَم يحظ بلقائه[٦]؛ بسبب سفره.

---

(١) ديوان: نظم الشّتات من القصائد والأراجيز وسائر الأبيات (خ): صورة ١٢-١٨.

(٢) ينظر المفصل في تراجم الأعلام: ٢٩٥/٤.

(٣) ينظر ترجمته في: نقباء البشر: ٤ / ١٣٣٢ رقم١٨٦٤، الإجازة الكبيرة: ١٩٧رقم ٢٤٤.

(٤) ديوان نظم الشّتات من القصائد والأراجيز وسائر الأبيات (خ): صورة١٤٤-١٤٥

(٥) ينظر ترجمته في تاريخ القزوينيّ: ٤/ ٢٣٨- ٢٤٥.

(٦) ينظر تاريخ القزوينيّ: ١٣٤/١٩.

آثاره العلميّة:

إنّ من أُسس حِفظ العلم وتدوينه على مرّ العصور هو التأليف والتصنيف؛ إذ به يُسطّر ما اختزنته صدورُ العلماء، وكما جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «القلب يتّكل على الكتابة»[١]، وقوله عليه السلام: «اكتبوا فإنّكم لا تحفظون حتّى تكتبوا»[٢].

هذا، ومِمّا يُظهر الأهميّة لمداد العلماء وكتاباتهم ما جاء عن نبيّنا صلى الله عليه وآله في ترجيحه لمداد نور العِلم على دماء الشهداء الزاكية، قائلًا: «إذا كان يومُ القيامةِ وُزِنَ مِدادُ العُلماء بدِماء الشّهداء، فيَرجَح مِداد العُلماء على دِماء الشّهداء»[٣].

وكان السيّد عليّ النقويّ رحمه الله من أهل هذه الصناعة، حيث اهتمّ كثيرًا بموضوع الكتابة والتّأليف وفق منهجٍ علميٍّ واضح؛ إذ تنوّعت كتاباته بين التفسير والحديث، والرجال، والتاريخ، والفقه والأصول، والعقائد، والأدب، والشعر.. وغيرها، مِمّا يحيطنا عِلمًا بفكره ونهجه رحمه الله، وسعة اطّلاعه في مختلف العلوم، فقد كانت له رحمه الله إحاطةٌ بأغلب علوم عصره، مِمّا جعله عَلَمًا من أعلام زمانه في مجال العِلم والفِكر والأدب.

وقد بَلغ عدد ما ألّفه السيّد المترجَم له- بحسب ما أحصيناه- ما يقارب من (١٩٥) مُؤلَّفًا باللغة العربيّة والأورديّة، وقد ذكر السيّد المترجَم له بقلمه رحمه الله قِسمًا منها في سيرته الذاتيّة[٤]، وأمّا مؤلّفاته الأخرى فقد ذُكرت مُتفرّقةً في كُتب فهارس المؤلَّفات وأدلتها.. وغيرها[٥].

---

(١) الكافي: الكلينيّ: ١/ ٥٢ ب: رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة.. ح٨.

(٢) الكافي: ١/ ٥٢ ب: رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة.. ح٩.

(٣) أمالي الطوسيّ: ٥٢١ ح١١٤٩.

(٤) ينظر السيرة الذاتيّة للسيّد المترجَم له (خ): ٦-٧.

(٥) ينظر: الذريعة: ٩٣/١ رقم ٤٤٨، ٤٧٨ رقم٣٧٥، ٢٦٣/٢ رقم ١٠٧٢، ٢/ ٢٧٠ رقم ١٠٩٣، ٤٧٦ رقم ١٨٦٠، ١٨٥/٣ رقم ٦٦١، ٢٨٦ رقم ١٠٥٥، ٢٩٤ رقم ١٠٩٠، ٣٩٤ رقم ١٤١٦، ٤/ ١٠ رقم ٢٥، ٣٥ رقم ١٢٥، ٤٥٥ رقم ٢٠٢٧، ٤٧٤ رقم ٢١٠٢، ٢٦٣/٦ رقم ١٤٤٠، ٩ق٣/٧٦٤ رقم٥١٧٣، ١٠/ ٢٣٨ رقم ٧٦٠، ٩٥/١١، ٢٦١ رقم ١٥٩٤، ٣١/١٢ رقم ١٦٥، ٢٨٨ رقم ١٩٣٨، ١٩١/١٤ رقم

وأغلـب كتاباتـه ومؤلَّفاتـه رحمه الله - نثـراً وشـعراً- كُتبـت ونُظمـت فـي مـا كان لـه صلة بعلـوم الديـن، وتُـراث النبـيّ وآلـه الطاهريـن - صلـوات اللـه عليهـم-، ومنهـا مـا كان موضوعـه مُختصًّـا بتاريـخ رجالات الشـيعة من أصحـاب الأئمّـة عليهم السلام، وغيرهم من أعلام علمـاء الإماميّـة -رضـوان اللـه تعالـى عليهـم-، ولا يسـعنا فـي هـذا المبحث ذكـر جميع مُؤلَّفاتـه، إلّا أنّنـا نقتصـر علـى أشـهر مـا جاء فيهـا؛ وهي:

١- (كشف النقاب عن عقائد ابن عبدالوهاب) في ردّ الوهابيّة[١].

٢- (تراجم مشاهير علماء الهند)[٢].

٣- (أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات)[٣].

٤- (إجازات الرواية والاجتهاد)[٤].

٢١٣٧، ٢٣٥ رقم ٢٣٥٥، ٢٦٣ رقم ٢٥٠٢، ١٥/ ٢٠١ رقم ١٣٣٢، ٣٠٤ رقم ١٩٤٣، ١٦/ ١٧٤ رقم ٥٢٩، ٢٢١ رقم ٨٤٥، ١٧/ ٣ رقم١٦، ١٨/ ٦٥ رقم ٧٠١، ٣٩/٢١ رقم ٣٨٥٠، ١٣٨ رقم ٤٣١٢، ٢٧٧/٢٣ رقم٨٩٦٨، ٢٤/ ٦٨ رقم٣٤١، ٢٧٧ رقم ١٤٢٩، ١١٨ رقم ٧٤١، ١٧٩/٢٦ رقم٨٩٥، ٢٥/ ٣٧ رقم ١٨٤، المنتخب: الفتلاويّ: ٣٥١، معجم المطبوعات النجفيّة: ٨٩، فهرس مكتبة العلّامة السيّد محمّد صادق بحر العلوم: ٦٨ رقم ٤٨، ١٠٨ رقم ١٤٠، ٣٥٢ رقم٣٨٣، رسائل الشعائر الحسينيّة: محمّد الحسّون: ١٤٥/١-١٥٥، ٣٠٧/٣-٣٦٧رقم ١٧، معجم المؤلَّفات الإسلاميّة في الردّ على الوهابيّة، عبد الله محمّد عليّ: ٣١٩، ٣٣٩، مجلّة الرضوان: الأعداد١و٢و٣و٤ و٥ و٧ و٩و١١/ السنة الأولى/١٣٥٣-١٣٥٤هـ، الأعداد١و٢و٤ و٦و٧ / السنة الثانية/١٣٥٥هـ، العددان ٢و٣/ السنة الثالثة/ ١٣٥٦هـ، العددان ١و٢ / السنة الخامسة /١٣٥٨هـ، مجلّة ميراث برّ صغير: العددان ١و٢ /١٤٧- ١٥٠، إجازات الدكتور حسين عليّ محفوظ: عبد الكريم الدبّاغ: ٢٠١-٢٠٥.

(١) طُبع في النجف الأشرف- المطبعة الحيدريّة سنة (١٣٤٥هـ) أو (١٣٤٦هـ).

(٢) طُبع محقّقًا من قِبل مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة سنة (١٤٣٥هـ).

(٣) طبع نسخة طبق الأصل من قِبل مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة، تقديم: السيّد محمّد رضا الجلاليّ سنة (١٤٣٧هـ).

(٤) طُبع محقّقًا من قِبل مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة سنة (١٤٤٠هـ).

٥- ديوان (نظم الشّتات من القصائد والأراجيز وسائر الأبيات)[١].

مكتبته العلميّة:

أمّا مكتبته، فقد امتلك السيّد النقويّ مكتبةً عظيمةً، جمعت أعلاقًا نفيسة من المخطوطات، وكتبًا مُهمّة من المطبوعات؛ فقد وَرِث السيّد النقويّ رحمه الله جملةً منها عن آبائه، وأضاف إليها كثيرًا ممّا اشتراه أو التي أُهديت إليه، إلّا أنّه لَم يسلم من هذا التراث شيئًا؛ فقد احترقت هذه المكتبة العظيمة بالحريق الذي نشب إثر الفتنة التي وقعت في العشرين من شهر صفر سنة (١٣٩٤هـ)[٢].

وقد ذكر السيّد المترجَم له رحمه الله هذا الحريق في إجازته التي كتبها للسيّد محمّد رضا الجلاليّ[٣] - حفظه الله تعالى-، وكانت في الرابع من شهر جمادى الآخرة من سنة (١٣٩٤هـ)، في بلدة (عليگره) في الهند، وإنّ مَن يطلّع على مضامين هذه الإجازة يستشعر مدى الألم والحزن والتأسّف الذي أصاب السيّد المترجَم له، جرّاء هذه الحادثة، وإليك نصّ كلامه منها:

«.. أن يروي عنّي جميع طرقي المذكورة في كتاب (أقرب المجازات) الذي اطّلع عليه - كما ذكره- عند العلّامة المتتبّع محمّد صادق آل بحر العلوم - دام علاه-، ووجوده الآن قد بقي مُنحصرًا في تلك النسخة؛ فإنّ النسخة الثانية التي كانت عندي قد احترقت بالحريق الذي وقع في داري يوم العشرين من صفر الماضي، في الفتنة ...، فقضت على مكتبتي التي كانت تحتوي على بقيّة آثار السلف، وفيها مؤلّفاتي الخطيّة، وآثار قلمي بالعربيّة التي لم تُطبع؛ لكساد سوق العربيّة في هذه البلاد

(١) هو قيد التحقيق من قِبل مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

(٢) ينظر: ديوان نظم الشّتات من القصائد والأراجيز وسائر الأبيات (خ): صورة ٧٩، المنتخب: ٣٥٠ وفيه: أنّ الهجوم على مكتبته وحرقها كان سنة (١٣٩٥هـ)، وتبعه الأستاذ كامل سلمان الجبوريّ في ذلك في (معجم الأدباء من العصر الجاهليّ حتّى سنة ٢٠٠٢: ٣٤٤/٤)، وفي مجلة (ميراث برّ صغير العددان ١و٢: ٥٤ – ٥٥): أنّ الحريق نشب في سنة (١٣٩٣هـ)، إلّا أنّ الصحيح ما أثبتناه في المتن؛ لأنّه بخطّ المؤلّف رحمه الله كما أثبته في ديوانه المخطوط.

(٣) ينظر ترجمته في: تاريخ أهل البيت عليهم السلام: محمّد رضا الجلاليّ: ٢١٣-٢٢٨.

النائيّـة عـن المراكز العلميّة، وعند الله أحتسـب هـذه الأعلاق الثمينـة والذخائر القيّمة، فإنّـا للـه وإنّا إليـه راجعون.

وبـودّي لـو يسـمح التوفيق للسـيّد المُجاز أن يستنسـخ مـن كتاب (أقـرب المجازات) نسـخةً لنفسـه؛ تكثيـرًا لوجـوده، وحياطـةً علـى تلـك الأسـانيد التـي بَذلـتُ الجُهـود فـي تحصيلهـا، وحفظهـا عـن الضيـاع..» [(١)] إلخ.

هـذا، وقـد أرّخ سـيّدنا المترجَـم له لحرق داره بما تحويه من الكتـب والآثار العلميّة، ببيتين من الشـعر في العشـرين من صفر سـنة (١٣٩٤هـ):

لا عـــــج[(٢)] أحـــــرق دا ري وأودى بالكتـــــــــــب

مـــــن الحشـــــا أرّخت (نـــــاره ذات لهـــــب)

١٣٩٤هـ[(٣)].

وفاته ومدفنه:

أُبتلـي السـيّد علـيّ النقويّ رحمه الله في أواخر عمـره بمرض (ذات الرئـة)، وبعد مُدّة من العـلاج تحسّـنت صحّتـه، إلّا أنّ أثـر هـذا المـرض بقي، فتدهـورت صحّته وسـاءت حالته فيما بعد، وكان ذلك في أواخر شـهر رمضان سـنة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)؛ فأُدخل على إثرها مشـفى (بلـرام پور) في (لكهنـو) للمعالجة.

فبلـغ نبـأ مرضـه ودخوله المشـفى أهلـه وذويـه، فاجتمع جميـع أفـراد العائلة - من الأولاد والأحفـاد- فـي أيّامـه الأخيـرة حافّيـن بـه؛ إذ كان هـذا لقاءهـم الأخيـر بوالدهـم وسـندهم وعمادهـم، بقيّـة آل دلـدار عليّ.

وفي يوم الأربعاء (١) من شـوّال سـنة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) أجاب السـيّد النقويّ داعي

(١) فهرس مكتبة العلاّمة السيّد محمّد صادق بحر العلوم: ٣٥٤، أقرب المجازات: ٤٦٣-٤٦٤.

(٢) اللاعِج: الهوى المُحرق. (لسان العرب: ابن منظور: ٣٥٧/٢).

(٣) ديوان نظم الشّتات من القصائد والأراجيز وسائر الأبيات (خ): صورة ١٤٤-١٤٥.

ربّـه، مُلتحقًـا بالرفيـق الأعلى عن عمـر يناهز(٨٥)عامًا، حافـل بالافتخار والجهاد.

هـذا، وأُذيـع خبر وفاته رحمه الله فـي الأخبار الصباحيّة - مِن الإذاعـة والتلفاز-؛ فقد أُعلن نبـأ وفاتـه فـي جميع أنحاء البـلاد؛ فهو يُعدّ من أعلامهـا المبرّزين، ومراجعهـا المُقَلَّدين، وخُطَبائها المُبلّغين .

وقام بتجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ابنه السـيّد عليّ محمّد النقويّ، وحضر لتشـييعه والصـلاة عليـه أكابر العائلة، ومن جملتهم إخوته، وأصهـاره: الدكتور كلب صادق، وحُجّة الإسـلام قائـم مهـدي، فشُـيِّع جثمانـه مـن حسـينيّة أبيـه، ودُفـن رحمه الله بجانـب والده في مسـجد العائلة، إلى جنب الحسـينيّة (حسـينيّة سـيّد تقي صاحب).

وبقـي مجلـس الفاتحـة معقودًا أيّامًا؛ إذ حضــره أصدقـاؤُه ومُحبّوه مـن جميع أنحاء البـلاد فـي اليـوم الخامـس مـن وفاتـه، وكان المجلـس حافلًا بالشـعراء فرثـوه بقصائدهم مُؤرّخيـن عـام وفاتـه، كذلك عُــقدت لـه المجالس والمحافـل في الهند وپاكسـتان[1].

(١) ينظر: تراجم مشاهير علماء الهند-المقدمة: ١٢٧، المنتخب: ٣٥١، المفصّل في تراجم الأعلام: ٣٠٤/٤، رسالة أرسلها إلينا الشيخ طاهر عبّاس من قمّ، استخلصها من ابن سيّد العلماء (بتصرّف).

المبحث الثاني
النَّسْخ والمُقابلة والتّرجمة في اللغة والاصطلاح

النَّسْخ في اللغة والاصطلاح:

فـي اللغـة: نَسـخ الشـيءَ، وينسَـخُه نَسْـخًا، وانتسَـخَه واستنسَـخَه؛ أي: اكتَتَبـه عـن مُعارضـه، ونقلـه عـن أصلـه، وأيضًا قيل فيـه: هو اكتتابـك كتابًا عن كتابٍ حرفًا بحرف[١].

أمّا في الاصطلاح:

فالنَّسْـخ: هـو أن ينسـخ الشـيء فيجيئ بمثلـه؛ أي: نَقل النصّ من الأصـل، وقيل أيضًا: هـو أخـذ اللفظ والمعنـى بِرُمّته من غير زيـادةٍ عليه[٢].

والناسـخ: هـو مـن يَكتـب الكتـاب وينقله عـن آخر حَرفًا بحرف، مـن دون تبديل ولا زيـادة فـي اللفـظ والمعنى[٣]، وقيل فيـه أيضًا: أنّه الورّاق الذي يَنقـل عن أصلٍ مخطوط، وقَـد اقتصـر اسـتعمال هـذا المصطلـح علـى مَن كانـوا يعملون في نسـخ الكتـب بالأجرة أو مـن المكترين[٤].

المُقابلة (أو المُعارضة) في اللغة والاصطلاح:

فـي اللغـة: قابَل الشـيء بالشـيء مُقابَلةً وقِبـالًا؛ أي: عارضه، ومنه قولـك إذا ضَممت شـيئًا إلـى شـيء: قابَلْتُـه به، ومُقابَلـة الكتاب بالكتـاب وقِبالُه به: مُعارَضتـه، وأيضًا عارَضَ الشـيءَ بالشـيءَ مُعارضةً: قابَلَـه، وعارَضْتُ كتابي بكتابـه؛ أَي: قابلتُه[٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٦١/٣، مجمع البحرين: الطريحيّ: ١٤٦٤.

(٢) ينظر معجم المصطلحات البلاغيّة: أحمد مطلوب: ٦٦٠.

(٣) ينظر المعجم الأدبي: جبور عبد النور: ٢٧٦، ٢٨١.

(٤) ينظر معجم مصطلحات المخطوط العربيّ: أحمد شوقي بنبين و مصطفى طوبي: ٢٣٥.

(٥) ينظر: لسان العرب: ١٦٧/٧، ٥٤٠/١١، مجمع البحرين: ٨٦١.

أمّا في الاصطلاح:

فالمُقابلة: هي عرض النسخة المكتوبة على الأصل الذي نُقل منه[١]، وقيل أيضًا: هو مطابقة النصوص بعضها بِبعض؛ بقصد تحقيقها[٢]، والمستعمل عند المُحَدّثين لفظ (عارَضَ) - كما عن القاضي عيّاض[٣]-؛ إذ إنّ مُقابلة النسخة بأصل السماع هو معارضتها به، وجعل ابن الصلاح[٤] المُقابلة والمُعارضة بمفهومٍ واحد[٥].

التّرجمة في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: تعني الترجمة التبيين والإيضاح بلغةٍ أخرى غير لُغة المتكلّم، وأنّ القائم بهذا العمل هو التُّرْجُمان أو التَّرْجَمان- بالضمّ والفتح -: وهو المفسِّر للّسان، مُترجمًا إيّاه من لغةٍ إلى أُخرى[٦].

أمّا في الاصطلاح:

فالترجمة: هي ما يُختصّ بترجمة الآثار الأدبيّة وما سواها، من لغةٍ إلى أخرى[٧]، وقد عَرفها العَرب منذ القِدم، فنقلوا العلوم من اللغات الأجنبيّة إلى العربيّة[٨].

---

(١) ينظر معجم مصطلحات الحديث وعلومه: محمّد أبو الليث الخير آباديّ: ١٠٨.

(٢) ينظر معجم اللغة العربيّة المعاصرة: أحمد مختار: ١٧٧٣.

(٣) ينظر ترجمته في: وفيّات الأعيان: ابن خلّكان: ٣/ ٤٨٣ رقم٥١١، سير أعلام النبلاء: الذهبيّ: ٢٠/ ٢١٢ رقم ١٣٦، تذكرة الحفّاظ: الذهبيّ: ٤/ ١٣٠٤.

(٤) ينظر ترجمته في: وفيّات الأعيان: ٣/ ٢٤٣ رقم ٤١١، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٤٠ رقم ١٠٠، تذكرة الحفّاظ: ١٤٣٠/٤.

(٥) ينظر معجم مصطلحات المخطوط العربي: ١٧٩.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٦٦/١٢، مجمع البحرين: ١٦١.

(٧) ينظر المعجم الأدبيّ: ٦٤.

(٨) ينظر معجم مصطلحات النقد العربيّ القديم: ١٤٨.

المبحث الثالث

السيّد النقويّ وجُهوده في النّسخ، والمُقابلة، والتّرجمة

لَـم تَقتصـر جهود العُلماء على التأليف والتصنيف فقط، بل شـملت النَّسْـخ والمُقابلة والترجمة للكتب والرسـائل العلميّة والأدبيّة؛ إذ تُعتبر هذه الأشـكال الثلاثة من أساسـيّات حِفـظ التراث عبر الأجيال.

أوّلًا: السيّد النقويّ وجُهوده في نسخ الكتب والرسائل:

إنّ الشـكل الأوّل لحفـظ التراث وإحيائه هو النَّسْـخ[١]؛ فقد بـذل علماؤُنا (رضوان الله عليهـم) جُهودًا مشـكورة في نسـخ التـراث العلميّ والفكريّ لسـلفهم من علمـاء الإماميّة (رضـوان اللـه تعالـى عليهم)، إذ كان النَّسْـخ يُعدّ في ذلك الوقت الوسـيلة الوحيدة لإكثار الكتـب، وهـو يُقابـل الطباعـة والتصوير في الوقت الحاضـر، كما أنّ النّسـخة التي تُكتب مـن قبـل عالم -بعد عصـر المؤلِّف- تَفضُل غيرها من النُّسَـخ[٢]؛ كونها تكون أقلّ أخطاءً، وأضبـط نصًّـا، لكـون العالم أقدر علـى فهم النصّ من غيره من النسّـاخ.

هذا، وقد برز في القرن الرابع عشـر الهجريّ رجالٌ بذلوا طاقاتهم في حِفظ موروثهم العلمـيّ، فـكان مـن جُملة هؤلاء الأعلام السـيّد علـيّ نقي النقويّ اللّكهنـويّ رحمه الله؛ إذ قام بانتسـاخ عِـدّة نُسـخ لكتبٍ في مختلـف العلوم، في عِدّة مجالـس جمعته مع بعض أعلام عصـره؛ كالسـيّد حسـن الصـدر الكاظمـيّ[٣] وغيـره، مِمّـن امتلـك رسـائل أو كُتـب لأعلام علماء الشـيعة ومحدّثيها .

وإليـك أخـي القـارئ الكريم بعض ما عَثرنا عليه من مُستنسـخات السـيّد النقويّ رحمه الله

(١) ينظر معجم مصطلحات المخطوط العربيّ: ٢٢

(٢) ينظر قواعد تحقيق المخطوطات: صلاح الدين المنجد: ١٣، المنهاج: محمّد التونجيّ: ١٦٣.

(٣) ينظر ترجمته في: معارف الرجال: ٢٤٩/١رقم ١٢٢، أعيان الشيعة: ٣٢٥/٥رقم ٨٢٥، نقباء البشر: ٤٤٥/١رقم٨٧٣.

فـي المصـادر المتوفّـرة بين أيدينا، والتي استنسـخها عن نسـخها الأصليّـة الموجودة عند مؤلِّفيهـا ومالكيهـا من العلماء، ونُوردها مُرتّبةً حسـب تاريخ نسـخها، وهي:

١. نسـخة كتاب(نزهة أهل الحرمين في عمارة المشـهدين)[١]، للسـيّد حسن الصدر، تاريخ نسخها سنة (١٣٤٧هـ)[٢].

٢. نسـخة كتـاب (انتخـاب القريـب مـن التقريـب)[٣]، للسـيّد حسـن الصـدر، تاريخ نسـخها سـنة (١٣٤٧هـ)[٤].

٣. قسـم مـن نسـخة كتاب(وفيّـات أعـلام الشـيعة) أو (وفيّـات الأعـلام مـن الشـيعة الكـرام)[٥] عـن خـط السـيّد حسـن الصـدر، تاريخ نسـخها سـنة (١٣٤٧هـ)[٦].

٤. رسـالة فـي تحقيـق حـال محمّـد بن إسـماعيل بن بزيـع المذكور في صـدر جملة مـن أخبـار الكافـي، عـن نسـخة الأصـل، عـن خـط السـيّد حسـن الصـدر، تاريخ نسـخها أواخـر سـنة (١٣٤٨هـ)[٧].

---

(١) هو كتاب في تاريخ عمارة المشهدين المقدّسين لأمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام، وذكر أوّل من عمّرها، وأوّل من سكنها من الأشراف وطبقات المعمّرين، له عدّة طبعات؛ منها: طبعة لكهنو الهند ١٣٥٤هـ، بتقديم السيّد النقويّ، وطبعة بتحقيق السيّد مهدي الرجائيّ، قمّ ١٤٣٠هـ، وأخرى بتحقيق الشيخ محمّد رضا الأنصاريّ. (ينظر: تكملة أمل الآمل: حسن الصدر: ١٦٣، الذريعة: ٢٤/ ١١٤رقم٥٩٢)

(٢) ينظر أقرب المجازات: ٢٠-٢١.

(٣) هو كتاب في الرجال، أفرده فيمن نصّ على تشيّعهم ابنُ حجر العسقلانيّ في كتابه(التقريب)، طُبع بتحقيق الدكتور ثامر كاظم الخفاجيّ، مكتبة المرعشيّ، قم- إيران ١٤٣٢هـ (ينظر تكملة أمل الآمل: ١٦٥)

(٤) ينظر أقرب المجازات: ٢٠-٢١.

(٥) هو كتاب مرتّب على العصور والطبقات للسيّد حسن الصدر، خرج منه أربع طبقات، من المائة الأولى إلى المائة الثالثة، طُبع بتحقيق السيّد ثامر كاظم الخفاجيّ، منشورات مرصاد، طهران ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. (ينظر: تكملة أمل الآمل: ١٦٤، وفيّات الأعلام: حسن الصدر- المقدّمة: ١٠، الذريعة: ٢٥/ ١٢٥رقم٧١٨)

(٦) ينظر أقرب المجازات: ٢٠-٢١.

(٧) ينظر أقرب المجازات: ٢١.

٥. نسخة (فصل القضاء في كتاب فقه الرضا عليه السلام)[١]، للسيّد حسن الصدر، كتبه بخطّه عن نسخة بعض الأفاضل، وصحّحه عن خطّ الحاجّ الشيخ عليّ القميّ النجفيّ[٢] في النجف الأشرف[٣].

٦. رسالة في تنجيس المتنجّس، للشيخ محمّد كاظم الشيرازيّ[٤]، استنسخها عن نسخة الأصل عند نجله الميرزا محمّد نزيل قمّ المقدّسة؛ حيث التقى به في سفره إلى إيران، واجتمع معه في همدان، ثمّ في قمّ المقدّسة[٥].

٧. مجلّد المعاد من كتاب (عماد الإسلام)[٦] في عِلم الكلام، لجده دلدار عليّ[٧]، استعاره من الشيخ هادي آل كاشف الغطاء[٨] سنة (١٣٤٦هـ)، واستكتبه من بعض الخطّاطين بخطٍّ رائق جميل، وكانت النسخة ناقصة الآخر، فتمّم النقص على نسخة خطّيّة كاملة موقوفة عند الشيخ مهدي الكرمانيّ من جدّه المولى عبد الكريم الكرمانيّ[٩]، حصل عليها بتوسّط الشيخ محمّد جواد

---

(١) طُبع بتحقيق رضا الأستادي، ضمن مجموعة تراثيّة. (آشنائي باچند نسخه خطي، ص ٣٨٩ - ٤٤٢)، قم ١٣٥٥ ش. (ينظر مجلة تراثنا: ع٤٤: ٢٨٢)

(٢) ينظر ترجمته في: معارف الرجال: ٢ / ١٤٣ رقم ٢٧٤، أعيان الشيعة: ٨ / ١٥٠، نقباء البشر: ٤/ ١٣٢٣ رقم ١٨٥٩.

(٣) ينظر أقرب المجازات: ٢٤.

(٤) ينظر ترجمته في: أعيان الشيعة: ٩ / ٤٠١ رقم٩١٢، نقباء البشر: ٦٨/٥رقم٧٩، أقرب المجازات: ٣٩٧.

(٥) ينظر أقرب المجازات: ٣٩٩.

(٦) ويُسمّى أيضًا (مرآة العقول)؛ وهو كتاب في الأصول الخمسة في خمسة مجلّدات ضخام، طُبع مجلده الأوّل والثاني في سنة ١٣١٩هـ، ثمّ طُبع الثالث أيضًا، والرابع موجود في مكتبة راجه فيض آباديّ. (ينظر: كشف الحجب والأستار: ٣٨٥ رقم٢١٣٣، الذريعة: ٣٣٠/١٥رقم٢١٣٣)

(٧) ينظر ترجمته في: أعيان الشيعة: ٦ / ٤٢٥، ريحانة الأدب: محمّد عليّ المدرس: ٤٢٥/٦، الكرام البررة: آغا بزرك الطهرانيّ: ٢ / ٥١٩ رقم ٩٤٨، تراجم مشاهير علماء الهند: ١٤٥رقم١.

(٨) ينظر ترجمته في: معارف الرجال: ٢٤٥/٣رقم ٥٢٣، أعيان الشيعة: ٢٣١/١٠، ماضي النجف وحاضرها: جعفر محبوبة: ٢١٠/٣.

(٩) لم نعثر على ترجمة لهما في المصادر التي بين أيدينا.

البلاغيّ[١] [٢].

٨. رسالة مسمّاة بـ(العليّين) أو (الصحف المطهّرة)[٣]، للسيّد الميرزا هادي الخراسانيّ[٤]، اختصرها وكتبها عن نسخة الأصل، وفيها إجازات جملة مشايخ صاحب الرسالة بخطوطهم[٥].

٩. نسخة (منظومة مواليد النبيّ والأئمّة ووفيّاتهم)[٦]، للشيخ محمّد مهدي بهاء الدين الفتونيّ[٧]، استنسخها في النجف الأشرف سنة (١٣٤٧هـ)[٨].

١٠. نسخة (عين العبرة في غبن العترة)[٩]، للسيّد أحمد بن طاوس الحسنيّ الحلّيّ[١٠]، استنسخها عن نسخة الحرّ العامليّ[١١]، وقد استنسخها عنه السيّد

---

(١) ينظر ترجمته في: معارف الرجال: ١/ ١٩٦ رقم ٩٠، الطليعة: محمد طاهر السماويّ: ١/ ١٩٣ رقم ٤٦، نقباء البشر: ٣٢٣ رقم ٦٦٣.

(٢) ينظر أقرب المجازات: ٤٠٧.

(٣) رسالة في مشيخة الإجازات، جمع فيها إجازات شيوخه بخطوطهم، طبعه سنة ١٣٩٦ش، بتقريظ سبط المؤلِّف السيّد محمّد رضا الجلاليّ، وبتحقيق وحيد الشونديّ، نشر مؤسسة تراث الشيعة، قمّ المقدّسة. (ينظر: إجازات الرواية والاجتهاد: ٢٧٧ هامش١، ٢٧٨ هامش١، مجلة تراثنا ع٢٩: ١٣٨)

(٤) ينظر ترجمته في: معارف الرجال: ٢٣٢/٣ رقم ٥١٧، أعيان الشيعة: ٣٦٨/٨، ٢٣٢/١٠، نقباء البشر: ٥٤٩/٥ رقم ٧٥٦.

(٥) ينظر أقرب المجازات: ٤٢٠.

(٦) ينظر الذريعة: ٤٦٧/١ رقم٢٣٢٧.

(٧) ينظر ترجمته في: معارف الرجال: ٧٩/٣ رقم ٤٥٣، ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٥٢.

(٨) ينظر يوميّات السيّد محمّد صادق بحر العلوم، السيّد محمّد رضا الجلاليّ: ١/ ١٧١.

(٩) طبع في المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، وأخرى بتحقيق الشيخ محمود الأردكانيّ البهبهانيّ، نشر مجمع الذخائر، قم، ط١ ١٤٢١هـ/١٣٧٩ش. (ينظر فهرس التراث: ٦٦٥/١)

(١٠) ينظر ترجمته في: جامع الرواة: الأردبيليّ: ١/ ٧٢، أمل الآمل: الحر العامليّ: ٢/ ٢٩ رقم ٧٩، رياض العلماء: عبد الله الأفنديّ: ١/ ٧٣.

(١١) ينظر ترجمته في: رياض العلماء: ٥/ ٦٣، روضات الجنات: محمّد باقر الخوانساريّ: ٧/ ٩٦ رقم ٦٠٥، الكواكب المنتشرة: آغا بزرك الطهرانيّ: ٩/ ٦٥٥.

محمّـد صـادق آل بحـر العلـوم[١]، وهـي محفوظـة برقـم (٧٣/٧)[٢].

ثانيًا: السيّد النقويّ وجُهوده في مُقابلة النُّسَخ:

إنّ مقابلـة النُّسَـخ عمـلٌ مضـنٍ وصعـب؛ إذ يتطلّـب عنايـةً فائقـة، ويتوقّـف عليهـا تصحيح النسـخة وسـلامة خلّوها من التصحيف والتحريف، والسـقط والنقصان.. وغيرها، كمـا أنّ المقابلـة للنُّسـخ لا تتـمّ إلّا بيـن اثنين[٣].

هذا، وكان للسـيّد النقويّ رحمه الله دورٌ في هذا المجال؛ فقد قام مع زميله السـيّد محمّد صادق آل بحر العلوم بمقابلة مجموعةٍ من النُّسَخ الخطّيّة المستنسخة بقلم السيّد محمّد صـادق؛ والمحفوظـة ضمن مجاميعه الخطيّة-كما عن فهرس مكتبته-، وإليك ما جاء منها:

١. كتاب(المقـالات فـي الفـرق والمذاهـب)[٤] للشـيخ المفيـد[٥]، قُوبـل مـع السـيّد النقـويّ فـي عِـدّة مجالـس آخرهـا ليلـة (٢٢رجـب سـنة ١٣٥٠هـ)، محفـوظ برقـم(٧٢/٢)[٦].

---

(١) ينظر ترجمته في: الفوائد الرجاليّة: مهدي بحر العلوم: ١٧٣/١، المنتخب: ٢٥٠.

(٢) ينظر يوميّات السيّد محمّد صادق بحر العلوم: ١٦١.

(٣) ينظر المنهاج: ١٧٦.

(٤) المشهور في عنوانه (أوائل المقالات في المذاهب المختارات)؛ وهو كتاب في ذكر عقائد الشيعة، ومواضع التوافق والاختلاف بينها وبين المذاهب الأخرى، وقد طُبع عدّة طبعات؛ منها: طبعة تبريز سنة ١٣٥٨هـ، وأخرى في تبريز سنة ١٣٦٤هـ بتحقيق الشيخ فضل الله الزنجانيّ وتعليقات الشيخ الجراندابيّ، طبعة المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف سنة ١٣٩٣هـ، وطبع بتحقيق إبراهيم الأنصاريّ الزنجانيّ في قمّ سنة ١٤١٣هـ، من قِبل المؤتمر العالمي لذكرى ألفيّة الشيخ المفيد ضمن (سلسلة مصنّفات الشيخ المفيد)، المجلّد الرابع، وأخرى ضمن موسوعة بعنوان (سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد) المجلّد الرابع، دار المفيد، ط١، قمّ، سنة ١٤٣١ق/ ١٣٨٩ش. (ينظر موسوعة الشيخ المفيد: ج٦٦/٠-٦٧، ١٩/٤)

(٥) ينظر ترجمته في: الفهرست: ابن النديم: ٣٣٧، رجال النجاشيّ: ٣٩٩ رقم ١٠٦٧، الفهرست الطوسيّ: ٢٣٨ رقم ٧١١، معالم العلماء: ابن شهر آشوب: ١١٢ رقم ٧٦٥.

(٦) ينظر: يوميّات السيّد محمّد صادق بحر العلوم: ١/ ١٥٦، فهرس مكتبة العلاّمة محمّد صادق بحر العلوم: ٩٤.

٢. رسالة[١] في معنى ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: (**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث**)، للشيخ المفيد، قُوبلت مع السيّد النقويّ في (٢٣رجب سنة ١٣٥٠هـ)، وهي محفوظة برقم (٧٢/٤)[٢].

٣. كتاب(النصّ على عليّ عليه السلام)[٣] للشيخ المفيد، قُوبل مع السيّد النقويّ في (٢٣رجب سنة ١٣٥٠هـ)، والنسخة محفوظة برقم(٧٢/٥)[٤].

٤. كتاب(جواب مسألة في قصّة مارية القبطيّة)[٥] للشيخ المفيد، قُوبل وصُحّح

---

(١) طبعت عدّة طبعات؛ منها: طبعة المكتبة التجاريّة في النجف الأشرف سنة ١٣٧٠هـ، بعنوان(رسالة في تحقيق الخبر المنسوب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: **نحن معاشر الأنبياء لا نورّث**)، طبعة مكتبة المفيد في قمّ، مصوّرة على طبعة النجف الأشرف ضمن (عدّة رسائل) للشيخ المفيد، طبعة المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد في قمّ سنة ١٤١٣هـ، بتحقيق مالك المحموديّ بعنوان (رسالة حول حديث: **نحن معاشر الأنبياء**)، ضمن موسوعة (مصنّفات الشيخ المفيد) المجلّد العاشر، وأخرى ضمن موسوعة بعنوان(سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد) المجلّد العاشر، دار المفيد، ط١، قمّ، سنة ١٤٣١ق/ ١٣٨٩ش. (ينظر موسوعة الشيخ المفيد: ج١٣٨/٠)

(٢) ينظر يوميّات السيّد محمد صادق بحر العلوم: ١٥٧/١، فهرس مكتبة العلاّمة محمّد صادق بحر العلوم: ٩٥.

(٣) طُبع عدّة طبعات؛ منها: طبعة المكتبة التجاريّة في النجف الأشرف ملحقًا بـ(الثقلان)، طبعة مكتبة المفيد، قم، مصوّرة على طبعة النجف ضمن (عدّة رسائل) للشيخ المفيد، طبعة المؤتمر العالمي للشيخ المفيد في قمّ سنة ١٤١٣هـ، بتحقيق الشيخ محمّد رضا الأنصاريّ القميّ، ضمن موسوعة (مصنّفات الشيخ المفيد) المجلّد السابع، وطبع بتحقيق الشيخ مهدي نجف، وأخرى ضمن موسوعة أخرى بعنوان(سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد) المجلّد السابع، دار المفيد، ط١، قمّ، سنة ١٤٣١ق/ ١٣٨٩ش. (ينظر موسوعة الشيخ المفيد: ج١٤٢/٠)

(٤) ينظر: يوميّات السيّد محمّد صادق بحر العلوم: ١٥٧/١، فهرس مكتبة العلاّمة محمّد صادق بحر العلوم: ٩٦.

(٥) طُبع عدّة طبعات؛ منها: طبعة النجف سنة ١٣٧٠هـ في سلسلة (نفائس المخطوطات) بتصدير العلاّمة محمّد حسن آل ياسين، طبعة قمّ ضمن مجموعة (عدّة رسائل) للشيخ المفيد بالتصوير على الطبعة النجفيّة، طبعة المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد في قمّ سنة ١٤١٣هـ، وأخرى بتحقيق مهدي الصباحيّ ضمن موسوعة بعنوان(سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد) المجلّد الثالث، دار المفيد، ط١، قمّ، سنة ١٤٣١ق/ ١٣٨٩ش. (ينظر موسوعة الشيخ المفيد: ج٩٧/٠)

مـع السـيّد النقـويّ في(٢٣رجـب ١٣٥٠هــ)، محفوظ برقـم(٧٢/٦)[١].

٥. رسـالة في الغَيبة[٢] للشـيخ المفيد، قُوبلت مع السـيّد النقويّ في (٢٤رجب سـنة ١٣٥٠هـ)، محفوظة برقم (٧٢/٨)[٣].

٦. ورسـالة أُخـرى فـي الغَيبـة للشـيخ المفيـد، قُوبلـت مـع السـيّد النقويّ فـي عدّة مجالـس آخرهـا فـي يـوم الاثنين(٢٦رجـب سـنة ١٣٥٠هــ)، محفوظـة برقـم (٧٢/١٠)[٤].

٧. نسـخة كتـاب (النجعـة فـي إثبـات الرجعـة)[٥] للسـيّد النقويّ،قابلهـا مـع السـيّد محمّـد صـادق بحر العلوم في آخر سـاعة من نهار يوم (٢٨رجب سـنة ١٣٥٠هـ)، محفوظة برقـم (٧٣/٨)[٦].

ثالثًا: السيّد النقويّ وجُهوده في ترجمة الكتب:

إنّ ترجمـة الآثـار العلميّـة والأدبيّـة ؛ أي: نقلهـا من لغةٍ إلى أخرى، تلتـزم دقةً وتقيّدًا بقواعـد خاصّـة، بحيـث أصبحـت فَنّـا قائمًـا بذاتـه؛ للـدور المهـمّ الـذي تُؤديه فـي نقل

(١) ينظر: يوميّات السيّد محمّد صادق بحر العلوم: ١٥٧/١، فهرس مكتبة العلاّمة محمّد صادق بحر العلوم: ٩٦.

(٢) للشيخ المفيد رحمه الله عدّة رسائل في الغيبة؛ منها: أربع رسائل في غيبة الإمام الحجّة عليه السلام وجواب التساؤلات عنها، طبعت عدّة طبعات؛ منها: طبعة دار الكتب التجاريّة في النجف الأشرف سنة ١٣٧٠هـ في مجموعة خمس رسائل في إثبات الحجّة عليه السلام، وطبعة مكتبة المفيد بقمّ، بالتصوير على الطبعة النجفيّة في (عدّة رسائل) للشيخ المفيد، طبعة المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد في قمّ سنة ١٤١٣هـ، بتحقيق علاء آل جعفر، ضمن موسوعة (مصنّفات الشيخ المفيد) المجلّد السابع، وأخرى ضمن موسوعة بعنوان (سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد) دار المفيد، ط١، قمّ، سنة ١٤٣١ق/ ١٣٨٩ش. (ينظر موسوعة الشيخ المفيد: ج١٠٨/٠، ١٠٩، ١١٠)

(٣) ينظر فهرس مكتبة العلاّمة محمّد صادق بحر العلوم: ٩٧.

(٤) ينظر: يوميّات السيّد محمّد صادق بحر العلوم: ١٥٨/١، فهرس مكتبة العلاّمة محمّد صادق بحر العلوم: ٩٨.

(٥) طُبعت في مجلة الرضوان. (ينظر: الذريعة: ٩٣/١ رقم ٤٤٨، ٢٤/ ٦٨ رقم٣٤١، المنتخب: ٣٥١)

(٦) ينظر فهرس مكتبة العلاّمة محمّد صادق بحر العلوم: ١٠٧-١٠٨.

المعاني الأجنبيّة من صياغتها الأصليّة إلى القرّاء - على اختلاف ثقافتهم وألسنتهم - بأمانة ودِقّة ووضوح؛ إذ تُعدّ الترجمة في الوقت الحاضر من أهمّ الوسائل المعتمدة في تبادل الثقافات بين الشعوب[١].

وقد كان السيّد النقويّ رحمه الله من أهل هذا الفنّ؛ لأجادته اللغة العربيّة والإنكليزيّة والفارسيّة والأورديّة، ومن جهوده المبذولة في هذا المجال قيامه بالترجمة والتعريب لبعض الكتب والرسائل الفارسيّة والأجنبيّة، وخير مثال على ذلك قيامه بتعريب رسالة (نقد الفرائد في أصول العقائد)[٢] للطبسيّ[٣]، وقد أشاد السيّد شهاب الدين المرعشيّ رحمه الله[٤] على إثرها، بجهود السيّد النقويّ رحمه الله المبذولة في ترجمة هذه الرسالة بقلمه المعطاء، وذلك في كلمةٍ حرّرها ضَحوة الخميس لأربع بقين من رجب سنة (١٣٤٩هـ)، وهذا نصّها:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله على نواله، والصلاة على محمّد وآله، وبعد: حَدّقت نحو الحدائق وفَوّقت سهمي تلقاء الغرض الشائق، وطَرقت إلى ما يضيئ أخا الحِجا أسهل الطرائق، فما علل صداي[٥] كهذه الرسالة الشريفة، والعجالة المنيفة، أشبهت الدر في انتظامه، والثغر في ابتسامه، وقطر الندى في انسجامه...، وحيث

---

(١) ينظر المعجم الأدبيّ: ٦٤

(٢) هي رسالة في أصول العقائد باللغة الفارسيّة، مشتملة على ثلاثة أبواب وخاتمة؛ أمّا الباب الأوّل ففي معرفة واجب الوجود في أربعة فصول، والباب الثاني في النبوّة في مقامين، والباب الثالث في الإمامة، وفيه فصل واحد في الإمامة الخاصّة، والخاتمة في المعاد، طبعت في إيران سنة ١٣٤٩هـ.

(٣) ينظر: الذريعة: ٤٣٩/٢ رقم ١٧١٤، معجم المطبوعات النجفيّة: ١٦٣و٢٤٦، النفي والتغريب: نجم الدين الطبسيّ: ٥٢٨، مجلّة تراثنا ع٥٢: ٢٤٥.

(٤) ينظر ترجمته في: الإجازة الكبيرة للمرعشيّ: ٥١٩، المسلسلات: ١٥/١، ربع قرن مع العلاّمة الأمينيّ: حسين الشاكريّ: ٢٣٢.

(٥) كذا في المصدر.

كانـت هـذه الـدرة البهيّة، والجوهرة السـنيّة بالعجميّة، لا ينتفـع بها المنتحلون إلى أشـرف الألسـنة -أعني العربيّة-، شـمّر الذيل سـيّدنا الشـريف الطاهر، مركز المـكارم والمآثـر، شـمس سـماء الإفـادة، وقُطب رحـى السـعادة، المتعاطي من دنـان الحكـم أصفـى الحمـا[١]، والمتنـاول مـن غوامـض العلـوم مـا كان بالثريّـا، النجـم الطالـع مـن الأرجـاء الهنديّـة، والثغر المبتسـم فـي تلك الروضـة النديّة، سـيّدنا علـيّ نقـيّ النقـويّ اللكهنـويّ، لا زالت نمـارق إفاداته مصفوفـة، وزرابي فيوضاتـه مبثوثـة فـي ترجمتهـا، ولقـد أجـاد - دام عـلاه - وأفادنـي فـوق ما كان يُؤمل ويُـراد..»[٢].

وأيضًـا ترجمتُـه كتاب(الشـعائر الحسـينيّة فـي العـراق)، لمسـتر طامس لائـل، فأصل هـذا الكتـاب بالإنكليزيّـة، وقـد ترجمه السـيّد النقـويّ إلـى العربيّة[٣].

(١) كذا في المصدر.

(٢) نقد الفرائد في أصول العقائد: الطبسيّ: ملحق ٦.

(٣) ينظر: الذريعة: ١٩١/١٤ رقم ٢١٣٧، المنتخب: ٣٥١.

الخاتمة

نستعرض في هذه الخاتمة خُلاصةً لبحثنا هذا في عدّة نقاط، هي:

١. يُعدّ السيّد عليّ نقي النقويّ من جُملة الأعلام البارزين في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري؛ فقد سطع نجمه، وذاع اسمه في سماء علماء الإماميّة عبر المنجزات التي حقّقها في مسيرته العلميّة؛ في مجال التأليف، والنَّسْخ، والترجمة.. وغيرها.

٢. يُعدّ الموروث العلميّ الذي ورثه السيّد عليّ النقويّ عن أسرته، ثروةً علميةً، أغنته علميًّا وفكريًّا وأدبيًّا؛ إذ كان له الأثر الأكبر في بناء شخصيّته من الناحية العلميّة والأدبيّة والثقافيّة؛ ممّا جعله مولعًا بالكتب وجمعها، ومطالعتها، ونسخها، وترجمتها.

٣. إنّ النَّسْخ، والمُقابلة، والتّرجمة لها الدور الأساسيّ في حِفظ التراث ونشره عبر الأجيال، وأيضًا في كونها رافدًا للمكتبة الإسلاميّة بالمزيد من علوم السلف، في مختلف فنون العلم والأدب.

٤. تُعدّ النُّسَخ المنسوخة والمُقابلة من قِبل العَالِم أضبط وأدق من النُّسَخ التي ينسخها غيره من النسّاخ والورّاقين؛ وذلك لكون العالم أقدر على فهم النصّ بصورة صحيحة، ممّا يجنّبه الوقوع في الأخطاء التي غالبًا ما يقع فيها النسّاخ لجهلهم، وعدم معرفتهم بمراد المؤلِّف من النصّ.

٥. إنّ الاهتمام الذي أولاه السيّد النقويّ بنسخ الكتب والرسائل العلميّة، ومقابلتها، يعطي للأجيال صورةً واضحةً عن علو الهمّة لدى علمائنا رضي الله عنهم؛ تجلّت في كثرت نسخهم لهذا الموروث العلميّ؛ حفاظًا عليه من الضياع والاندراس.

٦. إنّ ممّا يقع على عاتق الكُتّاب والقُرّاء من أهل الفضل والاختصاص في الوقت الحاضر، هو حِفظ جهود هؤلاء الأعلام في النَّسْخ والمُقابلة والترجمة لتراثنا العلمي، وذلك عبر التصدّي لتحقيقه ونشره، سائرين في ذلك على خُطى السلف من العلماء والأدباء – رضوان الله عليهم-، في تحقيق تراث من سبقوهم ونشره.

المصادر والمراجع

أولا: المخطوطة

١. ديـوان نظـم الشّـتات مـن القصائـد والأراجيز وسـائر الأبيات: السـيّد النقـويّ (ت ١٤٠٨هـ)، مخطوط.

٢. السـيرة الذاتيّـة: السـيّد عليّ نقي النقـويّ (ت ١٤٠٨هـ)، مخطـوط، موجودة في مكتبـة السـيّد محمّد صـادق بحر العلـوم، ضمن مجموعة رقـم (٧٤/٦).

٣. الكشـكول (المجموعـة الثانيـة) مخطـوط، السـيّد محمّـد صـادق آل بحـر العلوم (ت١٣٩٩هـ)، موجـودة فـي مكتبته برقـم (١٠٧).

ثانياً: المطبوعة

١. إجـازات الدكتـور حسـين علـيّ محفـوظ (ت١٤٣٠هـ): عبدالكريم الدبـاغ، ط١، ١٤٣٢هـ.

٢. إجـازات الروايـة والاجتهـاد: السّـيد علـيّ النقـويّ (ت ١٤٠٨هـ)، تحقيـق: مركـز إحيـاء التـراث التابـع لـدار مخطوطـات العتبـة العباسـيّة المقدّسـة، دار الكفيل، كربـلاء المقدّسـة، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

٣. الإجـازة الكبيـرة: السـيّد شـهاب الديـن المرعشـيّ (ت١٤١١هـ)، إعـداد وتنظيم: محمّـد السـماميّ الحائـريّ، إشـراف: السـيّد محمـود المرعشـيّ، مكتبـة آيـة الله المرعشـيّ النجفـيّ- قـمّ، ط١، ١٤١٤هـ .

٤. الاسـتيعاب فـي معرفـة الأصحـاب: يوسـف بـن عبدالله بـن محمَّـد بن عبـد البر (ت٤٦٣هـ)، تحقيـق: علـيّ محمَّـد البجـاويّ، دار الجيـل، بيـروت، ط١، ١٤١٢هـ

٥. أعيان الشـيعة: السيّد محسـن الأمين العامليّ (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: السيّد حسن الأميـن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٦. أقـرب المجـازات إلى مشـايخ الإجازات: السـيّد علـيّ نقي النقـويّ (ت ١٤٠٨هـ)،

طبعة طبق الأصل، مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة، ١٤٣٧هـ /٢٠١٦م.

٧. الأمالي: الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قمّ، ط١، سنة ١٤١٤هـ.

٨. أمل الآمل: الشيخ محمّد بن الحسن، المعروف بالحرّ العامليّ (ت١١٠٤ه)، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ الأشكوريّ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

٩. أوراق الذهب: السيّد محمّد عبّاس الموسويّ الجزائريّ (ت١٣٠٦هـ)، تحقيق: محمّد سعيد الطريحيّ، مؤسّسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٠. البداية والنّهاية: إسماعيل بن كثير الدّمشقيّ (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عليّ شيريّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١١. تاريخ القزوينيّ في تراجم المنسيّين والمعروفين من أعلام العراق وغيرهم: الدكتور جودت القزوينيّ، الخزائن لإحياء التراث، بيروت، ط١، سنة ١٤٣٣هـ.

١٢. تذكرة الحفّاظ: محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ (ت٧٤٨هـ)، صُحّح عن النّسخة المحفوظة في مكتبة الحرم المكيّ، تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهنديّة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.

١٣. تراجم مشاهير علماء الهند: سيّد عليّ نقي النقويّ (ت ١٤٠٨هـ)، تحقيق: مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة، ط١، ١٤٣٥هـ.

١٤. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والأسناد: للشيخ محمّد بن عليّ الأردبيليّ (ت١١٠١هـ)، مكتبة المحمّدي.

١٥. الدرر البهيّة في تراجم علماء الإماميّة: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت١٣٩٩هـ)، تحقيق: وحدة التحقيق في مكتبة العتبة العباسيّة المقدّسة، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبّاسيّة المقدّسة، كربلاء المقدّسة، ط١، ١٤٣٤هـ.

١٦. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ (ت١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٧. ربـع قـرن مع العلامة الأمينيّ: حسـين الشـاكريّ، معاصر، طبع: سـتارة- قمّ، ط١، سنة ١٤١٧هـ.

١٨. رسـائل الشـعائر الحسـينيّة: الشـيخ محمّد الحسّون، مؤسسـة الرافد للمطبوعات، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٩. روضـات الجنّـات فـي أحـوال العلماء والسـادات: السـيّد محمّد باقر الخوانسـاريّ (ت١٣١٣هـ)، دار إحيـاء التـراث العربيّ، بيـروت، ط١، ١٤٣١هـ.

٢٠. رياض العلماء وحياض الفضلاء: الميرزا عبد الله أفندي الأصبهانيّ (ت حدود١١٣٠هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، قمّ، ١٤٠٣هـ.

٢١. ريحانـة الأدب: محمّـد علـيّ المـدرّس التبريـزيّ (ت ١٣٧٣هـ)، انتشـارات خيّام، طهـران، ط٤، ١٣٧٤هـ ش.

٢٢. سلسـلة مؤلّفـات الشـيخ المفيـد (ت٤١٢هـ)، ج٠ (حياة الشـيخ المفيـد)، بقلم: السـيّد حسـن الأميـن وآخريـن، دار المفيـد، قـم، ط١، ١٤٣١ق/١٣٨٩ش.

٢٣. سـير أعـلام النبـلاء: الحافـظ محمّـد بـن أحمـد بـن عثمـان الذهبـيّ (ت٧٤٨هـ)، تحقيـق: شـعيب الأرنـؤوط، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت، ط٩، ١٤١٣هـ.

٢٤. سـير أعـلام النبـلاء: محمَّـد بـن أحمـد بـن عثمـان الذّهبـيّ (ت٧٤٨هـ)، إشـراف وتخريـج: شـعيب الأرنـؤوط، تحقيـق: حسـين الأسـد، مؤسّسـة الرّسـالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.

٢٥. شـعراء الغـري: الشّـيخ علـيّ الخاقانـيّ (ت١٣٩٩هـ)، مكتبـة آيـة اللـه العظمـى المرعشـيّ النّجفـيّ، قـم، ١٤٠٨هـ.

٢٦. الطليعة من شـعراء الشـيعة: الشيخ محمّد طاهر السماويّ (ت١٣٧٠هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوريّ، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٧. عمـدة الطالـب فـي نسـب آل أبـي طالـب: أحمـد بـن علـيّ الحسـينيّ(ابن عنبـة) (ت٨٢٨هـ)،تحقيـق:السـيّدمحمّـدالمعلـم،منشـوراتالمكتبـةالحيدريّـة-قـم،ط١.

٢٨. فهـرس مكتبـة العلّامة السـيّد محمّد صادق بحر العلوم: أحمـد عليّ مجيد الحلّيّ،

مؤسّسة تراث شيعة، قمّ، ط١، ١٤٣١هـ.

٢٩. قواعد تحقيق المخطوطات، الدكتور صلاح الدين المنجد(ت١٤٣١هـ)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٣٠. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: عليّ أكبر غفّاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٣١. الكلينيّ والكافي: الشيخ عبد الرسول الغفّار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقمّ المشرّفة، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٢. الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة: الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ (ت١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، سنة١٤٣٠هـ.

٣٣. لسان العرب: محمّد بن مكّرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قمّ، ١٤٠٥هـ.

٣٤. لسان الميزان: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.

٣٥. ماضي النجف وحاضرها: الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (ت ١٣٧٧هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٢،١٤٣٠هـ.

٣٦. مجمع البحرين: الشّيخ فخر الدِّين الطّريحيّ (ت١٠٨٥هـ)، ضبطه وصحّحه: نضال عليّ، منشورات: مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣٧. المسلسلات في الإجازات: السيّد شهاب الدين المرعشيّ (ت١٤١١هـ)، جمع: السيّد محمود المرعشيّ، مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، قمّ، ١٤١٦هـ.

٣٨. مصفّى المقال في مصنّفي عِلْم الرجال: الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ (ت١٣٨٩هـ)، صحّحه ونشره: أحمد منزويّ، المطبعة الوطنيّة، إيران، ط١، ١٣٧٨هـ.

٣٩. معارف الرجال: الشيخ محمّد حرز الدين (ت١٣٦٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمّد حسين حرز الدين، مطبعة الآداب- النجف الأشرف، ١٣٩١هـ.

٤٠. معجم الأدباء من العصر الجاهليّ حتّى سنة ٢٠٠٢، كامل سلمان الجبوريّ،

منشـورات: دار الكتـب العلميّـة، بيـروت، ط١، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

٤١.المعجم الأدبيّ: جبّور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢ ١٩٨٤م.

٤٢.معجـم اللغـة العربيّـة المعاصـرة: أحمد مختـار عبـد الحميد(ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتـب، القاهـرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٣.معجم المصطلحات البلاغيّة: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢٠٠٧.

٤٤.معجـم المطبوعات النجفيّة: محمّـد هادي الأمينيّ (ت١٤٢٥هـ) مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

٤٥.معجـم المؤلَّفـات الإسـلاميّة في الرّد علـى الفرقة الوهابيّة: عبد اللـه محمّد عليّ، دار الصدّيقة الشهيدة عليها السلام، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٤٦.معجـم رجـال الفكـر والأدب فـي النجـف خـلال ألـف عام: الشـيخ محمّـد هادي الأمينـيّ (ت١٤٢٥هـ)، ط٢، ١٤١٣هـ.

٤٧.معجـم مصطلحـات الحديـث وعلومه وأشـهر المصنّفيـن فيه: الدكتـور محمّد أبو الليـث الخيـر آباديّ، دار النفائـس ط١، ٢٠٠٩م.

٤٨.معجـم مصطلحـات المخطـوط العربـيّ: أحمـد شـوقي بنبيـن، مصطفـى طوبي، المطبعـة والوراقـة الوطنيّـة، مراكـش، ط١، ٢٠٠٣.

٤٩.معجـم مصطلحـات النقد العربـيّ القديم: الدكتـور أحمد مطلـوب، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٥٠.المفصّـل فـي تراجـم الأعـلام: السـيّد أحمـد الحسـينيّ، نشـر: مجمـع الذخائـر الإسـلاميّة، ط١، ١٣٩٣ش/ ١٤٣٦ق/ ٢٠١٥م.

٥١.المنتخـب مـن أعـلام الفكـر والأدب: الشـيخ كاظم عبّـود الفتـلاويّ (ت١٤٣١هـ)، مؤسّسـة المواهـب، بيـروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٥٢.منتهـى المقـال فـي أحـوال الرجـال: الشـيخ محمّـد بـن إسـماعيل (أبـو علـيّ الحائـريّ) (ت١٢١٦هـ)، تحقيق ونشـر: مؤسّسـة آل البيـت عليهم السلام لإحياء التراث، قـمّ، ط١، ١٤١٦هـ.

٥٣. النفي والتغريب، الشيخ نجم الدين الطبسيّ، مجمع الفكر الإسلامي، مؤسسة الهادي، قمّ، ط١، ١٤١٦هـ.

٥٤. نقباء البشر في القرن الرابع عشر: الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ(ت١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.

٥٥. نقد الفرائد في أصول العقائد: محمّد رضا الطبسيّ الخراسانيّ، ترجمة: السيّد عليّ نقي اللكهنويّ، طبعة حجريّة، مطبعة أميد، طهران.

٥٦. وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان: ابن خلّكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثّقافة، لبنان.

٥٧. يوميّات السيّد محمّد صادق بحر العلوم: السيّد محمّد رضا الجلاليّ، إصدار مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة، مطبعة دار الكفيل، كربلاء، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م.

ثالثاً: المجلات والدوريات

٥٨. مجلّة الرضوان الهنديّة: مجلّة شهريّة، سنتها عشرة أشهر، تصدر في بلاد الهند، لكهنو، مديرها: محمّد عسكريّ نقويّ، العدد١و٢و٣و٤ و٥ و٧ و٩و١١من السنة الأولى (١٣٥٣-١٣٥٤هـ)، العدد١و٢و٤ و٦و٧ من السنة الثانية(١٣٥٥هـ)، العدد ٢و٣ السنة الثالثة(١٣٥٦هـ)، العدد ١و٢ من السنة الخامسة (١٣٥٨هـ).

٥٩. مجلّة تراثنا: نشرة فصليّة، إعداد ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- قمّ المقدّسة، عدد٢٩ لسنة١٤١٢هـ، العدد٤٤ لسنة ١٤١٦هـ، العدد٥٢ لسنة ١٤١٨هـ.

٦٠. مجلّة ميراث برّ صغير: مركز إحياء آثار برّ صغير، شماره (١-٢)، محرم الحرام، جمادي الثاني، ١٤٣٢هـ ق .

مخطوطات مكتبة الإمبروزيانا في ميلانو
الحفظ الوقائيّ والترميم

Manuscripts of the Ambrosiana Library in Milan
Preventive preservation and restoration

الأستاذ المساعد الدكتور عليّ فرج العامريّ
مكتبة الإمبروزيانا/ ميلانو
إيطاليا

Assistant Professor Dr. Ali Faraj Al-Amiri
Ambrosiana Library / Milan
Italy

الملخّص

أصبح الاتّجاه نحو الحفظ الوقائيّ اختياراً عالميّاً، هدفه المحافظة على الموروث الثقافيّ الإنسانيّ من الضياع، ومن هنا رأينا الإفادة من الخبرات التي بلغتها المدرسة الأوربية، ولا سيّما إيطاليا في هذا المجال، وذلك بحكم عملي خبيراً بالمخطوطات العربيّة والآراميّة والسريانيّة والعبريّة في أهمّ مكتبة أوربية تابعة لدولة الفاتيكان؛ ألا وهي الإمبروزيانا.

يتضمَّن هذا البحث عرض العوامل الرئيسة التي تهدّد الكتاب مخطوطاً أو مطبوعاً، وتحديداً القديم منها وتحليلها، فضلاً عن سُبل مكافحتها ودرء أخطارها المختلفة، وهي: العوامل الفيزيوكيمائيّة الخارجيّة، والعوامل البيولوجيّة مثل: الحشرات، والعوامل الميكروبولوجية، مثل: البكتريا، والفطريات.

واستند الجزء الأوّل من هذه الدراسة إلى الاستطلاعات واللّقاءات الميدانيّة التي أجريناها مع بعض العاملين والقيّمين على مكتبة الإمبروزيانا في ميلانو، وكذلك مع خبراء المَخبَر المعروف بـ(Abbazia di Viboldone)، ودراسة بعض نماذج الصّيانة المنجزة، أمّا الجزء الثاني فقد استند إلى ما اكتسبناه من خبرات سواء عِبْرَ الدورات التدريبيّة في هذه المكتبة أم عِبْرَ الحلقات الدراسيّة في أثناء دراستنا للدكتوراه في علم الآثار من جامعة أودينه.

لا ندّعي أنّ هذا البحث كامل شامل فالكمال وتمام العلم لله تعالى عزّ وجلّ، إلّا أنّنا على يقين بأنّه يُعدّ مقدّمة تفيد في حلّ العديد من المشاكل المرتبطة بوقاية المخطوط وصيانته ومعالجته.

Abstract

The trend towards preventive conservation has become a global choice. Its goal is to preserve the cultural heritage of humanity from loss. Hence, we can benefit from the experiences of the European School particularly the Italian one in this field. Since I am an expert in Arabic, Aramaic, Syriac and Hebrew manuscripts in the most important European library belonging to the Vatican State, Ambrosiana.

This paper presents the main factors that threaten the books, written or printed, specifically the old ones and analyzing them as well as ways to reduce and to prevent their various dangers such as: external physiochemical factors, biological factors such as insects, and microbiological factors such as bacteria and fungi.

The first part of this study based on surveys and site meetings with some of the staff and administrators of the Ambrosiana Library in Milan, as well as with laboratory experts known as Abbazia di Viboldone, and the study of some completed samples of maintenance. The second part based on the experience gained both through training courses in this library and through our doctoral study in archeology from the University of Udine.

We do not claim that this research is comprehensive, the perfect and complete knowledge is only for Allah Almighty, but we are confident that it is an introduction to solving many of the problems associated with the protection and maintenance of the manuscripts.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الكامل في صفاته، والصلاة والسلام على أشرف بريته سيّدنا ونبيّنا محمّدٍ وآله الطيبين الطاهرين المعصومين.

مهما بلغ العلم في تقدّمه مكتشفاً آلة الحاسوب وما شابه من وسائل حاولت وتحاول إزاحة الكتاب عن محلّه، يبقى الأخير ثابتاً حاسماً النزاع في الدنيا والآخرة.

أصل كلمة (مخطوطة) مشتقّة لغةً من خطّ يخطّ، أي: كتب يكتب، أو رسم الحروف بحروف هجائيّة، والمخطوط اصطلاحاً: هو النسخة الأصلية التي كتبها المؤلّف بخطّ يده، أو سمح بكتابتها، أو أقرّها، أو ما نسخه الورّاقون بعد ذلك في نسخٍ أخرى منقولة عن الأصل، أو عن نسخٍ أخرى غير الأصل؛ وعليه فالمخطوط هو الكتاب الذي كُتب باليد، وهو مصطلح حديث ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع.(١)

يعرّف الدستور الإيطاليّ في مادّته التاسعة التراثَ المكتوب بأنّه: جزء لا يتجزأ من التراث الثقافيّ والتاريخيّ.(٢) وتقع مَهمّة ضمان صيانة المجموعات ونَسخ الوثائق الأصليّة ووقايتها على عاتق فنّيّي المكتبات وأمنائها، بل هي جزء أساسيّ من أعمالهم؛ ذلك لأنّ حماية هذا القسط المهم من الذاكرة التاريخية للمجتمع تمثل جانباً أساسيّا

(١) يُنظر: معجم اللغة العربيّة المعاصرة: أحمد مختار عمر: ٦٦٢/ ٦٦٥، معجم مصطلحات المخطوط العربيّ (قاموس كوديكولوجيّ): أحمد شوقي بنبين و مصطفى طوبي: ٣٢٠.

(٢) لا تقتصر هذه الموادّ على القطع والآثار التذكاريّة المستقلة النّادرة؛ كالمخطوطات وأوائل المطبوعات، فضلاً عن الكتب القديمة والنادرة بشكلٍ عام، وإنّما على المجاميع المكتبيّة والأرشيفيّة المحفوظة في المكتبات والمعاهد. للمزيد بشأن الدستور الإيطاليّ يُنظر الموقع الآتي ويتضمن معظم دساتير دول العالم وباللغة الإنكليزيّة.

http: //www.constitution.org/cons/natlcons.htm

من الحفاظ على هويته التاريخيّة والثقافيّة، وتعمل إيطاليا على تشجيع تنمية النشاط الثقافي والبحث العلميّ والفنيّ، وحماية التراث الماديّ والتاريخيّ والثقافيّ والفنيّ الوطنيّ بحسب قوانينها وتشريعاتها الدستوريّة.

إذاً تُعدّ المخطوطات إحدى ثروات الإنسانيّة؛ فهي التراث المخطوط الذي تتفاخر المكتبات العالميّة وتتبارى على ذلك، تراث يحمل في طيّاته شتّى الكنوز المعرفيّة الهائلة، بل راحت هذه المكتبات وغيرها من المؤسسات تتنافس في تهيئة أحدث الخبرات والوسائل الفنيّة الهادفة لحفظها ووقايتها؛ ذلك لتوخّي الإفادة القصوى من قيمتها العلميّة، عِبر تيسيرها أمام الباحثين. ومن هنا دعت الحاجة إلى بحث طرائق الحفاظ عليها، لاسيّما في مكتبةٍ مثل مكتبة الامبروزيانا، التي تضمّ أندر المخطوطات العربيّة التي تنتظر التحقيق.

لا شكّ أنّ مناهج حفظ المخطوط ووقايته من الآفات قد تطور تطوّراً كبيراً في الآونة الأخيرة، ومواكبة منّا- نراها ضروريّةً في هذا المضمار- أخذنا في مكتبة الإمبروزيانا بانتهاج خطواتٍ واسعة؛ فلطالما حافظت هذه المكتبة على الريادة والصدارة والجودة في الوقت ذاته.

أهداف البحث:

١. سعينا بدايةً إلى تسليط الضوء على مكتبة الإمبروزيانا، مقدِّمين عرضاً سريعاً بشأن تاريخها وسياستها والتعريف بمفاصلها، وما تقتنيه من أبرز النوادر القيّمة.

٢. التعرُّف على أهمّ عوامل تلف المخطوطات، وكيفية معالجتها وصيانتها وترميمها؛ سواء في مخبر بـ(ابّازيا دي فيبولدوني di Viboldone Abbazia) الذي سيرد تعريفه لاحقاً أم في المعهد المركزيّ لأمراض الكتاب الواقع في روما.

٣. التعرُّف على الطرائق المتّبعة في مكتبة الإمبروزيانا المتعلّقة بشروط الصيانة والحفظ الوقائيّ.

خطّة البحث وأدواتها:

استند جزء من هذا البحث إلى الاستطلاعات واللقاءات الميدانيّة التي أجريناها مع بعض العاملين والقيّمين على مكتبة الإمبروزيانا في ميلانو، وكذلك مع خبراء المخبر المعروف باسم (ابّازيا دي فيبولدوني di Viboldone Abbazia)، ودراسة بعض نماذج الصيانة المنجَزة، فضلاً عن أخذ نماذج مصانةٍ من المعهد المركزيّ لأمراض الكتاب التابع لوزارة التراث والثقافة في الجمهوريّة الإيطاليّة. أمّا الجزء الآخر فقد استند إلى ما اكتسبناه من خبراتٍ؛ سواء عِبْر الدورات التدريبيّة في هذه المكتبة، أم عِبْر الحلقات الدراسيّة في أثناء دراستنا الدكتوراه في علم الآثار في جامعة أودينه.

وعليه فقد اعتمدنا في البحث المنهج الميدانيّ الوصفيّ في دراسة أهمّ عوامل تلف المجموعات، وجمع بيانات الحفظ الوقائيّ للمخطوط وترميمه في المخابر المعنيّة. و قمنا بمعاينة خطوات الصيانة والترميم ودراستها، ولم نستثنِ أحدث المصادر والأبحاث العلميّة ذات العلاقة التي كان لها دورٌ في إغناء البحث.

لا ندّعي أنّ هذا البحث كامل شامل، فالكمال وتمام العلم لله تعالى عزّ وجل، إلّا أنّنا على يقينٍ بأنّه يُعدّ مقدّمةً تفيد في حلّ العديد من المشاكل المتعلّقة في وقاية المخطوط وترميمه.

وسنقوم بعرض مادّة البحث في ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: التعريف بمكتبة الإمبروزيانا وبعض المؤسسات المتعاونة معها في مجال الصيانة والترميم.

المحور الثاني: الحفظ الوقائيّ: مفاهيم عامّة.

المحور الثالث: الترميم ومراحله في مخبر (ابّازيا دي فيبولدوني Abbazia di Viboldone).

المحور الأول
التعريف بمكتبة الإمبروزيانا وبعض المؤسسات المتعاونة معها في مجال الصيانة والترميم

أولاً: مكتبة الإمبروزيانا ومفاصلها:

يُعدّ الكاردينال (Federico Borromeo) المؤسِّس الأوّل لمكتبة الإمبروزيانا؛ فقد أسّسها في مدينة ميلانو الإيطاليّة في السابع من شهر أيلول من عام (١٦٠٧م)، وتمّ افتتاحها في الثامن من شهر كانون الأول من عام(١٦٠٩م)، وكانت من بين أوائل المكتبات التي شرّعت أبوابها أمام الناس؛ وهذا بفضل مؤسّسها الذي خطّط لها بأن تكون مركزاً دراسيّاً وثقافيّاً، ثمّ لتتوسّع وتزدهر عِبْر إضافة مؤسساتٍ أخرى؛ منها على سبيل المثال: مجلس الأكاديميّين في عام (١٦٠٧م)، ومعرض الفنون التشكيليّة في عام (١٦١٨م)، ومعهد الفنون لتعليم الرسم والنحت والهندسة العماريَّة في عام (١٦٢٠م)، ومجلس اللغات الثلاث، ومجلس الخريجين في عام (١٦٢٥م).

جمع الكاردينال (Federico Borromeo) لمكتبته- التي سُمّيت باسم (امبروزيانا) تيمّناً باسم القدّيس راعي ميلانو آنذاك- عدداً كبيراً من المخطوطات باللغة الإغريقيّة، واللاتينيّة، والإيطاليّة، ولغاتٍ شرقيّة متعدّدة، وتشتمل المكتبة على مقتنياتٍ نفيسة لمجموعات مكتبة كاملة من مؤسساتٍ دينيّة؛ منها على سبيل المثال: دير القدّيس (بينيديتّو) في كوبيو San Benedetto a Gubbio، ودير (القدّيس أوغستين San Agostino) للقدّيسة ماريّا المُتوَّجَة، ومكتبة كابيتولو ميتروبوليتانو Capitolo Metropolitano في ميلانو، فضلاً عن تلك التي من أصل مجموعاتٍ خاصّة مهمّة؛ منها التي تعود إلى جان فينجنزو حينيلّي Gian Vincenzo Pinelli، و جيسره روفيدا Cesare Rovida، و فرانجيسكو جيجيري Francesco Ciceri، بما في ذلك جميع العلماء البارزين والمولعين بالكتب في القرن السادس عشر. وقام عدد كبير من

المتبرّعين في القرن التاسع عشر بإغناء مكتبة الإمبروزيانا بمجموعاتٍ كبيرة من الكتب النادرة.

تُعدّ مكتبة الإمبروزيانا واحدةً من أهمّ المكتبات على الصعيدين الإيطاليّ والعالميّ؛ وذلك نظراً لاتّساع مجموعاتها وعدد مخطوطاتها النفيسة؛ منها: العربيّة الإسلاميّة، والسريانيّة، والفارسيّة، والعبريّة، والتركيّة، وغيرها من اللغات، وتعدّ المجموعة العربيّة الإسلاميّة من أغناها؛ فهي تتناول علوم الطبّ، والكيمياء، والرياضيات، والفلك، والفيزياء، والفقه السنيّ بمدارسه المعروفة، والشيعيّ بمدارسه؛ مثلاً: الإماميّة، والزيديّة، والإسماعيليّة، فضلاً عن علوم النحو، والصرف، والعروض، والتربية، والتعليم، وغيرها. وعليه فهي تضمّ مجاميع نفيسةً متنوّعة نادرة من المخطوطات الجديرة باهتمام الباحثين؛ فقد مثّلت مختلف العصور والحضارات، وتعتني المكتبة بمخطوطاتها اعتناءً فائقاً، ويعمل خبراؤها على صيانتها وحفظها وترميمها وفهرستها؛ ليستفيد منها الباحثون في التراث العربيّ والإسلاميّ، وتعمل المكتبة على قدمٍ وساق على زيادة ما تقتنيه من المخطوطات، وتطوير طرائق الاعتناء بها ووسائله فنيّاً وتقنيّاً.

تعاقَب على إداراتها مجموعة من العلماء اللّامعين والمحافظين؛ منهم على سبيل المثال: الميلانيّ جوزيبّه ريمبونتي Giuseppe Ripamonti، والعالم اللغويّ والمؤرّخ الكبير لودوفيكو انتونيو موراتوري Ludovico Antonio Muratori، و جوزيبّه انتونيو ساسّي Giuseppe Antonio Sassi، و كذلك علماء كبار مختصّون بالكتابات القديمة؛ منهم على سبيل المثال: ماي انجيلو Angelo Mai، و انتونيو ماريا جيجيري Antonio Maria Ceriani، و Giovanni Mercati، و راتّي اكيلّه Achille Ratti الذي أصبح فيما بعد البابا وباسم بيوس Bios الحادي عشر.

تشتهر المكتبة باهتمامها بالمجالات الآتية: الكلاسيكيّة، والتاريخيّة، والأدبيّة، والدينية؛ ولاسيّما تلك التي تُعنى بدراسة القديم، ويديرها مجلس الأكاديميين، ويرأسه المحافظ، ويشرف هذا المجلس على نشاطات المكتبة الثقافيّة، يديرها أيضاً مجلس الأمناء ويرأسه رئيس، وتُناط بهذا المجلس إدارة المكتبة.

وتجدر الإشارة إلى أنّها تحتوي- من بين مجموعات المكتبة النفيسة جداً بوجهٍ خاصّ- على مجموعة المكتبة العربيّة والشرقيّة التي تتسم بأهميتها وندرتها المتميّزة؛ وتتمثّل في مكتبة (كارلو Carlo Salvioni) لدراسة اللهجات واللغات، ومجموعة (انريكو كاسانوفا Enrico Casanova) للشعارات ورموز النبالة، وهناك طروس أو صحف عديدة مع نوادر ثمينة للغاية؛ منها على سبيل المثال: بقايا رقّ فريدة من المسرحية الكوميديّة فيدولاريا Vidularia التي كتبها بلاوتوس Plautus وتعود إلى القرن الخامس، وكذلك جزء من النسخة الغوطية لنصوص الكتاب المقدّس التي وضعها أسقف الغوطيّين آريوسي Ariosi، فضلاً عن العديد من المخطوطات المزخرفة الجميلة؛ مثل: منمنمة (كريستوفورو دي Cristoforo di Brides) لكتاب صلاة برومیو Borromeo، أو مخطوطة اولو جِلّيو Aulo Gellio المزخرفة والموقّعة باسم كوليلمو جيرالدي Guglielmo Giraldi. ومع ذلك تبقى المواد الآتية هي الأكثر أهمية:

مخطوطة الياس بيكتا Ilias Picta التي تعود إلى القرن الخامس، ومخطوطة الشهير فيرجيليو Virgilio إذ علَّق في هامشها فرانجيسكو بيترارکا Francesco Petrarca، وزخرَفها سيمونه مارتيني Simone Martini، وكتابات جوزيبّه فلافيو Giuseppe Flavio على ورق البردي التي تُرجمت إلى اللغة اللاتينيّة، ومخطوطة نسخة بانكور Bangor، و هيكسابلا Hexapla، أي: السداسيّة السريانيّة للكتاب المقدّس. علاوةً على ذلك هناك العديد من المخطوطات الأصليّة؛ منها: تلك التي تعود إلى دي بروسبكتيفا بينجيندي De prospectiva pingendi التي كتبها بيرو ديلّا فرانجيسكا Piero della Francesca، وأخرى باسم الشاعر مارزيله Marziale التي أعاد كتابتها بوكّاجّو Boccaccio بشكلٍ كامل، وأخرى عن حياة كيودوبالدو دا مونتِيفلترو Guidobaldo da Montefeltro التي كتبها بيترو بيمبو Pietro Bembo وسُمّيت بالاسم نفسه. وأخرى كُتبت من القدّيس توماسو داكوينو Tommaso d'Aquino، و اريوستو Ariosto، و مايكّيافيلّي Machiavelli، و تاسّو Tasso، و كاليليو Galileo، فضلاً عن مجموعات مكتبةٍ كاملة لجوزيبّه بارِيني Giuseppe Parini، و جيزاريه بيكّاريه Cesare Beccaria.

ومـن المصنّفات الثمينة النفيسـة نذكر نسـخة ديكاميـرون Decameron التي طبعها كريسـتوف فالدارفيـر Christoph Valdarfer (فينيتسـيا١٤٧١ Venezia)، والعديـد مـن الطبعـات الأولـى التـي تعـود إلـى القـرن الخامـس عشـر، وتضـمّ المكتبـة أيضـاً العديـد مـن المخطوطـات الثمينـة المجلّدة والوثائـق المطبوعة؛ فمن بيـن المجموعات الخاصة هنـاك طبعـات (مانوتزيـو آلـدو)، و جوزيبّـه كومينـو Giuseppe Comino، و جـان باتيسـتا بودونـي Gian Battista Bodoni، فضـلاً عن مجموعةٍ غنيّة جداً من الرسـومات والنقـوش والمطبوعـات تشـتمل علـى ما يقرب من أربعيـن ألف مادّة، أخيـراً وليس آخراً هنـاك مجموعـة الأوسـمة التي تتكـون من أكثر من عشـرين ألف قطعةٍ نقديّـة وميدالية بمـا في ذلـك بعض المـوادّ ذوات القيمـة العالية.

مفاصل المكتبة:

١. متحف فنون الإمبروزيانا:

عمـل Federico Borromeo فـي أثنـاء إقامتـه فـي رومـا راعيـاً لأكاديميّـة القدّيـس Luca التـي خطّـط لهـا البابا غريغوري الثالث عشـر في عام (١٥٧٧م)، وتـمّ افتتاحها عام (١٥٩٣م).

وبعـد أن حـلَّ بـه المقام في مدينـة ميلانو ليصبح رئيسـاً لأسـاقفتها كان هدفه آنذاك تأسـيس أكاديميّـة فنيّـة هناك على غـرار مثيلتيها فـي فلورنس وروما.

وعليـه وفـي (٢٨) نيسـان (١٦١٨م) تبـرّع الكاردينـال عبـر كتـابٍ موثّـق إلـى مكتبـة الامبروزيانـا- التي كانت قد شـرّعت أبوابها أمام الجمهور منـذ عام (١٦٠٩م)- بمجموعته الخاصّـة المكوّنـة مـن اللوحات، والرسـومات، والمطبوعـات، والمنحوتات.

ومـن هنـا نشـأت النـواة الأصليّـة لمتحـف الإمبروزيانـا للفنـون؛ الـذي عُـرِف بــ:(Pinacoteca) وقُـدّر لـه أن يصبـح فـي غضـون القرون الأربعـة اللاحقة أكثـر أهمية؛ وذلـك عِبـر إضافـة العديد من روائـع الفنّ الإيطالـيّ والأوربيّ، ومع ذلك فـإنّ الكاردينال لـم يتوقّـع لهـذا المتحـف أن يكـون مجـرد متحـفٍ يضـمّ الأعمـال الفنيّـة فحسـب؛ بـل

إنّه أصبح وسيلةً تعليميّة كذلك، وفي الحقيقة فقد قام في عام (١٦٢٠م) بتأسيس أكاديميّة للرسم داخل متحف الامبروزيانا للفنون، هدفها تعليم الرسم، والنحت، والهندسة العماريّة.

وأُضيف إلى هذا المتحف في عام (١٧٥١م) مجموعة متحف Settala؛ وهي مجموعة غنيّة جداً من الموادّ أو اللُّقى الطبيعيّة والاثنوغرافيّة، فضلاً عن الأدوات العلميّة النادرة التي جمعها القسّ الميلانيّ Manfredo Settala (١٦٠٠ –١٦٨٠م)، التي أصبحت هي الأخرى جزءاً أساسيّاً من متحف الفنون في الامبروزيانا.

يُعدّ متحف الإمبروزيانا للفنون أول متحفٍ فنّيّ في العالم يفتح أبوابه للجمهور؛ إذ انفرد ومنذ بداية تأسيسه بارتباطه هيكليّاً بمجلس الأكاديميّين، والأكاديميّة، والمكتبة؛ وذلك بهدف النهوض بواقع الدراسات الأدبيّة والعلميّة والفنيّة، وبأسلوبٍ ممنهج موحّد. وفي الوقت الحالي فإنَّ واقع مسار متحف الإمبروزيانا للفنون لا يمثل مجرد واقعٍ مُتحفيّ فحسب- في إشارةٍ إلى قاعات متحف الفنون الحالي- بل إنّه يوفر كذلك فرصةً لزيارة المبنى الضخم بشكلٍ كامل؛ منها على سبيل المثال:

- كنيسة القدّيسة ماريا مادّالينا Maria Maddalena في ضريح القدّيس سيبولكرو Sepolcro، إذ تعود إلى الألف الأول.
- جزء من البناية يعود إلى القرن السابع عشر، يشتمل على صالة المكتبة الأصلية التي اشتهرت باسم صالة فيديريكجانا Federiciana؛ وهي الصالة القديمة لكهنة القدّيسة كورونا Corona، مع لوحةٍ جداريةٍ رائعة من عمل بيرناردينو ليوني Bernardino Luini.
- الأجزاء التي عَمَّرها المحافظ جوفانّي كالبياتي Giovanni Galbiati وذلك أثناء عامي (١٩٢٩م) و (١٩٣١م)، حيث جعلها بطابعٍ تَمَيَّزَ بالجماليّةِ التي كانت تقليداً يومئذٍ، فأضاف الفناء المعروف باسم (فناء الأرواح العظيمة)، إذ يُمكن للناظر مشاهدته من خلال شُرفة صالة مُتحف الفنون مع مجموعته الأثريّة النّفيسة. وترى اليوم في الغرف المواجهة للفناء التقليديّ الحديث قاعةَ مطالعة المكتبة، وتعدّ غالبية مجموعة الكاردينال (بورميو) تقريباً النواة

الأصليّة لمعروضات متحف الفنون.

وتُعرض في القاعات الأخرى الأعمال الفنيّة التي أصبحت جزءاً من متحف الإمبروزيانا للفنون؛ وذلك على أثر تبرّع مؤسسها، وهي تغطي حقبةً واسعةً كاملةً من تاريخ الفنّ بخاصّة الإيطاليّ؛ ابتداءً من عصر النهضة إلى القرن التاسع عشر، ومن بين جميع هذه المجموعة يمكن ملاحظة الأعمال المُهمّة الآتية:

- النسخة الأصليّة التحضيريّة للرسوم المتحركة لمدرسة أثينا من أعمال المتفنّن رافائيلّو سانزيو Raffaello Sanzio.
- لوحة الموسيقي للمتفنّن ليوناردو دافينشي.
- لوحة المرأة، أو الفتاة ذات اللؤلؤة التي اقتناها فيديريكو بروميو Federico Borromeo ونسبها بصراحةٍ إلى ليوناردو دافينشي Leonardo da Vinci.
- لوحة سلّة الفاكهة لمايكل انجلو ميريزي Michelangelo Mirizzi، والمعروف باسم كارافاجّو Caravaggio.
- لوحة السيّدة العذراء مع الطفل والملائكة الثلاثة لسنادرو بوتّيشيلي Sandro Botticelli.
- لوحة عشق المجوس للرسام تيتسيانو فيتشيلّيو .Tiziano Vecellio
- أعمال الرسّام Jan Brueghel يان بروخ؛ وهي بتكليف مباشر من الكاردينال(فيدريكو Federico) للرسّام الهولنديّ، وهما مزهريتا ورد، و اثنتا عشرة قربة، وعناصر الماء والنار.

ومن بين الأشياء المعروضة في واجهات العرض والخِزانات الزجاجيّة المنتشرة في جميع أنحاء القاعة التي يمكن مشاهدتها خِزانة تضمّ ضفيرة شعرٍ أشقر تعود إلى لوكريزيا بورجا Lucrezia Borgia. وأخيراً هناك مجموعة من اللُّقى الأثرية النفيسة؛ هي عبارة عن أحجار مذبح رومانيّ يونانيّ قديم، فضلاً عن شواهد قبور، وهي محفوظة في الفناء المعروف باسم (فناء الأرواح العظيمة)، ويُمكن مشاهدتها من القاعة، ويُمكن تمييز الرصيف الفسيفسائيّ الذي يزيّن بهواً مُعمَّداً من قاعة (فيديريكو)؛ وهو يعود إلى القرن الرابع ومأخوذ من الحمامات الرومانيّة، وتحديداً

إلى حقبة مدينة ميلانو القديمة. وفي المكتبة بجوار المخطوطات العديدة المزخرفة التي تعود إلى العصور الوسطى وعصر النهضة يمكن العثور على جميع الرسوم البيانيّة التي تعدّ في غاية الأهمية بالنسبة إلى جودتها وكميتها؛ وهي ما يقارب من أربعين ألف من الرسوم والنقوش والمطبوعات، ومن بين أهمّ المتفنّنين الجديرين بالذكر وأشهرهم؛ هما: البريخت دورير Albrecht Dürer، بيزانيلّو Pisanello.

وتبقى مخطوطة اتلانتكس الشهيرة لليوناردو دافينشي Leonardo da Vinci الكنز الأنفس علميّاً وفنيّاً في مكتبة الامبروزيانا، التي تبرّع بها ماركويس كاليازو اركوناتي Marquis Galeazzo Arconati في عام (١٦٣٧م)؛ فهي تشتمل على (١١١٩) صفحةً أصلية، وعلى ما يقارب من ألفين من الرسومات، والمذكرات، والتعليقات، وملاحظاتٍ تتعلّق بسيرته الذاتيّة، ودراساتٍ في مختلف الاختصاصات؛ مثل: الهندسة الهيدروليكيّة، البصريات، التشريح، الهندسة العماريّة، الرياضيات والفلك.

٢. أكاديميّة الإمبروزيانا:

أسّسها رئيس أساقفة ميلانو الكاردينال (فديريكو بورّميو Federico Borromeo) في (٢٥) حزيران من عام (١٦٢٠م) تحت اسم (أكاديميّة فنّ الرّسم)، هدفها تعليم الرّسم والنحت والعمارَة، وبعد مدّةٍ من التدهور الذي أصابها في القرن الثامن عشر انتهى دورها ونشاطها في القرن التاسع عشر، إلّا أنّها استأنفت نشاطاتها في عام (١٩٦٣م) في مبنى مكتبة الإمبروزيانا، وذلك بفضل مبادرةٍ من رئيس الأساقفة الكاردينال (جوفانّي باتيستا مونتيني Giovanni Battista Montini) وباسم أكاديميّة القدّيس (كارلو بورميوCarlo Borromeo)؛ وذلك بهدف تطوير الدراسات التاريخيّة والدينيّة، وفي عام (٢٠٠٣م) دعمتها أكاديمية القدّيس (امبروسيوسAmbrosios)، وقد خُصّصت للدراسات الآبائيّة.

وفي يوم (٢٠) آذار من عام (٢٠٠٨م) قام رئيس الأساقفة الكاردينال (ديونيجي تيتّمانتسيDionigi Tettamanzi) بإعادة تأسيس الأكاديميّة مع سنِّ نظامٍ داخليّ خاصّ بها. وفي (٤) تشرين الثاني من عام (٢٠١٣م) قام الكاردينال (انجيلو سكولا

Angelo Scola) أسقف ميلانو بإصدار لائحةٍ جديدة لمكتبة الإمبروزيانا، وقد عُمِل بها في (٧) كانون الثاني من عام (٢٠١٤م)، وتمّت المصادقة عليها وعلى النظام الداخليّ الجديد للأكاديميّة بمرسومٍ أسقفيّ لاحق بتاريخ (٢١) تموز من عام (٢٠١٤م).

نُشرت لائحة مكتبة الإمبروزيانا في عام (٢٠١٣م)؛ وقد نصّت على أن تكون الأكاديمية جزءاً مكمّلاً للإمبروزيانا، كما كانت عليه في الأصل، سواء في ذلك مع المكتبة أم متحف الفنون، وكما يأتي: «يصبّ النشاط الرئيس لمكتبة الإمبروزيانا الموقّرة في إدارة المكتبة ومتحف الفنون وأكاديميّة الإمبروزيانا» (المادة ٣).

«يتطابق البناء المؤسسيّ للأكاديميّة مع نظيره العائد للإمبروزيانا: أُسِّست أكاديميّة الإمبروزيانا بمستشارها أسقف ميلانو في ضمن حدود مكتبة الإمبروزيانا الموقّرة، ويرأسهما رئيس واحد. للأكاديميّة نظامها الداخليّ المصادق من أسقف ميلانو» (المادة ٣٢).

هدف أكاديميّة الامبروزيانا هو تشجيع البحث والنشر في شتّى مجالات الثقافة، فضلاً عن تشجيع التبادل والتعاون مع المؤسسات المماثلة سواء في إيطاليا أم خارجها؛ اتّباعا لنهج مؤسِّسها الهادف إلى تسخير أكاديميّة الإمبروزيانا؛ لتكون مؤسسةً ذات خدمةٍ عالميّة شاملة.

وتفرَّعت من الأقسام الثلاثة الآتية: (الدراسات الأفريقيّة، ودراسات الشرق الأدنى، والدراسات الشرقيّة) عشرة فروعٍ دراسيّة؛ هي: العربيّة، والأرمنيّة، والبربريّة، والصينيّة، والقبطيّة، والإثيوبيّة، والعبريّة، والهنديّة، واليابانيّة، والسريانيّة. وقد نصَّ النظام الداخليّ على وجوب إدارة كلّ فرعٍ من هذه الفروع من قبل أحد أكاديميّ أكاديميّة الإمبروزيانا.

ويبلغ اليوم عدد باحثي أكاديميّة الإمبروزيانا قرابة (٣٠٠) باحثٍ؛ فمنهم العلماء والجامعيّون من جميع القارات، يُجرون أبحاثاً ودراساتٍ استناداً إلى خططٍ ثلاثية الأعوام، يضعها مجلس كلّ قسمٍ بإشراف اللجنة التوجيهيّة. وممّا ينبغي ذكره فإنّ كلّ قسمٍ أو فرعٍ يعقد كلّ عام حلقةً دراسيّة دوليّة تنشر نتائجها في ثماني

مجموعاتٍ مختلفة تصدر بالاشتراك باسم أكاديمية الامبروزيانا في ميلانو مع دار بولزوني Bulzoni للنشر في روما، وهي على النحو الآتي:

"Africana Ambrosiana" "Ambrosiana Graecolatina" ,"Asiatica Ambrosiana" "Orientalia Ambrosiana" ,"Slavica Ambrosiana" ,"Studi Ambrosiani di Italianistica" ,"Studia Ambrosiana "و" Studia Borromaica:"

فضلاً عن إصدار سلسلةٍ تاسعة بعنوان "e Studi Fonti"(أبحاث ودراسات).[1]

ثانياً: دير ابّازيا دي فيبولدوني Abbazia di Viboldone ومخبره الترميميّ:

يقع اليوم هذا الدير المشتمل على قسمٍ للترميم في ضاحيةٍ صغيرة من مدينة سان جوليانو الميلانيّ، ويبعد عن مكتبة الإمبروزيانا قرابة (١٧) كيلو متراً. أُسِّس في عام(١١٧٦م)، واستمرَّ التيار المعروف باسم (اوميلياتو)- وهو تيار دينيّ مسيحيّ كاثوليكيّ مؤلَّف من رهبان وراهبات فضلاً عن علمانيّين- بأعمال التطوير، وكان الانتهاء منها في عام(١٣٤٨م). كانوا يمارسون العبادات والصلوات والعمل لاسيّما صناعة الأقمشة الصوفيّة، وزراعة الأراضي مستخدمين نظماً مبتكرة. وبعد إهمالٍ دام سنوات عديدة أصبح الدير في عام (١٩٤١م) سكناً لمجموعةٍ من الراهبات المواليات لتعليمات القدِّيس (Benedetto) التي تُوصي بعدِّ العمل المصدر الوحيد للعيش، وعدم الاعتماد على عطايا الناس ومساعدتهم، بدأت عندئذٍ الراهبات بتأسيس قسمٍ للطباعة خاصّ بالدير؛ إذ بدأنَ يُنتجنَ أعمالاً عالية الجودة، والراهبة الأكبر سنّا تعلّم الأصغر منها وتُورثها الحرفة، ولا يزلنَ يتواصينَ بها فيما بينهنّ، كما كان معمولاً به في نظام الورش القديمة.

أُستحدث في عام(١٩٧٢م) نشاطٌ جديد إلى جانب الطباعة؛ وهو ترميم المخطوطات القديمة، وعليه شرعنَ هؤلاء الراهبات بالتخصّص في ترميم

(1) Translation in Arabic of the "Statuto of the Ambrosiana Academy" in "Gli studi orientalistici in Ambrosiana nella cornice del IV Centenario (1609-2009)", Ambrosiana Academy-Bulzoni Editore 2012, pp. 321-324.

المخطوطات المصنوعة من الرَّق، وتمكّنَّ من تطوير تقنيةٍ من شأنها إحياء مخطوطاتٍ من الرَّق تعرضت إلى أضرارٍ بسبب الحرائق.[١]

ومن الجدير بالذكر أنّه ليس في مكتبة الإمبروزيانا قسمٌ خاصٌّ بترميم المخطوطات؛ بل تُرسل المخطوطات المراد صيانتها أو ترميمها إلى مخابر قريبةٍ منها؛ على سبيل المثال: مخبر دير ابّازيا دي فيبولدوني Abbazia di Viboldone الذي يعمل فيه مجموعة مؤهّلة في هذا المضمار.

ثالثاً: المعهد المركزيّ لأمراض الكتاب:

أُسس هذا المعهد في عام (١٩٣٨م) وهو من تصميم Alfonso Gallo، والغاية منه دمج دراسة الكتاب أثريّاً وماديّاً، بما يمكّن من تشخيص مشاكل معينة مع وضع حلولٍ مبتكرة لها. ويُعدّ المعهد المركزيّ للترميم وصيانة المكتبات والمحفوظات الذي أُسس في عام (٢٠٠٧م) عن طريق المعهد المركزيّ لعلم أمراض الكتاب مع مركز التصوير والتجليد والترميم لمحفوظات الدولة، المؤسسة الحكوميّة الرئيسة الأولى التي تهدف إلى تشجيع أنشطة الحفظ الوقائيّ وتنفيذها، وذلك عبر مخبر علميّ تقنيّ خاصّ.

(١) ينظر

"L'Abbazia di Viboldone" 1990, edito a cura della Banca Agricola Milanese, Milano.

المحور الثاني

الحفظ الوقائيّ: مفاهيم عامّة

أصبح الاتجاه نحو الحفظ الوقائيّ اختياراً عالميّاً هدفه المحافظة على الموروث الثقافيّ الإنسانيّ من الضياع، ومن هنا رأينا الإفادة من الخبرات التي بلغتها المدرسة الأوربيّة لا سيّما المدرسة الإيطاليّة في هذا المجال، وذلك بحكم عملي خبيراً للمخطوطات العربيّة والآراميّة والسريانيّة والعبريّة في أهم مكتبةٍ أوربيّة تابعة لدولة الفاتيكان، ألا وهي الإمبروزيانا.

ولأهمية المخطوط انصبّت جهود العاملين في الأعوام الأخيرة على البحث في وقاية المخطوط وصيانته وفق أحدث الطرائق العمليّة، ومن هنا شاع تعبير(الحفظ الوقائيّ)[١].

حدّد قانون وقاية التراث الثقافيّ الإيطاليّ رقم (٤٢) الصادر عام (٢٠٠٤م) في المادّة (٢٩) من الفقرة الثانيّة ما يأتي: «الوقاية: هي مجموعة الأنشطة الرامية إلى الحدّ من حالات الخطر المتعلّقة بالتراث الثقافيّ» .

وهناك نوعان من الوقاية: أمّا الأول: فهو المباشر، والثاني: فهو غير المباشر؛ ويشتمل المباشر على جميع المعاملات والإجراءات الوقائيّة التي تُطبّق على المخطوطات[٢]، من دون إحداث تغيير في تركيبها أو بنيتها. أمّا النوع الثاني فيشتمل على عملياتٍ وإجراءات معقّدة لا تنطوي على أيّة علاقةٍ مباشرة مع المخطوط؛ إذ يتمّ وضعه في مكانٍ من أجل تهيئة بيئةٍ مناسبة للحفظ الوقائيّ؛ على سبيل المثال: مراقبة الرطوبة، ودرجة الحرارة والإضاءة، والمفروشات

(1) Bertini M. B., La conservazione dei beni archivistici e librari, Carocci Editore, Roma 2005

(2) C. FEDERICI - L. ROSSI, Manuale di conservazione e restauro del libro, Roma, Carocci, 1993

المناسبة، والوقايّة من الملوثات البيئيّة، وتأهيل العاملين في هذا المجال، وإعداد برامج تطويريّة لهم.

ومن ثمّ فإنّ الحفظ الوقائيّ يشتمل على مجموعةٍ من الفعاليّات التي تُطبّق في مجالاتٍ وظروف متعدّدة تهدف إلى حفظ التراث المخطوط، وينطوي هذا العمل على تعاونٍ جادّ علميّ بين المتخصّصين، والقيّمين، والمرمّمين، ومهندسي العمارة، والفيزيائيّين، والكيميائيّين، والأحيائيّين.

يُعدّ مفهوما الحفظ والوقاية نظاماً شاملاً متكاملاً ينطوي على كلّ نشاط يُجرى في ضمن نطاق المكتبة، له آثاره في جميع موجودات التراث الحضاريّ، وينبغي الاهتمام بأداء كلّ نشاطٍ وقسم من المكتبة.[1]

فإضافةً إلى الوقاية هناك عامل مُهمّ هو الصيانة؛ التي عرّفتها المادّة (٢٩) الفقرة (٣) من قانون حماية التراث الثقافيّ الإيطاليّ بوضوح على أنّها: مجموعة الأنشطة والتدابير المكرّسة لمراقبة حالة المادّة الفنيّة الحضاريّة، والحفاظ على هويتها وسلامتها وكفاءتها الوظيفيّة. ولعلّه من الغلط عدّ (الترميم الجزئيّ) صيانةً؛ وذلك لأنّ معنى الصيانة يكمن في مجموعة الأعمال التي تُجرى على المخطوط، والتي ينبغي أن يؤدّيها أفراد أكفّاء، وعلى أساس منهجٍ علميّ سليم.

سنتناول عرض مادة هذا المحور عِبر موضوعين رئيسيّين هما:

أولاً: العوامل الرئيسة التي تهدّد المخطوطات وتحليلها:

١. **العوامل الفيزيوكيمائيّة الخارجيّة:** والتي تعتمد بشكلٍ أساسي على طبيعة المادّة العضويّة للمخطوط.

إنّ العناصر المكوّنة للمخطوط والكتاب هي سلسلة من الخامات العضويّة، نباتيّة

(1) Beni librari e documentari. 2007, Raccomandazione per la tutela. Lombardia, Culture, Identità e Autonomia della Lombardia. A cura di Ornella Foglieni. Regione, 13-15.

كانت أم حيوانيّة؛ منها على سبيل التمثيل: الورق، القماش، الجلد، البردي، مواد لاصقة. وهي عرضة للتقادم والهشاشة والتلف الحتميّ المتسارع، بخاصّة إذا كانت محفوظة في أجواء غير مثاليّة، وإن أُجريت خطوات وقائيّة غايتها الإبطاء من وتيرة التدهور لغالبية هذه الموادّ العضويّة، إلّا أنّ في بعض الأحيان تنهار الخواصّ الميكانيكيّة لهذه الموادّ، ولا يمكن إيقافها أو معالجتها في حال التقادم الزمنيّ، ووجود عوامل التلف المختلفة في المخطوطات والوثائق، هذا فضلاً عن المخاطر الطبيعيّة؛ كالرطوبة، والضوء، والموجات الحراريّة، والغازات الملوّثة كثاني أُكسيد الكبريت، وجميعها تشكّل تأثيراً مُتلِفاً للمخطوطات. ويرتبط جزء كبير من خطر التلوّث الهوائيّ بالمدن الصناعيّة وأنشطتها التي تستهدف إفناء الورق وغيرها من الموادّ العضويّة، وللأتربة تأثير سلبيّ بما تحمله من معلّقاتٍ؛ كسبورات الفطريّات، والبكتريا، وبويضات الحشرات التي تنمو بسرعةٍ متناهية، خصوصاً إذا توافرت لها الظروف المناسبة؛ منها: الرطوبة، والعتمة، ونقص التهوية اللازمة. ومن أبرز الحشرات التي تُسبّب أضراراً في المكتبات والمحفوظات العالميّة هي: الصرصر المعروف علميّاً بـ(لاتوديا Blattodea)، والسمك الفضّيّ، أو لاحسات السكر، والخنافس، والنمل الأبيض.

لا شكّ أنّ أغلب هذه التهديدات أصبحت معروفةً لدى المختصّين في هذا المجال، ولكنّنا نعتقد بأنّ معرفتها وتشخيصها غير كافٍ؛ إذ ينبغي التركيز على مخاطرها وعدم تجاهل عواقبها المدمّرة، وذلك بتعزيز أبحاث الحفظ الوقائيّ، والترميم، وتبنّي المراكز والمكتبات هذين المنهجين بشكلٍ دائم في سياستها الرئيسة عِبْر مواكبة آخر ما توصّلت إليه المخابر من الأساليب العلميّة المتطورة، فضلاً عن تأسيس برنامج تدريبيّ عالميّ يتناسب مع الأخطار التي تهدّد تراثنا القيّم.

ويعتمد استقرار حالة مادة المخطوط الكيميائيّة والفيزيائيّة أي: الطبيعيّة على نوعية المادّة العضويّة (سيلولوزيّة وبروتينيّة)، وعلى تصنيعها؛ فعلى سبيل المثال: يتميّز جزء كبير من الورق الذي يعود إلى عام (١٨٥٠م) بقاعدته الحمضيّة، وبذلك يتعرّض للهشاشة والتكسّر الذاتيّ مع تقادم الزمن، ولعلّ المخطوطات المغلّفة بمادّة الجلد هي الأكثر حساسيّةً وعرضةً للتلف.

وهـذا يعنـي وجـود عاملٍ مهـمّ من عوامل التدهور في المادّة نفسـها يشـكّل جزءاً لا يتجـزّأ مـن تركيبتها، وكمـا ذكرنا فإنّ المخطوط يحتـوي على موادّ سـيلولوزيّة وبروتينيّة، وكلّهـا مـوادّ عضويّـة، ممّـا يعنـي أنّ لهـا عمراً محـدوداً، وأفضل مـا يمكننا عملـه هنا هو إبطاء عمليـة التدهور.

٢. **العوامل الطبيعيّة والبشريّة: وأهم التدابير اللازمة للتعامل معها.**

ينبغـي علـى كلّ مكتبـةٍ مهمـا كان حجمهـا اتّخـاذ كلّ الاحتياطـات اللازمـة للحيلولة دون وقـوع كارثـةٍ يمكـن تفاديهـا، فضـلاً عـن اتخـاذ التدابيـر المناسـبة للتعامـل مـع آثـار الكـوارث ومعالجتهـا، سـواء كانـت طبيعيّـة؛ كالأعاصيـر، والفيضانـات، والـزلازل، والعواصـف الرمليّة، أم تلك التي يسـبّبها الإنسـان مثل: العمليـات الحربيّة، والعمليات الإرهابيـة، والحرائق.

ولمواجهة الكوارث المحتملة عادةً ما يتمّ ذلك عِبر خمس مراحل:

الأولى: تقييم المخاطر ودراستها

مسـح أضرار الموقع الفعليّ للمؤسسـة ومجموعاتها المكتبيّة والأرشـيفيّة؛ على سبيل المثال: تحديد المخاطـر الداخليّة والخارجيّة وتحليلها.

الثانية: الوقاية

تطبيـق التدابيـر الراميـة إلـى إزالـة أيّ خطـرٍ محتمـلٍ أو تقليله؛ مثل: أجهـزة التحري والإنـذار، وإخمـاد الحرائق اليدويّـة والتلقائيّة، والصيانـة الدوريّة.

الثالثة: الاستعداد

إعـداد خطّـة طـوارئ جيّـدة مكتوبـة، والاسـتجابة، والاسـترجاع، وإعـادة التأهيـل، والاسـتعداد للطـوارئ عِبـر موقفٍ يشـتمل على الفعاليـات المكتملة قبل وقـوع الحادث.

الرابعة: الاستجابة

التدابير التي ينبغي اتخاذها وقت حدوث الكارثة.

الخامسة: إعادة التأهيل

إصلاح المكان المتضرّر وترميم الموادّ التالفة.

وإضافةً إلى ما ذُكر، ينبغي على كلّ مكتبةٍ اعتماد خطّةٍ أمنيّة والعمل على تطويرها، تمكّنها من مراقبة البناية والسيطرة على أقسامها كافة؛ كونها أول حاجزٍ دفاعيّ ضدّ الأخطار الخارجيّة، كالأخذ بعين الاعتبار الحاجة إلى تركيب جهاز إنذارٍ ومراقبة ذي دائرةٍ مغلقة يتّسم بالدّقة والفعاليّة، وضرورة وضوح كلّ زاويةٍ من البناية، وإجراءات التحصين، واتخاذ التدابير اللازمة مثل:

١. -استخدام الخزانات المحصّنة الأمينة الموافقة لمعايير السلامة.
٢. -ضرورة ختم جميع المجموعات المكتبيّة بختمٍ سريع الجفاف، واضح ومستقر؛ لإتاحة التعرّف عليها وتمييز عائديّتها.
٣. -الالتزام بالمراقبة والفحص الدوريّ لنُظُم الحماية من السرقة.
٤. -سنّ لائحةٍ في كلّ مكتبةٍ تنصّ على التعليمات التي يتعيّن اتّباعها في قاعات القراءة، وينبغي أن يديرها عدد كافٍ من الموظّفين؛ لضمان الأمن ومنع السرقة والإضرار بالممتلكات العامّة .

علماً أنّ تلك اللائحة التي تتضمّن تعليمات للباحثين في قاعات القراءة تُسهم بشكلٍ أو بآخر في الحفاظ على المجموعات الخطّيّة من الأضرار التي تُلحَق بها؛ جراء الإهمال، أو عدم المعرفة بآلية التعامل معها، وتُبيّن تلك التعليمات الممنوعات الآتية:

١. يُمنع تناول الطعام والشراب والتدخين إلّا في الأماكن المخصّصة لها.
٢. لا يجوز التعامل مع المجموعات المكتبيّة بأيدٍ غير نظيفة.
٣. لا يجوز إدخال أيّ نوعٍ من الأحبار واستعمالها، وكذلك أقلام التصحيح أو التأشير.
٤. يُمنع رسم علاماتٍ على المجموعات المكتبيّة، ولا يجوز الكتابة على أوراقٍ تستند إلى صفحات كتابٍ أو مخطوط مفتوح.

٥. يُمنع الاتّكاء على المجموعات المكتبيّة.

٦. يُمنع لمس المنمنمات والصور الملوّنة والزخارف المرسومة على المخطوط.

٧. يُمنع وضع أوراق ملاحظاتٍ لاصقة على الحافات الداخليّة للمخطوط.

٨. ينبغي عدم تعريض المجموعات المكتبيّة لأشعة الشمس مباشرةً، وعدم جعلها متراكمة.

٩. عند البحث أو الاستشارة لا يجوز استعارة أكثر من مخطوطٍ أو وثيقة واحدة.

وعلى قائمي المكتبات إعداد دوراتٍ تطويريّة تأهيليّة غايتها تثقيف العاملين والفنيّين وتوعيتهم بشأن مسألة الحفظ، ويُنصح بتزويد القرّاء بإرشادات كيفية استخدام المخطوط والوسائل المساعدة، و تجهيزهم بقفّازاتٍ قطنيّة عند الاطّلاع على مخطوطٍ نادر مهم، وهذا ما تتبعه مكتبة الامبروزيانا.

٣. العوامل البيئيّة:

تعدّ العوامل البيئيّة من درجة حرارةٍ، ورطوبة نسبيّة، وضوء، وموادّ الغلاف الجويّ الملوثة سبباً فاعلاً في التفاعلات الكيميائيّة المؤديّة إلى انحلال المخطوط وتفسّخه، ولهذا السبب يُعدّ فهم هذه التفاعلات أمراً ضرورياً لموظّف الصيانة. ويتفاوت نشاط هذه التفاعلات الكيمائيّة والميكانيكيّة والأحيائيّة تبعاً لنوع موادّ المجموعات المصنوعة منها.

(٣-١) الرطوبة النسبيّة ودرجة الحرارة:

ويُعبّر عن الرطوبة على أساس أنّها النسبة المئويّة من ضغط بخار الماء في عيّنةٍ من الهواء الرطب، مقابل ضغط بخار الماء المشبع في درجة الحرارة نفسها، ومعروف أنّ الرطوبة النسبيّة تعتمد على درجة الحرارة، وكلّما قلّ بخار الماء وارتفعت درجة الحرارة، تنخفض الرطوبة النسبيّة. وممّا هو معروف أنّ إيطاليا تشتهر بارتفاع الرطوبة النسبيّة عند الصيف؛ وذلك لأنّها شبه جزيرة، وعليه ففي مثل هذه الحالة يُتوخى اعتبار عدّة مبادئ؛ أهمّها أنّه ليس هناك حلٌّ مثاليّ شامل يناسب جميع أنواع

المجموعات المكتبيّة إلّا مجموعةً من القِيَم التي تعمل على الحدّ من حدوث أنواعٍ معينة من التغييرات والأخطار التي قد تُصيب المجموعات المكتبيّة وغيرها من موادّ التراث الحضاريّ.

وقد أثبتت مجموعة واسعة من التجارب أنّ الورق يحافظ على استقراره الكيميائيّ والماديّ لوقت أطول في مخزنٍ على درجة حرارة منخفضة (أقل من ١٠ درجة مئويّة)، ورطوبة نسبيّة منخفضة (٣٠٪ - ٤٠٪)، في حين تتطلّب موادّ المجموعات المصنوعة من الجلد والرَّق رطوبةً نسبيّةً أعلى من ٥٠٪ كي تحافظ على مرونتها.

وهنا سنقوم بتحليل التأثيرات التي يمكن أن تسبّبها درجة الحرارة:

لوحظ - غالباً- أنّ كلّ زيادة (١٠) درجات مئويّة في درجة الحرارة تؤدي إلى مضاعفة سرعة التفاعلات الكيميائيّة لموادّ المجموعات المكتبيّة الورقيّة التقليديّة، والعكس صحيح.

وتتسبّب الحرارة المصحوبة بنسبةٍ واطئة من الرطوبة النسبيّة في جفاف بعض الموادّ العضويّة للمجموعات المصنوعة وهشاشتها، ثمّ تكسّرها؛ كالورق مثلاً، والرَّق والجلد. في حين تساعد الحرارة المصحوبة بنسبةٍ عاليةٍ من الرطوبة النسبيّة على نموّ الفطريات، وتوفّر المناخ الملائم للآفات الحشريّة.

أمّا البرودة- أي حرارة أقل من (١٠) درجات مئويّة مصحوبة برطوبة نسبيّة عالية مع رداءة التهوية- فتوفر إمكانية نموٍّ سريع للفطريات.

وفيما يخص آثار الرطوبة النسبية[1] فنحن نعلم أنّ الموادّ العضويّة هي موادّ استرطابيّة بطبيعتها، وعليه فإنّها قابلة لاكتساب الماء وفقده، وذلك بالتزامن مع زيادة الرطوبة النسبيّة وانخفاضها، وبناءً على ذلك فإنّ هذه الموادّ تتمدّد وتنكمش توافقاً مع ارتفاع مستويات الرطوبة أو انخفاضها، وتوفُّر رطوبةٍ نسبيّة مقدارها من ٥٥

(1) Principi dell'IFLA per la cura e il trattamento dei materiali di biblioteca, 2004, a cura di Edward P. Adcock, Bari, International Federation of Library Associations and Institutions, Core programme on Preservation and Conservation, 26.

إلى ٦٥ في المائة يعدّ حدّاً مأموناً من شأنه التقليل من التلف الميكانيكيّ، وتُبقي على مرونة الموادّ الطبيعيّة. وأنّ رطوبةً نسبيّة تزيد على ٦٥ في المائة وبشكل مطّرد من شأنها إضعاف قدرات الربط في الألياف الورقيّة، ثمّ فقدان قوتها، ومن بعد ذلك هشاشتها، وإمكانية ظهور بقعٍ لا يمكن السيطرة عليها.

وإذا ما زادت مستويات الرطوبة النسبيّة على ٧٠ في المائة، فإنّ احتمالية حصول الهجمات الجرثوميّة واقعة لا مفرّ منها، حتى في درجات حرارةٍ منخفضة. ولا ينبغي للرطوبة النسبيّة أن تتجاوز الـ ٦٠ في المائة في المناطق التي يكون فيها سوء تهويةٍ، وعلاوةً على ذلك وفي حال توافر تهويةٍ جيّدة يجب أن لا تتجاوز الرطوبة النسبيّة ٦٥ في المائة؛ وذلك لمنع نموّ الفطريات.

ويمكن أن تقلّل رطوبة نسبيّة منخفضة- تصل إلى أقل من ٤٠ في المائة-من التغييرات الكيميائيّة وتفاعلاتها إلى الحد الأدنى، إلّا أنّها ربّما تؤدّي إلى انكماش موادّ المخطوط، وتصلّبها، وتيبّسها، وتكسّرها، لذا يجب الحفاظ على ثبات معدل الرطوبة النسبيّة في أماكن الخزن، وتجنب التذبذب في عملية ارتفاعها وانخفاضها بحيث يمكن تثبيتها مثلاً على درجة (٤٠٪) أو (٤٥٪)؛ لأنّ التذبذب غير المسموح به هو ٥ درجات ارتفاعاً أو انخفاضاً.

وثمّة قاعدة مُهمّة جداً؛ هي تجنّب التقلّبات الحادّة أو التغيّرات الدوريّة في درجة الحرارة، والرطوبة النسبيّة التي تسبّب مزيداً من الأضرار الخطيرة على مجموعات التراث الحضاريّ المكتوب القيّم.

إذا كانت نسبة الماء لبيئةٍ معيّنة مستقرة، وطرأ عليها انخفاض مفاجئ في درجة الحرارة، فسيحدث مقابل هذا زيادة سريعة في الرطوبة النسبيّة، يتّبعها تكاثف وإمكانية نشوء العفن أو الفطريات، فضلاً عن احتمالية حصول مخاطر أخرى تتصل بزيادة الرطوبة النسبيّة المفرطة.

تقوم مكتبة الامبروزيانا بمراقبة الظروف البيئيّة ورصدها دوريّاً؛ إذ تُسجّل النسب بأجهزةٍ إلكترونيّة مُعتَمدة، يتمّ صيانتها بانتظام.

وفي حال تسبّبت بعض الكوارث بوصول كميات من الماء إلى مجموعات مكتبيّة فحينها يجب القيام بتجفيفها، وإليكم أهمّ طرائق التجفيف، ولكلٍّ منها مزايا وعيوب:

١. الامتصاص الآليّ للماء ليفيليزازيون lyophilisation: إذ يقوم تقنيّون مؤهّلون باستخدام أجهزةٍ متطوّرة لتجفيف الوثائق المبلّلة وبإشراف خبير ترميم المخطوط، وتُستعمل هذه التقنية في حالة الأوراق الملونة خاصّة، والوثائق التي تتضمّن أحباراً قابلة للذوبان.

٢. التجفيف تحت الفراغ drying vacum: تقنيّة تشابه طريقة الامتصاص الآليّ، ولكن مع ارتفاع درجة الحرارة في الغرفة تحت الفراغ؛ أي: فوق الصفر، إلّا أنّ هذه التقنيّة لا تلائم بعض المخطوطات؛ ولاسيّما تلك التي تحوي أحباراً قابلة للذوبان في الماء.

٣. التجميد المباشر: وتعتمد على تخفيض حرارة المخطوط المبلول إلى درجة تحت مستوى التجمّد.

وتعدّ تقنيّة التجميد الطريقة الأنسب لأغلب المخطوطات والوثائق المتضرّرة؛ لأنّها تحدّ من وقوع أضرارٍ ماديّة إضافيّة، وتمنع حدوث تلوثٍ بيولوجيّ- أحيائيّ- فيها، كما تتيح للقائمين عليها وقتاً كافياً قبل اتخاذ قراراتٍ علاجيّة حاسمة.

وبعد التجميد يقوم الجهاز بعملية تسامي الماء المجمّد؛ أي: تحويله الى الحالة الغازيّة دون المرور بالحالة السائلة، و بهذه الطريقة يتمّ التخلص من الماء دون انحلال الأحبار والألوان وانتشارها، وهي من أسلم الطرائق وأحسنها في حال الفيضانات، أو الغرق، أو التعرّض لكمياتٍ كبيرة من المياه وبصورة مباشرة.

أمّا مستويات درجة الحرارة والرطوبة النسبيّة الموصى بها[1] فينبغي حفظ المجموعات المكتبيّة وخزنها في بيئةٍ صحيّة ملائمة مستقرة؛ حيث لا سيادة

(1) Principi dell'IFLA per la cura e il trattamento dei materiali di biblioteca, 2004, a cura di Edward P. Adcock, Bari, International Federation of Library Associations and Institutions, Core programme on Preservation and Conservation, 27.

للحرارة، والجفاف، والرطوبة. علماً أنّ الأجواء المثاليّة للخزن هي:

درجات الحرارة	الرطوبة
الورق: (٢-١٨) مئوية	(٣٥-٥٠)
الورق –اعارة (١٤-٢٠) مئوية	(٣٥-٥٠)
الجلود (٢-١٨) مئوية	(٤٥-٦٠)

مع ملاحظة أنّ التذبذب المسموح به في درجات الحرارة هو ارتفاع أو انخفاض درجتين مئوية، والرطوبة النسبيّة ارتفاع أو انخفاض خمس درجات، أمّا درجة الرطوبة القياسية لكلّ الحفظ فهي (٥٠)، لذلك من الضروري بذل أقصى الجهود لتحقيق القيم المثلى في درجة الحرارة والرطوبة النسبيّة.

١. ولعلّه ليس من الواقع والمنطق الإبقاء على درجة حرارةٍ مساوية لقيمةٍ محدّدة سابقاً في مبنى معيّن وعلى مدار السنة- لاسيّما في المناطق التي تسودها درجات حرارة مرتفعة- من دون مواجهة تكاليف ماليّة باهظة.

٢. ضرورة المحافظة على مستويات الرطوبة النسبيّة المناسبة المقبولة حتى وإنْ ارتفعت درجة الحرارة فوق ٢٠ في المائة.

عادة ما تُحدّد درجة حرارة المكتبة استناداً إلى الظروف التي يعتقد القائمون عليها أنّها مناسبة؛ وذلك للترفيه عن الناس وفي صالحهم؛ وهي نحو ٢٠ إلى ٢٢ في المائة في ظروف النشاطات المستقرة.

يتميّز الإنسان بحساسيّته وتأثّره السريع بالتغييرات التي تطرأ على درجات الحرارة، إلّا أنّ حساسيّته هذه تقلّ نسبيّاً مع التغييرات التي تطرأ على الرطوبة النسبيّة، وهذا ما لا ينطبق على أغلب المجموعات المكتبيّة، فالأمر معها يجري عكسيّاً.

تقتضي مسألة اختيار مستويات الرطوبة النسبيّة حلولاً وسطيّة؛ إذ تتأثّر إلى حدٍّ بعيد بعوامل عديدة؛ منها: طبيعة المجموعات، التغييرات المناخيّة المحليّة، والموارد

المتاحة لتكييف البيئة.

وللظروف المناخيّة المحليّة تأثير في الرطوبة النسبيّة[1]؛ إذ يصعب الحصول على مستوى أقلّ من ٦٥ في المائة في المناطق التي لا تنخفض فيها الرطوبة النسبيّة أقلّ من هذا المعدل سنويّاً؛ إذ ترتفع نحو مستوياتٍ أعلى و لأوقاتٍ طويلة، إلّا إذا ما قرّرت المؤسسة أو المكتبة تركيب محطاتٍ لتكييف الهواء رغم تكاليفها العالية، لتعمل ليلاً ونهاراً وعلى مدار العام، وهنا يبرز الحلّ الأمثل؛ وهو ضرورة المحافظة الحتميّة على تهويةٍ ممتازة، وذلك بُغية إبعاد أيّ شكلٍ من أشكال الفطريات أو العفن.

أمّا المناطق الجافة التي يندر فيها ارتفاع الرطوبة النسبيّة فوق مستوى ٤٥ في المائة من الرطوبة النسبيّة، فإنّه من الممكن المحافظة على مستوى يتراوح ما بين ٤٠ و٤٥ في المائة من الرطوبة النسبيّة، وهو أفضل ما يمكن فعله؛ إلّا إذا تمّ رصد نفقات كبيرة لتركيب أجهزة التهوية.

نكرّر مجدّداً أنّ حلّ هذه المشكلة يكمن في تفادي التقلّبات المناخيّة، وتهوية الهواء، وحفظ بعض المجموعات أو خزنها؛ مثل: الرَّق والجلد في بيئة ملائمة؛ إذ يمكن المحافظة على مستوى ملائم من الرطوبة النسبية لا يقلّ عن ٣٥ في المائة.

وإذا ما زرنا مناطق يتسمُ مناخها بصيفٍ حار وشتاءٍ بارد مثل: إيطاليا، فسنكتشف أنّ معظمها تعاني من وضعٍ أسوأ ممّا عليه في المناطق الجافّة أو الرطبة؛ فقد تكون الرطوبة النسبيّة فيها مقبولةً صيفاً، أمّا شتاءً ومع تشغيل التدفئة التي تسبِّب بيئة حارة جافّة نهاراً، وإطفائها ليلاً، فسنحصل على مناخٍ رطب بارد، وهنا سنقع في التقلّبات المناخيّة وتبعاتها الضارة، فمخاطرها على المجموعات تكون أكثر من ضرر الرطوبة النسبيّة العالية أو المنخفضة باطّرادٍ سنويّاً.

وهنا نغيّر وجهتنا لنأخذ مثالاً آخر؛ وهو الأجزاء الشماليّة من الولايات المتحدة

(1) Principi dell'IFLA per la cura e il trattamento dei materiali di biblioteca, 2004, a cura di Edward P. Adcock, Bari, International Federation of Library Associations and Institutions, Core programme on Preservation and Conservation, 27-28.

الأمريكية وكندا وشمال شرق أوربا، ففيها من الصعب جداً المحافظة على مستوى ٥٠ في المائة من الرطوبة النسبيّة أثناء الشتاء من دون إجراء عملية التكاثف. وتقوم بعض المؤسسات والمكتبات بتقليل الرطوبة النسبيّة شتاءً ورفعها صيفاً عن مجموعاتها المكتبيّة؛ وذلك على أساس الموادّ المصنوعة منها.

(٣-٢) التلوّث الجويّ والغازيّ:

يرتبط التلوّث الجويّ ارتباطاً وثيقاً بالمدن وأنشطتها الصناعيّة، ويُعدّ التلوّث الجويّ سبباً آخر يضرّ المخطوط المصنوع من الورق، فضلاً عن المجموعات الأخرى المصنوعة من موادَّ عضويّة. وتتفاوت الملوّثات الجويّة تفاوتاً كبيراً في طبيعتها وتأثيرها البيئيّ؛ مثل: الغازات، ذرات الغبار، الأتربة.

وتمثل الملوثات الغباريّة العالقة السُّخام، والأوساخ، وحبيبات الأتربة، والغبار؛ إذ تلتصق على جلود المخطوطات، وتنتشر بين صفحاتها حاملةً معها سبورات الأحياء المجهرية وبيوض الحشرات، فضلاً عن تكوين الحموضة وما إلى ذلك من التأثيرات الضارّة[1]. وهذه الذرات الغباريّة هي كذلك خليط من بقايا الجلد البشريّ، وجسيمات الموادّ المعدنيّة والنباتيّة، والألياف النسيجيّة الدقيقة، والدخان الصناعيّ، والدهون الصادرة عن بصمات الأصابع، فهي غالباً ما تحتوي على أملاح مثل: كلوريد الصوديوم الناتج عن رذاذ المياه المالحة، أو بقايا الجلد البشريّ، وكذلك بلورات دقيقة من مادّة (السيليكا)، أو ذرات الغبار الدقيقة، ففي هذا الخليط الكيميائيّ من الفطريات والكائنات الحيّة المجهريّة -التي لا تعدّ ولا تحصى- تعيش على الموادّ العضويّة الموجودة في الأتربة، وتُعدّ بصمات الأصابع على سبيل المثال بيئةً خصبة ممتازة لها. وتتسم أغلب هذه الملوّثات بطبيعتها الاسترطابيّة؛ أي: بامتصاصها الجيد للماء، وتساعد هذه الخاصيّة على نموّ الفطريات، ومن ثَمّ زيادة تآكل الوصلات الكربونيّة، أو تكسيرها في السليولوز، أو انتشار البقع الكيميائيّة، ثمّ التحلّل المائيّ والعمل على تكوين الأحماض.

(١) أرى أنّ من بين أفضل المصادر القيّمة التي كُتبت بالعربية متناولةً هذا الموضوع بمنهجيّة علميّة هو: صيانة المخطوطات علماً وعملاً: مصطفى السيّد يوسف: ٤٧ - ٥١.

أما الملوّثات الغازيّة فقد تنجم أساساً عن أنشطة حرق الوقود؛ مثل: ثنائي أكسيد الكبريت، وكبريتيد الهيدروجين، وثنائي أكسيد النتروجين، فهي تتفاعل مع الرطوبة النسبيّة في الهواء مكوّنة أحماضاً تتلف المجموعات المكتبيّة. ويُعدّ غاز الأوزون عاملاً مؤكسداً فاعلاً في إتلاف المجموعات المكتبيّة المصنوعة من الموادّ العضويّة، وهذا الغاز يتكون من تفاعل الطاقة المنبعثة من ضوء الشمس وثنائي أكسيد النيتروجين الصادر عن عوادم المركبات لاسيّما الطائرات سابقة الصوت، فضلاً عن تلك التي تنبعث من أجهزة التصوير أو النسخ التي تعمل بالشحن الإلكتروستاتيّ، وعليه فهي تعمل على تآكل الورق والرَّق والأغلفة الجلديّة.

(٣-٣) الضوء:

يأتي الضوء في المقام الثالث في دوره الضارّ للمخطوط بعد الحرارة والرطوبة والملوّثات الغازيّة؛ فهو يسرّع من تفكّك الموادّ العضويّة المكوّنة للمخطوط. والضوء طاقة تتمثّل في جميع الأطوال الموجيّة له، المرئيّة أو غير المرئيّة؛ إذ تتمثّل الأخيرة بالأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجيّة، وتعمل هذه الأخيرة على اضمحلال لون الأحبار خاصّةً الحديديّة منها والصبغيّة، ويتفاعل الضوء مع شوائب الورق في صورة أكسدة ضوئيّة تؤدي إلى ظهور بقع صفراء بُنيّةٍ في المساحات المتأثّرة به، وتعدّ الأشعة فوق البنفسجيّة لا سيّما ذات الموجات الأقصر الأشد ضرراً؛ كونها تمتلك أعلى طاقة، وتساعد الملوّثات الجويّة الكائنة في الورق كالأحماض العضويّة والأصماغ- وبالتفاعل مع الضوء بجميع أشكاله- على إضعاف جزيئات السليولوز وتقصّفها، وتفكيك الموادّ الرابطة، فضلاً عن آثارها المدمّرة في القماش والموادّ الجلديّة، ويُمكن للضوء تغيير لون بعض أنواع الورق وتشويهه، والتسبُّب في اصفرار أنواعٍ أخرى أو اسمرارها، وقد يسبّب أيضاً تغيير لون الأجزاء المكملة للمخطوط، و تشويه مظهره العام، وعرقلة قراءته.

علماً أنّ الجزء المرئيّ من الضوء هو المحصور بين (٤٠٠-٧٠٠) نانومتر، وتكون بداية الأشعة فوق البنفسجية من(٣٨٠-٤٠٠) نانومتر، والتي من خواصّها أنّها تخترق

بعض الموادّ التي لا يستطيع الضوء العادي اختراقها؛ لأنّها تمتلك طاقة عالية تتناسب عكسياً مع الطول الموجيّ القصير الذي تمتلكه.

وهنا لابدّ من مراعاة العوامل الآتية:

١. إنّ مدى تأثير الضوء يستمر زمنيّاً ومكانيّاً؛ بمعنى أن التفاعلات الكيمائيّة التي تعرّضت للضوء تستمر حتى بعد إزالته وإبعاد تأثيره، أو وضع المجموعات المتضرّرة في مكانٍ معتم.
٢. لا يمكن معالجة المخطوط المصاب بتأثير الضوء الضارّ إذا ما أصبح أمراً محقّقاً.
٣. تولّد مصادر الضوء المرئيّة والأشعة تحت الحمراء كأشعة الشمس والمصابيح المتوهّجة طاقةً حراريّة، ومن ثَمَّ فإنّ أيّ زيادةٍ في درجة الحرارة من شأنها التسريع في التفاعلات الكيمائيّة التي تؤثّر في الرطوبة النسبيّة.
٤. يجب ترشيح أشعة الشمس؛ لاحتوائها على أعلى نسبة من الأشعة فوق البنفسجيّة.

ولهذه الأسباب لا بدّ من مراقبة مستويات الإضاءة والقوة الإشعاعيّة للأشعة فوق البنفسجيّة، وعلى هذا الأساس يتمّ توخّي العناية في اختيار نوع الضوء ومستواه المناسب.[(١)]

لم تسجّل مكتبة الامبروزيانا أيّ حالة متضرّرة بسبب الضوء.

٤. العوامل البايلوجية والمكروبيولوجيّة، وتشمل:

(٤-١) الفطريّات:

للجراثيم الفطريّة القدرة على أن تصبح عفناً؛ فهي محمولة دائماً في الهواء،

(١) إذا كانت الجلود المغلِّفة للكتب خاليةً من طبقات لونيّة، فيجب أن تكون شدّة الضوء الموجود في المعارض لا تتجاوز (١٥٠) لوكس، وإذا كانت تحتوي طبقات لونيّة فيجب أن لا يتجاوز الضوء (٥٠) لوكس.

وحاضرة على سطوح الأشياء، فهي تنمو كلّما صادفت بيئةً خصبة مثاليّة تتمثّل في الرطوبة النسبيّة التي تتجاوز الـ ٦٥ في المائة، أو الأماكن المظلمة، أو نقص التهوية. وتعدّ الحرارة عاملاً مساعداً على نموّها باستثناء بعض أنواع البكتريا التي تنمو في ظروف درجة حرارةٍ منخفضة، خذ مثالاً على هذا ما يحصل أحياناً في الثلاجة.

وإنّ في تفشي العفن الفطريّ إضعافَ المخطوطِ وتشويهه وإتلافه وتبقيعه. ومن المسلّم به أنّ البقع البُنيّة تُعزى إلى الفطريّات التي تتفاعل مع بقايا موادّ كائنة في المخطوط، وهناك موادّ أخرى قابلة لمهاجمة الفطريّات؛ وهي: الجلد، والرَّق، والقماش، وبعض الموادّ الرابطة. وحين يُصاب المخطوط ينبغي فحص ما إذا كانت الفطريّات مازالت حيّةً أو ميّتة. عموماً إنّ العفن الفطريّ النشط يتصف بالرطوبة واللزوجة والزيتيّة عند اللمس، وبالمقابل فإنّ الفطريّات الميّتة أو غير النشطة تتسم بالجفاف والتيبّس والهشاشة، ويمكن إزالتها بواسطة فرشاةٍ ناعمة.

إنّ أول خطوةٍ ينبغي اتخاذها حال اكتشاف مجموعةٍ واسعة من الفطريّات في مخطوطٍ ما هي عزل المنطقة فوراً، ثمّ استشارة متخصّصٍ بالفطريّات؛ للتحقّق من وجود فطريّاتٍ سامّة، وغالباً ما يتمّ العثور على هذا النوع من الفطريّات في المكتبات التي يُمكن أن تشكّل مخاطر صحيّةً مسببة الصداع والغثيان، وتهييجاً في العينين والجلد، ومشاكل في الجهاز التنفسيّ.

وقد سجّلت مكتبة الامبروزيانا حالات إصابات مخطوطاتٍ بسبب الفطريات.

(٤-٢) الحشرات وآفات أخرى:

هناك نوعان من الحشرات؛ أمّا النوع الأول فيمكن رؤيته بالعين، وأمّا النوع الثاني فيصعب رؤيته إلّا باستخدام وسائل مساعدة، وأشهرها شيوعاً وتدميراً في المكتبات العالميّة والأرشيف هي: الصرصار، و السمك الفضيّ، والخنافس، والنمل الأبيض أو الأرضة، وتتغذّى على الموادّ العضويّة كالورق، واللاصق النشوي في أغلفة المخطوطات وكعوبها، وعلى الموادّ الصمغيّة والروابط الجيلاتينيّة والجلد والقماش، وهي تفضّل المناطق الدافئة، والمظلمة، والرطبة، والوسخة ذات التهوية السيئة والإضاءة.

عموماً فهي تتميّز بقدرتها على إحداث أضرارٍ مدمّرة فتّاكة؛ كالثقوب، والشقوق، والقطوع، وإن كان يمكن إصلاح تلك الأضرار؛ إلّا أنّه لا يمكن استعادة النصّ المكتوب عليها، ولا الصور التي قرضتها.

كما تشكّل القوارض كالفئران والجرذان تهديداً خطيراً مدمّراً للمجموعات؛ فهي تتحمل التقلّبات البيئيّة؛ كالحرارة، والرطوبة، والإضاءة؛ ممّا يزيد من خطرها في قدرتها على التكيّف تحت أيّ ظروفٍ.

ثانياً: آلية التعامل مع المجموعات الخَطيَّة وطرائق تخزينها

تؤثّر أساليب التخزين تأثيراً مباشراً في متانة مادّة المخطوط وسلامته؛ فكلّما كان أسلوب الخزن سليماً مراعياً المعايير العلميّة الصحيحة مُدّ في عمر المخطوط، والعكس صحيح؛ أي: كلّما كانت شروط الخزن عشوائيّةً مكتظّة متراكمة جاءت النتائج سلبيّةً ضارّة بالمجموعات، ثمّ إنّ مساحات الخزن الرديئة تعمل على التعجيل في تدهور المخطوط المراد حفظه.

لا ينحصر نشاط الحفظ والصيانة والمعالجة وتطبيق شروط التخزين بالمتخصّصين بالصيانة فحسب، بل يقع جزء من هذا النشاط على الأفراد القائمين في تطبيق التعامل الصحيح مع المجموعات، فالتعامل السليم يؤدّي إلى المحافظة عليها، بل هو جزء مكمّل من سلسلة عمليات الحفظ الوقائيّ، وإبطاء وتيرة تدهورها. ولعلّ استخداماً سيّئاً متكرراً يُعجّل في تشويه مخطوطٍ سليم ويجعله مهترّئاً بالياً، ثمّ يؤدّي إلى فقدان صلاحيته للقراءة، ومن ثَمّ الاضطرار إلى صرف مبالغ قد تكون مكلفةً لترميمه وتجليده.

تعتمد مكتبة الامبروزيانا نظاماً مقنّناً متطوراً لتخزين المخطوطات والكتب النادرة، فخُصِّص لتخزينها وحفظها برج مكوّن من أربعة طوابق يُطلق عليه: torre libraria، وأنّ هناك مستودعاً آخر يقع تحت الأرض، أمّا المخطوطات النفيسة والآثار النادرة الأخرى فخُصِّص لها قبو تحت الأرض. والمكتبة مزوّدة بجهاز سيطرةٍ أمريكيّ الصنع متعدّد الوظائف اسمه: Honeywell، ينظّم تلقائيّاً درجة الحرارة، ومستوى الإضاءة،

ونسبة الرطوبة النسبيّة، بحسب المواصفات العلميّة المتّبعة، وكذلك يعمل كجهاز إنذارٍ ومراقبة، والمكتبة مزوّدة بمصاعد كهربائيّة خارجيّة وداخليّة، وتتّبع مكتبة الامبروزيانا نظاماً إلكترونيّاً يُعرف باسم: (Clavis)؛ لتصنيف المخطوطات والكتب وفهرستها.

وهنا نعرض أهمّ النقاط المتعلّقة بعملية التخزين:

١. ينبغي أن تكون الرفوف مصنوعةً من موادّ غير قابلة للاشتعال، ومصمّمة لتوفير دعائم ساندة وآمنة ونظيفة ملائمة.

٢. يجب أن تُوضع المجموعات الخَطيَّة على ارتفاعٍ لا يقلّ عن ١٠ إلى ١٥ سم من الأرض؛ وذلك للحدّ من الأضرار التي ربّما تسبّبها الفيضانات أو مرور الأفراد.

٣. ينبغي توخي العناية عند وضع المجموعات الخطيَّة على الرفوف المتحرّكة؛ إذ يجب أن تكون مستقرةً؛ تجنّباً لأيّ سقوطٍ أو دَوْس لها حينما تُحرّك هذه الرفوف.

٤. توخّي الحرص الشديد حين القيام بعملية نقل المجموعات الخطيَّة وسحبها.

٥. يتعيّن تزويد جميع العاملين الذين يتعاملون مع المجموعات الخطيَّة بتعليماتٍ واضحة ودقيقة؛ تُبيّن طرائق التعامل مع المجموعات الخطيَّة ذوات الأوزان الثقيلة وفق معايير بيئة عملٍ آمن ومريح.

٦. يجب أن تكون حاويات المجموعات الخطيَّة المشتملة على موادّ ورقيّةٍ؛ كالمغلّفات، والصناديق، والحافظات خاليةً من مادّة اللجنين؛ وهي مادّة كيمائيّة معقّدة تُستخرج من الخشب، مشتقّة من الاسم اللاتينيّ Lignum أي: خشب، والكبريت، ولها عوازل قلويّة ذات قابليّة على امتصاص الصدمات، مع احتوائها على نسبةٍ من مادّة السيليلوز تُقدر بـ(٨٧) في المائة.

٧. من المهمّ إيلاء اهتمامٍ وتركيز عاليين للظروف البيئيّة المحيطة بمكان تخزين

ذلك المخطوط؛ كتوفير التهوية الجيّدة للحصول على هواءٍ نقيّ، إضافة إلى القيام بممارساتٍ دوريّة فاعلة للصيانة.

٨. ينبغي من أجل تحقيق بيئةٍ نموذجيّة للخزن الصحيح أن تكون درجة الحرارة والرطوبة والمصادر الضوئيّة تحت السيطرة.

٩. التحكّم بالتدابير الوقائيّة وضوابطها الرامية إلى حماية المجموعات الخطيَّة من تعرّضها للحريق والفيضانات، وغيرها من المخاطر.

أمّا من حيث البيئة الحاضنة للمخطوط فيتطلّب ما يأتي:

يُراعى في تصميم بنايات المكتبات قدر الإمكان ملاءمتها لمتطلّبات شروط حفظ المجموعات الخطيَّة وتخزينها المناسب، وهذه المتطلبات لها علاقة بجوانب متعدّدةٍ من التصميم الأساس، وهي:

١. تصميم المبنى هندسيًا وتأهيله.

٢. طبيعة موادّ البناء التي يمكن استخدامها في بعض الحالات لتوفير ظروفٍ مناخيّة داخليّة؛ من دون اللجوء إلى استخدام أنظمةٍ ميكانيكيّة تتحكم في الهواء.

٣. طبيعة الموادّ المستخدمة في الأثاث، بما في ذلك الرفوف المكتبيّة والإضاءة سواء كانت الطبيعيّة أم الاصطناعيّة.

يُستخلص من ذلك أنّ التخطيط من أجل الحفظ مبدأ لطالما دأبت على تطبيقه مكتبة الامبروزيانا، فإنّ تطبيقاً لخطّة صيانةٍ وقائيّة فعّالة يُتيح لنا في المقام الأول الحصول على إبطاء تدهور حالة المجموعات، ومنع إصابتها بأضرارٍ محتملة، فضلاً عن إطالة أعمارها، وتثبيت حالتها الفيزيائيّة من دون اللجوء إلى صرف الأموال، بل توفّر لنا موارد اقتصادية؛ ذلك لأنّ الحدّ من هذه المخاطر عِبْر تطبيق الحفظ الوقائيّ هو أقلّ كلفة من صيانة المجموعات الخطيَّة وترميمها.

المحور الثالث

الترميم ومراحله في مخبر ابّازيا دي فيبولدوني

Abbazia di Viboldone

كما ذكرنا أنّ المجموعات الخطيَّة المتضرّرة في مكتبة الامبروزيانا تُرسل إلى مخبر دير ابّازيا دي فيبولدوني Abbazia di Viboldone؛ إذ رمّم هذا المخبر مجموعةَ المخطوطات اليمانيّة العربيّة التابعة لهذه المكتبة ترميماً جيّداً.

قمنا بزيارة هذا الدير بمخبره، ووقفنا على أهمّ خطوات الترميم، نصنّفها هنا باختصار:

مراحل الترميم في مخبر ابّازيا دي فيبولدوني Abbazia di Viboldone

١. معاينة المخطوط التالف ووصفه شكلاً وتركيباً في سجلٍّ خاصّ.

٢. مراجعة الترتيب التسلسليّ لصفحات المخطوط ومتابعته وترقيمه.

٣. تفكيك المخطوط؛ وذلك بفتق أو قطع الخيوط الرابطة للأجزاء، فضلاً عن إزالة الغلاف الأصليّ بما في ذلك قماش رأس الكتاب إن وُجد، وينطوي التفكيك أيضاً على إزالة صلب المخطوط وبطانة الغلاف.

٤. اختبار إمكانية ذوبان الأحبار وتغييرها، و فحص درجة الحموضة بجهاز قارىء الحموضة.

٥. التنظيف الجاف للمناطق المتّسخة باستخدام الممحاة والفرشاة الناعمة.

٦. تثبيت الأحبار.

٧. المعالجة في محلولٍ مائيّ كحوليّ.

يمكن أن يُتخذ إحدى طريقتين؛ إمّا غمر المخطوط الورقيّ بحوض ماءٍ مصنوع من الفولاذ؛ إذ يتمّ وضع كلّ ورقةٍ على قطعةٍ غير منسوجة أو لباد تعرف

nonwoven fabric، وإمّا التنظيف برشّ الماء على المخطوط، وهو على طاولة ساحبة للأوساخ، وتعتمد هذه الطريقة على الفحص الدقيق للأحبار، والألوان، والأختام، وتحديد نوع السائل المستخدم.

في حين يُنظّف المخطوط المصنوع من الرَّق بوضعه في قفصٍ يُعمل على ترطيبه بواسطة بخار الماء البارد على أن لا تصل درجة الرطوبة ٨٥٪، وتنفع هذه الطريقة في تنظيف الرقّ، وتعديل الانحناءات والالتواءات الحاصلة به.

٨. إزالة الحموضة.

٩. التجفيف؛ ويتمّ في درجة حرارة الغرفة، وعلى حمّالةٍ متعدّدة الرفوف.

١٠. التقوية وتدعيم الورق.

١١. تعويض الفتحات والتمزّقات وردمها، وإصلاح طيّات الصفحات المتضرّرة باستخدام الورق الياباني.

١٢. الترميم الميكانيكيّleaf casting: ويتمّ عن طريق وضع الورق في جهازٍ على ورق لباد مسنود على أرضيّة مشبّكة؛ إذ يُوضع لبّ ورقٍ محرَّك جيداً في الماء، يتمّ إعداده مسبقاً وفق معادلاتٍ رياضيّة، فيستقر ليسدّ الثقوب والفراغات، أمّا الباقي من هذا اللبّ فيذهب خارجاً.

١٣. الكبس والضغط: لتفادي التموّجات والتعرّجات.

١٤. إعادة وتنظيم الأجزاء وخياطتها.

١٥. تتمّ خياطة المخطوط باستخدام آلة الحياكة، أو الخياطة، أو ما دونها.

١٦. تقوية رأس المخطوط .

١٧. إعادة الغلاف الأصليّ وترميمه.

أُنموذج ترميم وثيقة خطيّة

وهنا سنأخذ أنموذجاً لعملية ترميمٍ أجراها المعهد المركزيّ لأمراض الكتاب في عام (٢٠٠٣م) لوثيقةٍ خطيّة؛ هي عبارة عن سجلٍّ لكاتب العدل المعروف باسم: (بارينتي

بـن سـتوبيو) مـن مدينـة (سـارزانا) الواقعـة شـمال غـرب إيطاليـا[١]، كُتـب السـجلّ بيـن عامـي (١٢٩٣م- ١٢٩٤م)، بـدا عليـه وكأنّـه مجموعـة من سـتة ملّفـاتٍ مترابطة تشـتمل علـى (٢٢٢) وثيقـةً، كُتـب علـى ورقٍ عربـيّ غربيّ، ربّما من إسـبانيا آنـذاك، مصنوع من أليـاف الكتـان، وتبيّـن مـن نتائج الفحـص المجهريّ الدقيـق الذي أُجري علـى هذا الورق أنّ أليـاف الكتـان كانـت طويلـةً نوعـاً مـا، وتعرّضـت للطـرق غيـر الجيّـد فـي أثنـاء مدّة التكريـر، وبانَـت عليـه شـوائب جمّـة مـع خيـوطٍ وحبيبات، ومـا يرجّح أنّ مصـدر الورق عربـيّ إسـبانيّ هـو ظهـور خطـوطٍ متعرّجة علـى الوثيقتيـن (١٧٤) و (١٧)، وهـذا النوع كان قد اسـتخدمه العرب في المغرب وإسـبانيا بين عامي (١١٦٦م- ١٣٦٠م)[٢]، شـغلت الخطـوط المتعرّجـة ربـع عـرض الورقـة مـن كلتـا الوثيقتين تقريبـاً، ويمكـن ملاحظة أثر هـذه الخطـوط المعلَّمـة بمسـاعدة الضـوء الطبيعـيّ، أمّـا دراسـة ملامح الـورق فيتطلّب اسـتخدام الإضـاءة المعروفـة بالمنحـدرة أو المائلـة، وهي إضاءة باسـتخدام أشـعةٍ تكون تقريبـاً موازيـةً للسـطح. ولمتابعـة مسـار هذه الخطـوط المتعرّجة بشـكلٍ دقيـق ينبغي اسـتخدام قـارئ بصـريّ للعلامـات، مصنـوعٍ مـن الألياف البصريّـة، ومشـهورٍ بعلامتـه التجاريّـة الأمريكيـة Watermark Reader.

لقـد تمكّـن المخبر الفنـيّ وعِبْر التحاليل التي أجراها من تحديـد نوع المادّة الغرويّة المسـتخدمة فـي الـورق؛ وهـي مـادّة نشـويّة نباتيّـة، فالكاتب اسـتخدم حبـراً مركّباً من حامـض الجاليـك مـع خليطٍ من الحديـد والنحاس، ومـوادّ أخرى.

(١) تمّ نشر جميع مراحل الترميم وتقنياته في المصدر الآتي:

Libri e Carte, Restauri e Analisi Diagnostiche, 2006, a cura di Rita Carrarini e Carla Casetti Brach. Gangemi editore Roma, 17-58.

(2) Deroche, F., Manuel de codocologie des manuscrits en écriture arabe. Paris, Bibliotèque nationale de France, 2000, 58.

للإطّلاع على مصادر بشأن الخطوط المتعرّجة، ينظر على سبيل المثال:

Canart, P., Di Zio. S., Polistena, L., Scialanga, D., 1993, Une enquete sur le papier de tipe “arabe occidental”ou”espagnol non filigrane”, in Ancient and Medieval book Materials and Techniques: Erice, 18-25 September 1992, Città del Vaticano, Biblioteca Apostolica Vaticana, 313-393.

خِيط المخطوط بخيطٍ يمرّ عِبر ممراتٍ أو خروم بدون أشرطة ساندة مع دعامات من الرَّق وُضعت في الطيّة الداخليّة للوثائق وبالتوازي مع خروم الخياطة، وتُسمّى هذه الدعامات بالحواشي أو كعوب مقويّة،؛ وهي مؤلّفة من أجزاءٍ من مخطوطات بالية.

بدا على بعض أجزاء هذا المخطوط مناطق متضرّرة؛ حيث اتّسم الورق بالتلبّد والتليّف والانكماش؛ لاسيّما في الجزء السفليّ منه، في حين أظهر بعضهم عيوباً و بقعاً وثقوب ديدان. كان المصدر الأول لجميع هذه الأضرار ماديّاً ميكانيكيّاً، تفاقم لاحقاً على الأغلب بسبب امتصاصه الماء، ثمّ أخذت الفطريّات بعدها مأخذها في إضرار أجزاءٍ أخرى، تمّ إيقاف الضرر الحاصل في المخطوطة، وإصلاحها، وترميمها، وإعادتها إلى حالتها؛ بحيث تكون أشبه بما كانت عليه في السابق من حيث الخواصّ والشكل.

لكلِّ مخطوطٍ خصوصيّة معيّنة في صيانته وترميه، للمخطوط المتدهورة أجزاء منه خصوصيّته هو الآخر، وتُقرّر ضرورة التدخّل في إجراء تدابير محدودةٍ عليه، وفق ما تمّ تشخيصه، والغاية هي الحدّ من استمرار الضرر، وتهيئته أمام الباحثين لقراءته، ثمّ المحافظة على خصائصه الماديّة.

بدأ العمل بالتنظيف الدقيق لطرد الغبار من على جميع سطوح الورق؛ وذلك باستخدام فرشاةٍ يابانيّة ناعمة، أعقبها إجراء وقائيّ تجسّد في عملية إزالة الحموضة بواسطة فرشاةٍ مع بروبيونات البوتاسيوم المذاب في الكحول الإيثيليّ وتحت ساحبة دخانٍ. تمّ اختيار بعض الوثائق كأنموذجٍ؛ وهما الصفحتان المرقمتان (١٠٨) و (١١٠)، بعدها أُجري قياس الأس الهيدروجينيّ أو درجة الحموضة pH قبل المعاملة مع الورق وبعدها، وكانت النتيجة ارتفاع نسب الأس الهيدروجينيّ، وعلى التوالي: الصفحة (١٠٨) من (٥,٧ إلى ٦,٧) في حين الصفحة (١١٠) من (٥,٣ إلى ٦,٦).

وفيما يتعلّق بالأجزاء الأكثر هشاشةً وضرراً فقد تمّ تقويتها بمادة Klucel G كلوسيل جي وبنسبة مقدارها (٠,٥٪) المذابة في مادة الكحول الإيثيليّ.

وعليه تمكّن المرمّمون من المحافظة على تقوية صلابة المخطوط اللازمة، واستخدام مادة الكحول بلا شكّ مفضّلاً على الماء؛ لأن الماء قد يتسبب بانتشار الأحبار والأختام، أو في حال تمّ غمر الورقة بالماء لمدّة طويلة، ويتمّ كبس الأوراق لغرض تجفيفها وهي رطبة وبضغط قوي، في هذه الحالة سوف تتمدد الألياف، ومن ثَمّ سيكبر حجم الورقة، أمّا في حال وجود الأحبار الحديديّة يكون غمر الأوراق أو غسلها بالماء مساعداً على التخلّص من أيونات الحديد المتحرّرة، والتي تسبب صدأ الأحبار الحديديّة؛ ومن ثَمّ تآكل الأوراق في مناطق الكتابة، وأيضاً الماء يساعد على تقوية الأواصر الهيدروجينيّة الرابطة بين جزيئات السيليلوز، ومن ثَمّ تقوية الورقة، وأيضاً الماء يساعد على إزالة حموضة الأوراق إن وُجدت، هذا كلّه خاضع لعملية فحص انتشار الأحبار، والتأكّد من عدم انتشار الأحبار بالماء المقطّر ، لذلك يكون للماء فائدة سواء تمّ استخدامه بتراكيز معينة مع الكحول، أو استخدام الماء فقط.

أُجريت عملية التقوية حصراً في القسم السفليّ وعلى طول المحيط الخارجيّ من المخطوط، وقد عولجت الثقوب والفتحات بترقيعها؛ وذلك عِبْر دمج ورقتين يابانيّتين- ذواتا سُمكٍ ولون واحد- مطابقتين للأصل، وإذا لزم الأمر تُجرى عملية التلوين التطبيعيّ.

رأى المرمّمون عدم ترميم بقية المخطوط؛ إذ قرّروا ترك الحواشي كما هي، والعمل على تقويتها فقط. وفي الحالات التي كانت عليها الحواشي أكثر تباعداً وتفاوتاً ومن ثَمّ أكثر هشاشة، تمّ ربط الجذاذات إلى المناطق الأكثر تماسكاً من الورق؛ وذلك بوصلاتٍ ولوازم من الورق الياباني، وبفضلها أوقف انفصالها النهائيّ، وبهذه الطريقة تمّ استعادة الظروف الطبيعيّة النظاميّة السابقة للحواشي التي فقدتها فعلاً.

بالنسبة إلى تركيبة المخطوط فقد أبرزت خياطةً ليست موحّدة؛ إذ إنّ جميع الملفّات كانت تخلو من ثقبين: في رأس المخطوط (الحافّة الأعلى)، وفي أسفله، وليس جميع الثقوب كانت مزوّدةً بدعامات من الرَّق، أو الجلود المدبوغة. أمّا فيما

يخصّ أدوات الحياكة فقد استُخدم خيطٌ من القنب، أو من الجلد.

حجم الغلاف أكبر كثيراً من قطع الحجم الكليّ للورق، أو كتلة المخطوط، وكانت حافاته تعاني من الثقوب والتهرؤ، ويشوبه الوسخ في أماكن عديدة، وهناك طيّة كبيرة في صلب المخطوط.

تقرر بعد دراسة متأنيّة: إعادة خياطة المخطوط، واقتفاء الثقوب الأصليّة مع استحداث أخرى في أماكن جديدة؛ بُغية إيجاد توازنٍ في بنية المخطوط. أُعيد وضع الدعامات الأصليّة في محلّها، وتمّ وضع خمس دعاماتٍ أو كعوب جديدة من الرَّق قريباً من المفاصل الداخليّة من أجل تقوية منطقة الحبك. وأخيراً صُمّم غلاف من الورق المقوّى، وتمّ تركيبه على متن المخطوط، وعلى صلب المخطوط تمّ حبك أُنشوطات من خيط القنب على غلاف الورق المقوّى، كما كان عليه التركيب السابق.

وانطوى ترميم الغلاف الأصليّ على معالجة الشقوق؛ وذلك بترقيعها باستخدام الورق الياباني الرقيق، تمّت معاملته سابقاً مع مادّة راتينجات الاكريليك، ولصقه بواسطة الصمغ الحيوانيّ. وعُولجت الثغرات بترقيعها بواسطة قطعٍ من الجلد الطبيعيّ بعد تخفيفه بنفس نوع الجلد الأصليّ وتمّت عملية لصق الجلد المخفّف في أماكن الثغرات بواسطة لاصقٍ حيوانيّ، أمّا عملية تنظيف الغلاف فقد أُجريت باستخدام سترات الأمونيوم.

فقد وُضع الغلاف الأصليّ على متن المخطوط وبشكلٍ بسيط وكأنّه غطاء دون أيّ وصلةٍ تربطه بشكلٍ ثابت مباشر مع المخطوط. ونستخلص ممّا ورد آنفاً:

إنّ عملية الترميم حقّقت غرضين؛ أمّا الأول: فهو المحافظة على الخصائص الماديّة والفنيّة للمخطوط. والغرض الثاني: هو إتاحة المخطوط أمام الباحثين لقراءته والاستئناس بمعلوماته. وعليه فهما غرضان مهمّان للغاية، ونجاح محسوب لهذا المخبر، فليس كلّ أعمال الترميم قادرة على تحقيقهما.

الاستنتاجات

١. الحفظ الوقائيّ والترميم عمليتان تُكمل إحداهما الأخرى.

٢. تساعد معرفة مكوّنات مفردات المخطوط على تحديد العيوب ونقاط الضعف التي ربّما تواجهها أمام مخاطر البيئة.

٣. ضرورة تقييم المخاطر الحقيقيّة والمحتملة على المخطوط، ووضع خططٍ تهدف إلى حفظه ووقايته.

٤. أهمية دراسة إمكانية إدخال تحديثاتٍ على المجالات كافّة، وعدم الاعتماد على حلٍّ واحد لمشاكل كثيرة.

٥. ضرورةُ تفاعلِ فنيّي الصيانة مع القائمين على المجموعات الخطيَّة، والتعاون بينهم.

٦. لزوم تدريب القائمين على مخابر الصيانة من المرمّمين والمخبريّين و إطلاعهم على آخر النماذج المخبريّة العلميّة للصيانة في مؤسسات ومراكز عالميّة متعدّدة، فضلاً عن تدريبهم فيها، والعمل على تنمية تبادل المعلومات وخفايا المهنة، وعليه نرى ضرورة تأسيس برنامجٍ تعاونيّ بين العتبة العباسيّة ومكتبة الامبروزيانا يهتمّ بتبادل آخر المعلومات المتعلّقة في التحقيق والفهرسة والحفظ الوقائيّ والترميم.

٧. الحفظ الوقائيّ والترميم يدخلان في مفهومٍ واحد؛ وهو (صيانة المخطوطات)، وهي سلسلة من العمليات المترابطة.

وإنّنا نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً عالِمين ومتعلّمين لخدمة تراثنا الماديّ والحفاظ عليه.

قائمة المصادر

أولاً: المصادر العربيّة

١. صيانة المخطوطات علماً وعملاً: مصطفى السيّد يوسف،٢٠٠٢م.

٢. معجم اللغة العربيّة المعاصرة: أحمد مختار عمر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣. معجم مصطلحات المخطوط العربيّ (قاموس كوديكولوجي): أحمد شوقي بنبين و مصطفى طوبي، الرباط، الخزانة الحسنيّة، ط ٣، ٢٠٠٥م.

ثانياً: المصادر الأجنبية

4. Beni librari e documentari. 2007, Raccomandazione per la tutela. Lombardia, Culture, Identità e Autonomia della Lombaria. A cura di Ornella Foglieni. Regione,13-15.

5. Bertini M. B. , La conservazione dei beni archivistici e librari, Carocci Editore, Roma 2005

6. C. FEDERICI - L. ROSSI, Manuale di conservazione e restauro del libro, Roma, Carocci, 1993

7. Canart, P., Di Zio. S., Polistena, L., Scialanga, D., 1993, Une enquete sur le papier de tipe “arabe occidental “ou”espagnol non filigrane”, in Ancient and Medieval book Materials and Techniques: Erice, 18-25 September 1992, Città del Vaticano, Biblioteca Apostolica Vaticana.

8. Deroche, F., Manuel de codocologie des manuscrits en écriture arabe. Paris, Bibliotèque nationale de France, 2000.

9. “L’Abbazia di Viboldone” 1990, edito a cura della Banca Agricola Milanese, Milano.

10. Libri e Carte, Restauri e Analisi Diagnostiche, 2006, a cura di Rita Carrarini e Carla Casetti Brach. Gangemi editore Roma.

11. Principi dell’ IFLA per la cura e il trattamento dei materiali di biblioteca, 2004, a cura di Edward P. Adcock, Bari, International Federation of Library Associations and Institutions, Core programme on Preservation and Conservation, 26

12. http: //www.constitution.org/cons/natlcons.htm (موقع نت)